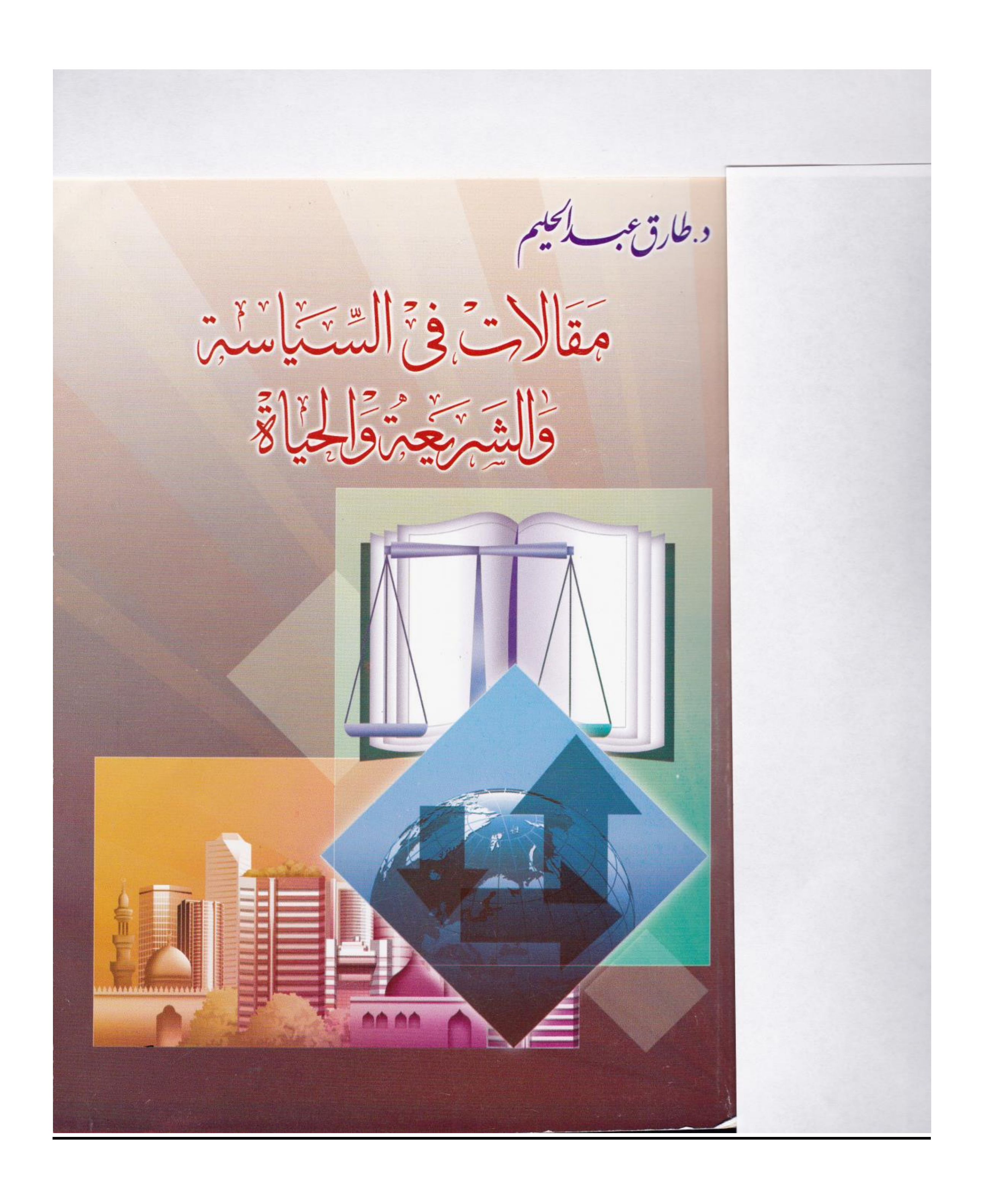

د. طارق عبد الحليم
مقالات في السياسة
والشريعة والحياة

مقالات في الشريعة والحياة

د.طارق عبد الحليم

مقدمة

فهرس موضوعات الجزء الأول

تحرير المفاهيم

1. الجرح والتعديل في الواقع الإسلاميّ
2. مفهوم قبول التعدّدية .. وإتبَاع المُتشابهات
3. أزمةُ تطويعِ المفاهيم .. في ظلِّ "الفكرِ الإسلاميِّ" الحَديث
4. إسلامٌ جَديدٌ ... أم تَجديدٌ في الإسلام؟
5. مفهوم المواطنة .. بين الإسلام والعلمانية
6. مفهوم التجديد .. بين الحق والباطل
7. وإلا فقل يا زلة القدم.....في مفهوم الوسطية

في السياسة

8. الإحتلال الصليبي والسيطرة الصفوية – من سيكون الذابح
9. حماس وإزدواجية المواقف
10. التكييف الشرعيّ لمواقف الخزى العربيّ
11. التهدئة والمفاوضة والمصالحة ...في الواقع الفلسطينيّ
12. الفشل الديكتاتوري في التجربة المصرية
13. الواقع الفلسطينيّ في ضوء المؤتمر السادس لحركة فتح
14. النفاق الغربيّ على المسرح السياسيّ
15. أوباما .. والسياسة الأمريكية
16. ثلاثيّ الخداع – أمريكا، إسرائيل، إيران
17. حرب المعلومات .. والعداء الصليبيّ
18. حماس .. بين مطرقة اليهود وسندان الرافضة
19. من المسؤول الحقيقي وراء أحداث 11 سبتمبر؟ - (1-6)
20. السياسة المصريـة في الصحافة العالميـة
21. مشكلات الأمة الإسلامية بين السياسة والإجتماع
22. تساؤلات مصرية على هامش الإنتخابات البرلمانية
23. الشكل السياسي وإمكانية التغيير
24. "البترودولار" والإستعمارية الأمريكية
25. المخـاض السياسيّ! الفائز والخاسرون
26. التعددية السياسية والهوية الواحدة
27. ظاهرة إنعدام الحياء في السياسة الأمريكية

28. ذكرى الغزو الصليبي والصمت المُتْعَب

في الدين والحياة

29. كيد الشيطان .. وقوى التغيير
30. إحياء اللغة العربية
31. الأحياء حقا.. والأموات حقا...
32. الإخوان – خطوة أراها في طريق الحق
33. الإقتصاد الربوي في الميزان: من الخاسر الحقيقي؟
34. التعصب العقائدي.. وقضية المآذن
35. أزمة الإقتصاد العالمي – وتوابع الجشع
36. الجماعات الإسلامية و"فتنـة" الفتوي!
37. السلفية الشرعية .. وإفتراءات الإصلاحيين
38. الفكر والعلم – إجتماعاً وإفتراقاً
39. المُستَكْبِرون والمُستضْعَفون ..في القرآن الكريم
40. المصريون .. وأزمة القمنيّ
41. بين النقد الهادئ ونقد "الطبطبة" .. لكل مقام مقال
42. "..إنفضّوا اليها وتركوك قائما" صدق الله العظيم
43. أهل السنة والجماعة – الإسم والمسمى
44. أيام البـــلاء
45. لا وقت للخوف .. قبل التنصيب
46. دول الخليج.. بين الإسلام والحداثة
47. "وتلك الأيام نداولها بين الناس" - بين الـشِّــرَّة والفِـتْرة
48. طبيعة العدوان
49. طريق العودة إلى الكرامة
50. عارٌ على الصرح عظيم!
51. عداء الإسلام وعبرة التاريخ
52. فلا نامت أعين الجبناء...
53. القرار المشين – وسحب القرآن الكريم
54. حياة المعاني .. ومعنى الحياة
55. أمراض النفس وعلل العقل
56. الإرجاء والمرجئة
57. الحرية العرجاء
58. دوافع الفرد بين المنهج الإسلامي والفكر الغربي
59. قراءات حول العقل العربي
60. حركة الفكر.. وفكر الحركة
61. الطريق إلى إنقاذ الأمة - بين محمود شاكر و سيّد قطب - (1)
62. الطريق إلى إنقاذ الأمة - بين محمود شاكر و سيّد قطب - (2)
63. نَمَطٌ مُغْرِضٌ ونَمَطٌ خَبيثْ!
64. حين تفقد أمـة رأسها!
65. "إنه كان ظلوما جهولا"

66. الهوية المصرية وقانون التغيير
67. لا حياة بلا حريـــــة
68. العقلية الإسلامية بين الواقع والخيال
69. الحقيقة المغيّبة
70. الحرية المخصخصة!
71. تيسير علّوني .. صبراً
72. وما خفي كان أعظم!
73. رياح التغيير وعواصف الواقع
74. تجاوزات النظام أم نظام التجاوزات
75. بين العدل والإيثار
76. ظاهرة الإستئناس السياسي في حياتنا الصحفية
77. الترابي: إسمُ على مُسمّى!
78. من هـديّ النبـوة - كفى بالمرء كذبا
79. من هَـديّ النُبـوّة - أنت مع من أحببت
80. "..اعدلـوا هو أقـرب للتقـوى"
81. من هـديّ النبـوة - عليكم بسنتى
82. "فورب السماء والأرض إنه لحقّ ...." الذاريات 23
83. " ..إلا من ظُـلِم
84. من هَـديّ النُبـوّة - شرف المرء ودينه
85. أفضل الرجـــال
86. خطرات بين الألـم والأمـل في حياتنا المعاصرة
87. فقه المقاومة .. واجب وواقع
88. مفتى مصر .. والصوفية الصفوية!
89. الإخوان المسلمون .. ومقبرة العملية السياسية
90. النهضة .. بين الفكر والتطبيق -1
91. النهضة .. بين الفكر والتطبيق -2
92. الديموقراطية .. والوجه العلمانيّ
93. صرعى الديموقراطية – في الوسط الإسلامي
94. "حتى يحكّموك فِيما شَجَرَ بينهم.."
95. .. ليسوا لأهل السنة إخواناً !
96. حديث عن المنهج

<u>للنساء فقط</u>

97. "…..يا مَعشَر النِساءِ تَصَدّقن!" (1)
98. "…..يا مَعشَر النِساءِ تَصَدّقن!" (2)
99. بين حقٍ ضائع ..وواجبٍ مُضَيّع (1)
100. بين حقٍ ضائع ..وواجبٍ مُضَيّع (2)
101. المباح المحرم! (1)
102. المباح المحرم! (2)
103. المباح المحرم! (3)

الرافضة في الميزان

104.أكاذيب الرافضة في ميزان النقد

105.العلامة القرضاوى ... والرافضة

106.الفتنة .. لعن الله من أوقظها

107.المؤامرة الصفوية وأبعادها على الأمة السنية

108.إكلاشيه "الوقيعة".. بين السنة والشيعة

109.تعقيب على التعقيب – الرافضة في ميزان السنة

110.ردّ عائلة الشيخ سليم البشري على بهتان الشيعة في كتاب "المراجعات"

111.رب ضارة نافعة

112.الإمبراطوريةُ الصَفَوية .. من إيران إلى لبنان

الإدارة في المنهج الإسلاميّ

113.نظرية »الوسيلة والهدف« في القيادة - ر. ج. هوز(1)

114.نموذج اتخاذ القرار - ف.فروم (1)

من كتب الغربيين

115.مراجعة في عالم الكتب - قيام وسقوط القوى العظمى - بول كنيدي

116."الحرب العظمى من أجل الحضارة" - "السيطرة على الشرق الأوسط"

117.الغطرسة الإمبريالية - لماذا يخسر الغرب الحرب على الإرهاب[1]

118.رجال بيض أغبياء، وأعذار تافهة أخرى لتبرير حال الأمة - مايكل مورز

دفاع عن الشريعة

119.د. سليم العوا .. بين الشَرعِ والقانون

120.محمد سليم العوا .. والتسوية بين الإسلام والشرك!

121.خالد منتصر .. والحجامة

122.تعقيب على مقال الدكتور محمد عمارة (الفاتيكان والإسلام) في المصريون

123.عمرو خالد - وفتنة القصاصين

124.توابع فتنة القصاصين وزوابعها

125.عتاب رفيق للمستشار طارق البشرى

126.محمد عمارة وأحاديث الآحاد

127.القرضاوى .. وتصويف السنة!

128.فتوى الدكتور عبد الرحمن البر، عضو الإخوان

129.فَتوى الرَيسونيّ وآخرين .. في تَسهيل أمرِ الرِدّة عن الدين

130.أزمة الدعوة ... وأزمة دعاتها

131.الوجه القبيح لمحمد عمارة

132.محمد عمارة .. في رَكْبِ أرباب المُواطَنة

تحرير المفاهيم

الجرح والتعديل في الواقع الإسلاميّ

من أهم مكونات الوعيّ الإسلاميّ الصحيح ، إن لم يكن أهمها على الإطلاق، تشرُب ثقافة الإسلام، والحياة بمعانيه، فكراً وعملا، والرجوع إلى شريعته في الفكر والعمل جميعاً. ومن أهم مظاهر هذا الوعيّ القدرة على تمييز الصحيح من السقيم، والصالح من الطالح، وصحة الحكم على الأمور الثلاثة التي يختلف الناس عليها وينشأ عن سوء تقديرها والخلط في تحقيقها الخلاف والتفرق، وإعلاء الوضيع وتصغير الكبير، وجلب المفسدة، وإضاعة المصلحة، وهذه الأمور الثلاثة تتعلق بتقييم الأفراد والأفكار والأحداث.

وليس هنا مقام تحقيق هذه الجملة فهي أوسع من أن يحاط بمعانيها في هذه المساحة من الحديث، ولكن الأمر الذي قصدنا اليه هنا هو التنبيه علي أهمية عملية تقييم الأفراد جرحاً أوتعديلاً، أو إن شئت مدحاً أو ذماً، أو تقريظاً أو نقداً، سواء في الحياة اليومية الخاصة للأفراد أو في الحياة العامة للشخصيات المعروفة. وأقول "تقييم الأفراد" لا "الحكم علي الأفراد" كما هو شائع إذ إن "الحكم" يحمل معنى "التنفيذ" كحكم الله ورسوله أو حكم المحكمة، بينما الجرح والتعديل لا يحمل في طياته هذا المعنى التنفيذي.

وتأتي أهمية عملية تقييم الأفراد جرحاً أوتعديلاً من دلالاتها التي تنشئها، ومن آثارها التي تترتب عليها. فتقييم الأشخاص يدلّ على فهم المقيّم للشريعة وللواقع ولحقيقة الفرد المقصود ولتوابع هذا التقييم في أمر نفسه وأمر الناس من حوله، خاصة إن كان هذا التقييم يأتي ممن له كلمة مسموعة، أو كان في حق من له موقع سياسيّ أو فكريّ مميّز في المجتمع. ولا يخفى أثر الخطأ في التقييم في مثل هذه الحالة إذ إن الإسراف في الجرح لمن لا يستحقه يجعل الأمة تخسر خيراً كثيراً بعد أن يسقط من عينها من فيه الخير الكثير، والعكس أصح وأهم، إذ إن الإسراف في التعديل أو المدح في غير محله لا ينشأ عنه إلا تجميل صورة قبيحة، وتحسين مفاسد يحملها الممدوح زوراً في أعين العامة، كبدعة شرعية أو فساد فكريّ أو أخلاقيّ. وقد قلت أن التعديل بغير حق أصح وأهم إذ إن ما يترتب عليه هو جلب المفسدة وتحسين القبيح، بينما تجريح من لا يستحق التجريح، وإن كان خطأً كبيراً، إلا أنه يمنع مصلحة، وهذا، في التقدير الشرعيّ أقل ضرراً من جلب المفسدة المترتبة على إيقاع المدح على من لا يستحق.

وقبل أن نضرب أمثلة تبيّن ما قصدنا إليه، نود أن نذكّر بأمر قد دلّنا عليه القرآن في هذا الخصوص وهو أنّ مقياس المدح والذمّ يرتبط بأمور عدة، منها خطر المفسدة التي تنشأ من مدحٍ ذميمٍ، أو قدر المصلحة التي ستفوت من ذمّ ممدوحٍ. ومنها قدر الفساد في الممدوح بغير حقّ بالنسبة إلى قدر الخير فيه، وقدر الخير في المذموم بغير حقّ إلى قدر الفساد فيه. ألا ترى أن الله سبحانه، وإن أحصى كلّ شيّ عددا، وقال تعالى: " ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا <u>وإن كان مثقال حبة</u> من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين" الأنبياء، إلا أنه سبحانه، في ساعة الحساب، أخذ بالغالب على الإنسان من خير أو شر، فقال سبحانه: **"فأما <u>من ثقلت موازينه</u> فهو في عيشةٍ راضيه وأما <u>من خفت موازينه</u> فأمُّه هاويه"**، فأن يكون في المرء خير لا يمنع من أن يكون تقييمه النهائي صفراً أو تحت الصفرِ، وأن تكون أمُّه هاوية، كما لا يمنع عكس ذلك ممن غلب خيره شره. ومن هنا تسقط دعوى من قال أنّ مدْح من غلب فساده على بعض الخير الذي صدر منه يشجعه ويدفعه للأحسن، فهذا وإن صحّ على مستوى الفرد الممدوح، فإنه يتجاهل الفساد الجماعيّ الذي ينتشر ببثّ الثقة فيمن غلب ضَرُّه على نفعه، ومن ثمّ في نشر بدعه أو فساده. ومن الأمثلة على ما نقول في هذه الأيام الحاضرة، نضرب ثلاثة قد تغنى عن غيرها.

أولها ذلك الموقف الغريب الذي إتخذه كاتبنا المفكر المستشار طارق البشرى من الرافضة ونشر دعوتهم في العالم السنيّ، وهو حدَثٌ أجمع على خطورته كلّ مَنْ له مِنْ علم الشريعة نصيب، ولكنّ المستشار البشرى قلّل من أهمية هذاالحدث، وقلّل من خطر الرافضة غلى العالم السني بأدلة أقل ما يقال فيها الضعف والخلط. وهو الأمر الذي لم يكن فيه على حق، لا شرعاً ولا واقعاً، والنقطة هنا أنّ المستشار البشريّ عالم قانون جليل له مكانته المرموقة وكلمته المسموعة، ولا يأمن أحد أن يغترّ من لا علم بالشريعة بما قال، وأن يُستدل بقوله على التهوين من أمر

الرافضة ومن ثمّ ترْك السرطان الرافضيّ ينمو ويتكاثر في الجَسد السنيّ الهزيل، المصاب أصلاً بأدواء تكفي للقضاء عليه.

فعند التقييم النهائي نجد أنّ ، المستشار البشرى له مواقف وكتابات قدمت الكثير من الخير لأهل هذا الدين من ناحية، ومن ناحية أخرى فالدعوى التى إدعاها خطيرة تمس هذا الدين في صميمه، فهو من باب تعارض الدليلين أو قريب من ذلك، ولكن الترجيح المتأني يكشف أنّ المستشار البشري ليس من أهل العلم الشرعيّ المتخصصين، وهو لا يشغل منصباً دينياً يموّه به على العامة، وهذا ما يجعل أثر حديثه غير ذى خطورة في الواقع. وظلّ المستشار البشرى ذا قيمة عالية وكلمة مسموعة في مجال الفكر والتأريخ، لا تضره هذه الزلة وإن وجب التنويه بها من أهل العلم.

والمثال الثاني يأتي مما نشره الأخ الصديق الصحفيّ جمال سلطان في جريدة المصريون عن "شخصية على جمعة" مفتى مصر، والتي أثارت تعجباً واستياءاً عند العديد ممن ينتمى إلى أهل السنة والجماعة من المصريين والمسلمين عامة. ومع أنّ الأستاذ جمال قد ذكر كلمات في مقاله عن أن كلّ منا يخطأ ويصيب، وأنه ليس هناك من ليس له زلات أو معايب، وهو ما يصدق على كلّ من تحدث بحرف أو خطّ كلمة إلا الصادق المصدوق، إلا أنه في المقابل قد ذكر كلمات عن على جمعة لا توحى إلى القارئ إلا بعظمة ورفعة هذه الشخصية التي قال الأستاذ جمال عن أعمال صاحبها "تصب في السجل الأخلاقي للشيخ بما فيها من نبل وأخلاق رفيعة وتسامي على حظوظ النفس"، وقال "أتمنى أن ترزق المؤسسات الدينية الرسمية بمثل تلك الشخصيات الذين لا يعملون "كموظفين" ، وإنما أصحاب رؤية وأصحاب رسالة وأصحاب طموح ، يحرصون على أن يتركوا "بصمتهم" بخير في تاريخ أمتهم"! الأمر أن هذا المفتي الذي نتمني أن يكثر الله من أمثاله قد "كان أول أعماله عند تولى الافتاء تأسيس الاكاديمية الصوفية لتخريج دعاة الصوفية المؤهلين لنشر عقائد وضلالات الفرقة ومبناها بجوار دار الافتاء، ثم نشر الفتاوى العلنية التى لم يجرؤ أحد ممن سبقوه عليها مثل أن الاحتفال بالمولد النبوى سنة ومندوب! وجواز الاستغاثة بالولياء واباحة الربا بل عدم اخراج الزكاة عن أصل المال المودع فى البنك الربوى باعتبار ذلك أداة العمل والتربح مثل السيارة التاكسى، وقبل كل ذلك موقفه من قضية الأمة الأساسية من تحكيم شرع الله" كما جاءني من أحد الأخوة المهتمين بهذا الأمر. هذا إلى جانب ما عرف عنه من سوء اللفظ وسوقية الكلام خاصة عند الغضب. وأمر البدعة يهون إلى جانب حالقة السكوت على تبديل شرع الله، إذ كان عدد من علماء الأمة السابقين من سقط في بؤرة الصوفية متأولاً أو مخطئاً، ولكن، ليس من هؤلاء أحد نعرفه سكت على تبديل الشرع الجنيف ورفعه بالكلية من حياة الناس.

والأخ الزميل جمال ينتمى إلى أهل السنة، لا شك في هذا، وهو ممن يرفض البدعة ويحارب الفساد، لا شك في هذا، ومن هنا فلا مجال للتردد في تقييمه كواحد من الدعاة في المجال الصحفيّ، إلا أن الأمر هو ذلك التوازن الدقيق بين العمل الدعوى لحساب دين الله الحق مع البعد عن مواطن السلطة أو الخلطة بأهلها، وبين الدعوة ذاتها مع القرب من أهل الخلط والتميّع من أمثال المفتي على جمعة أو سيد الطنطاوى، حتى ولو كان ذلك مع حسن النية وإرادة الخير، وقد رأينا أن النصرة كانت على الدوام لجانب أصحاب السلطة المتربّعين على كُرسيّ من كراسيها، والظاهر أنّ للسلطة القاهرة وهَجُ يحرق كلّ من يقترب منها بغضّ النظر عن نيته كما تحرق النار من يلمسها حسُنت نيته أم ساءت! وعلى جمعة من أعمدة السلطة وأركانها، لا شك في ذلك، يلعبُ على أوتارها، وتُحرك مراكبُه مجاديفَها، لا شكّ في ذلك، والأمر أنّ مثل هذا المديح يطغى على أفعال السوء والبدعة التي حذر منها سلفنا الصالح، ويجعل تلك الكبائر تتوه في خضم أعمال إدارية صغيرة لا يقال عنها إنها "بصمة خير" إلى جانب "لطشات" الشر التي تتركها بقية الأعمال في تاريخ أمتنا، أو أن يقال في صاحبها "كفى بالمرء نبلاً أن تعدّ معايبه"!.

وفي التقييم النهائي يبقى أمر على جمعة أهون وأقل خطراً من أن يُجرّح جمال سلطان صاحب الكلمة والدعوة والنية الطيبة بإذن الله تعالى، ,ون وجب عليه الحذر في هذا المجال، وبيان ما كان من إسراف في المديح، ويبقى على جمعة صاحب بدعة وعالم سلطان وساكت على جُرم الحكم بغير ما أنزل الله إلى أن يتوب الله عليه.

والمثال الثالث، هو كلمات ربيع المدخليّ في شأن سيد قطب رحمه الله، وتكفيره له وإعتبار أنه أخطر على الأمة من اليهود والنصارى! وربيع المدخليّ أستاذ جامعي في علم الحديث، وهو ليس بعلم من أعلام هذه الأمة، وما أنتجه من بحث أنتج مثله وأكبر منه عديد من اساتذة الجامعات، ولكن سبب وجود اسمه على لوحة الوجود الإسلاميّ هو موقفه هذا من سيد قطب، وهو ليس نداً لسيد، لا في فكره ولا في عطائه ولا في إخلاصه لدعوة الله سبحانه، لا شك في ذلك، وليس هو من أقرانه سناً فيقال أن هذا من قبيل نقد الأقران، بل هو خطل محض من استاذ جامعيّ لا أكثر ولا أقل، استاذ جامعيّ رضي أن يبرر الخروج على شرع الله ويمالئ الحكام ويعينهم على معاصيهم أو على كفر أنظمتهم الحاكمة التي أنشؤوها وحموها بالقوة والقهر. ولكن كان من مفاسد هذا التجريح أن انصاعت طائفة ممن قصر علمهم الشرعيّ إلى أقصى حدود القصور، وتكونت طبقة من الشباب المُضَلَّلَ المُضَلِلِ، تقبلُ بالشرع الوضعيّ عملا وواقعاً، وتعطى ولاءها لمن قتل الدعاة إلى الرجوع لحكم الله سبحانه، وتتخذ من الوشاية عليهم قربة إلى الله! وهذا غاية الفساد الذي يمكن أن ينشأ عن خطأ في التقييم. وقد يكون سيد رحمه الله قد خرج عن نطاق فهم أهل السنة في بعض ما خطّ قلمه بشأن الصفات، ولكن قد كاد أن يجمع أهل العلم على أنها زلات قلم أدبيّ، والمدخليّ لم ير ما قدم سيد من دفعات إيمانية عالية لأجيال متوالية، وقاده إرجاؤه العتيد إلى أن يجعل الحكم بغير ما أنزل الله تشريعاً وتقنيناً معصيةٌ في مقام التدخين! وبإعتبار قدر سيد قطب في الساحة الإسلامية وبإعتبار قدر مصيبة تسويغ الحكم بغير ما أنزل الله تشريعاً وتقنيناً بإتباره معصية لا تنزع الولاء للحاكم، فتقييم المدخليّ لسيد قطب تقييمٌ ظالم جاهل لا يسقط إلا صاحبه.

تعقيب على مقال الدكتور محمد عمارة (الفاتيكان والإسلام) في المصريون

جزى الله خيراً الدكتور محمد عمارة لما بذله من جهد في سلسلته الفاتيكان والإسلام التي تكبّد فيها الردّ على عظيم الفاتيكان، وكبير آباء الكنيسة الكاثوليكية لمّا تعدى على مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وافترى على الإسلام وأهله بجهل متعالم أو بعلمٍ جاهلٍ، سيان. ولا شكّ أن ما خرج من فمِ هذا الأب المتنكّر للحق يجدر أن يَردّ عليه من إستطاع إلى ذلك سبيلا بجرأة وعلم.

لكن الأمر الذي نريد أن ننبه عليه في هذه السلسلة يتلخص في قضيتين، أولاهما، صحة النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أمر تعوّد العقلانيون التخفيف من أمره إلى حدّ العبث، وهو مما عُرف عن المعتزلة[2] خاصة – اللذين أشاد الدكتور عمارة بدورهم في حضارة الإسلام وتمجيد العقل! – وعن أهل البدعة عامة. فقد قال الدكتور في مقاله السادس " ***.. ألم يسمع عظيم الفاتيكان أن رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم قد قال : "العقل أصل ديني" .. وقال : "عليكم بالقرآن ، فإنه فهم العقل، ونور الحكمة، وينابيع العلم، وأحدث الكتب بالرحمن عهدا*** " (رواه الدارمى)". وما يجب التنبيه عليه أنّ ما ذكر الدكتور ليس من أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فالقول الأول قد روى عن عليّ بن أبي طالب في نهج البلاغة ولم يصح عنه، أما ما رواه عن الدارميّ فلو إهتم الدكتور بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إهتمامه بأقوال الغزالي وابن رشد، لراجع الدارمي الذي أورده، ولو أتعب نفسه بقراءة سلسلة الحديث لوجده عن كعب لا عن رسول الله سلى الله عليه وسلم ولم ينسبه أحد قبل الدكتور لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أخرج الدارمي قال:حدثنا عمرو بن عاصم ثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن مغيث عن كعب قال:عليكم بالقرآن فإنه فهم العقل ونور الحكمة وينابيع العلم وأحدث الكتب بالرحمن عهدًا، وقال في التوراة

---

[2] راجع كتابنا عن المعتزلة http://www.tariqabdelhaleem.com/book.php?cat=1

يا محمد إني منزل عليك توراة حديثة تفتح فيها أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا.." فهو في أفضل الأحوال موقوف على كعب ولا يصح نسبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وليس جديدا أن ننبه على ضرورة التحرى في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا هو جديدٌ أن نذكّر بحديثه صلى الله عليه وسلم "من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" رواه الترمذي وقال حسن صحيح ولا أنّ نكرر ما استقرت عليه العلماء وذلّت له عقولهم بالتسليم من أن السنة هي المرجع الثاني في الشريعة بعد القرآن، وأنّها الشارح المبين لأحكامه. ولكن الجديد أن يغفل عنها مثل الدكتور عمارة في دفاعه عن الإسلام ونبيّه وأهله.

والقضية الأخرى التي لا تقل خطراً عن الأولى أن منافحة الدكتور عمارة عن الإسلام ونبيّه وأهله تصدر من نفس المصدر الذي صدرت عنه الإعتزال وتستخدم نفس المعطيات فتدسّ في ثناياها التخفيف من قدر السمع وإعلاء دور العقل من فوقه. ونظرة إلى الأسماء التي نقل عنها الدكتور تنبئ عن صحة ما ذكرنا. فقد نقل عن الماورديّ، وبن رشد والغزالي والجبائيّ والقاضي عبد الجبار والجاحظ وهم – إلا الغزالي – من كبار المعتزلة الذين خلّطوا ووقعوا في شبهة تعظيم دور العقل وجعله حاكِما على الشرع.

ثم حين نقل الدكتور عمارة عن بن تيمية – وبدأ نقله بقول "حتى بن تيمية .." كأن أهل السنة لا يرْقون إلى أن يكون لهم رأي في المنظومة العقلية الإعتزالية البدعية! نقل بتصرف كبير مخلّ عن بن تيمية في كتابه درء التعارض أنه قال" ***الحنفية وكثير من المالكية والشافعية والحنبلية يقولون بتحسين العقل وتقبيحه، وهو قول الكرامية والمعتزلة، وهو قول أكثر الطوائف من المسلمين*** " دون ذكر الجزء أو الصفحة، ولم نعثر في الكتاب المذكور على هذا النص بهذه الحروف، ولعلنا أخطأناه وله منى الإعتذار، وإنما وجدنا أقرب ما يمكن اليه في ج9ص12 حيث قال بن تيمية: " حتى قال أبو منصور الماتريدي في صبي عاقل إنه يجب عليه معرفة الله وإن لم يبلغ الحنث قالوا وهو قول كثير من مشايخ العراق ومنهم من قال لا يجب على الصبي شيء قبل البلوغ كما لا تجب عليه العبادات البدنية بالاتفاق قلت (اي بن تيمية) هذا الثاني (لا يجب على الصبي شيء قبل البلوغ) قول أكثر العلماء <u>وإن كان القول بالتحسين والتقبيح يقول به طوائف كثيرون من أصحاب مالك والشافعي وأحمد كما يقول به هؤلاء الحنفية</u>". والفرق بين النصين ظاهر، فقول "طوائف كثيرة" لا يعنى أنها "أكثر الطوائف"، كذلك ما ورد في كتاب بن تيمية " وهذا الأصل تنازع فيه المتأخرون من عامة الطوائف فلكل طائفة من أصحاب مالك والشافعي وأحمد فيه قولان وأما الحنفية فالمعروف عنهم القول بتحسين العقول وتقبيحه"ج9ص10 وهذا الأصل يعنى التحسين والتقبيح ومن ثمّ الإيجاب والتحريم، وهو قريب مما حاوله الدكتور مع الفارق بين النصين كذلك.

ثم إن رأي بن تيمية وهو رأي أهل السنة والجماعة قاطبة يخالف من زعم أن العقل يقبح ويحسن دون الشرع كما قالت المعتزلة وبعض الحنفية ومن زعم أن العقل لا يدرك الحسن والقبح ابتداءا كما قالت الأشاعرة والجهمية، بل الأمر، كما قال بن تيمية أن " .. قول أحمد لا تدركها العقول أي أن عقول الناس لا تدرك كل ما سنه رسول الله فإنها لو أدركت ذلك لكان علم الناس كعلم الرسول ولم يرد بذلك أن العقول لا تعرف شيئا أمر به ونهي عنه ففي هذا الكلام الرد ابتداء على من جعل عقول الناس **<u>معيارا</u>** على السنة ليس فيه رد على من يجعل العقول **<u>موافقة</u>** للسنة "ص10. ففارق بين من جعل العقل معيارا للشرع ينزّله عليه ويحكّمه فيه وبين من جعل العقل موافقا للشرع لا تعارض بينهما، فيما يمكن للعقل أن يدركه بنفسه، وعليه ينزّل كلام القرافي المذكور في مقال الدكتور، لا أن العقل له مرجعية مطلقة في التحسين والتقبيح كما ينص عليه كلام الدكتور!

والجزء التاسع الذي نقل عنه هذا الكلام "بتوسعٍ" هو مناقشة بن تيمية لأصحاب الرأيين المتضادين، في تقديم السمع أو العقل، وبدأه بنقل ما ذكره الشريف أبو عليٍ بن أبي موسى في شرح الإرشاد، من نصر السمع على العقل بإطلاق ثم نقل ما ذكره القاضي أبا يعلى وتطرق لأقوال بن رشد وأبي المعالى الجوينيّ في الإرشاد. والأمر في كتابات بن تيمية أنه يجب التنبه إلى ما هو من قوله أو مما ينقله عن غيره. ورأي بن تيمية في التحسين والتقبيح العقلي والشرعي يُعرف مما كتب في مواضع كثيرة أخرى لا محل لذكرها في هذا العتاب.

والله سبحانه الهادى لما فيه الحق

عمرو خالد - وفتنة القصاصين

والله إنه لأمر تنفطر له القلوب وتذرف منه العيون، ثم لا نقول إلا ما يرضى ربنا. أمر هؤلاء العالة على دعوة الحق، الذين تسللوا إلى حماها من الأبواب الخلفية، وإذا هم محسوبون عليها، يضرون أكثر مما ينفعون، ويضلّون أكثر ممن يهدون، ويبدلون ثوابت ويزعزعون مستقرات، ولكن ماذا عليهم، فهم والله لا يعرفون أصلا يرجعون اليه ولا علما يرتكنون عليه، وإنما هو الوجه التلفازيّ الذي يرفع من يرفع ويخفض من يخفض بإذن السلطة ورضاها.

وعمرو خالد خير مثال لما ذكرنا، رغم ما يتمتع به من شعبية بين شباب متشوق إلى عقيدة يتمسك بها، ولكن بلا عزم ماضٍ إلى العلم الشرعيّ الصحيح وفي غياب رؤوس علماء ينصحون الأمة ويوجهون شبابها. وعمرو – والحق يقال – لم يدعى العلم جهارة يوماً من الأيام، وإن ارتدى قلنسوته وامتطى جواده، ومن كان هذا حاله حسبه الناس فارساً! فالجلوس أمام كاميرات التلفاز صباح مساء يجعل المغمور معلوماً، والعيّ صاحب لسان!

وعمرو في هذا رفيق رفيقه طارق السويدان، كلاهما قصّاص لا أقل ولا أكثر! ليس لهما في العلم الشرعيّ ناقة ولا جمل. وقد عرفت مصر والعديد من البلدان الإسلامية طبقة القصّاصين في تاريخها، وكان لهم دور في الحفاظ على الفلكلور الشعبي كقصص أبي زيد الهلاليّ، كما دأبوا على قصّ بعض ما ورد من حكايات الصحابة رضى الله عنهم وخاصة على والحسين. ولكن الأمر في زماننا هذا قد خرج من حيز القصّ إلى الإقتداء والإتباع، وأصبح القصّاصون ممن يتوجهوا إلى الناس بالدعوة إلى ما يفهمونه من الإسلام، وما أضحله من فهم، ويتحدثون باسم المسلمين، ويوقعون على وثائق تقارب الأديان ووحدة الهلال والصليب وما إلى ذلك من الخرف والجهالة التي تروج لها النظم الحاكمة ويتولى رؤوس الجهل القيام بها.

والسبب الذى حدا بي إلى ذكر عمرو خالد هو ما تردد مؤخرا عن زيارته لكاثدرائية في احتفالات "أعياد الميلاد" القبطية السالفة، مهنئاً الأقباط بميلاد المسيح! مما أثار استياء الكثير، ولكن لهؤلاء نقول: هوّنوا على أنفسكم، ولا عليكم من سرد أحاديث البيهقي واقوال غيره من العلماء في شرعية تهنئة النصارى بأعيادهم، فالرجل ليس ممن يخضع لدليل، ولا ممن يعرف معنى الدليل وقيمته، بل هو على ما ما وجد عليه آبائه وأجداده، وهو ممن يلعب لعبة السياسة دون خبرة بها ولا بالدين جميعا، وهي ليست بزلة، كما يزلّ بعض علمائنا الأفاضل أطال الله في عمرهم، بل هو موقف اصيل يتمشى مع فهم الرجل المحدود للإسلام.

وطبعة الإسلام التى يروى عنها الرجل ليست هي الطبعة التى يراها أهل السنة والجماعة، والتي كان عليها صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكونه يحكى عنهم لا يجعله سائراً على دربهم ومتبعاً لطريقهم، ونظرة إلى وجهه تغنى عن الكثير من الإستدلال. والرجل لا يرى من الإسلام إلا ما تعاضدت عليه الشرائع واتفقت عليه العقول كحب الجار والعطف على الفقير والإحسان لمن أساء والبسمة في وجه الأعداء، وهي كلها من الأمور التحسينية – على إصطلاح الأصوليين – التي تـُعنى بالأخلاق والآداب وما اليها، ولكنه أغفل في طبعته عن الإسلام ما هو من الأمور الحاجية التي فرضها الإسلام، بل بكل ما هو من الضروريات كالدفاع عن الوطن وردّ العدوان ودفع الصائل وحماية جناب التوحيد والتحذير من البدع، بل الرجل نفسه لا يعرف سنة من بدعة، وقد حاول بعض الشباب من أهل السنة التحدث اليه حين حضر للمشاركة بمؤتمر بدعيّ صوفيّ سنويّ في تورونتو منذ حوالي ثلاث سنوات فرفض لقاءهم لمّا قيل له أنهم من الملتحين المناوئين للصوفية! هذا حال الرجل. فطبعة الإسلام عنده تخلو من البدعة ومن الجهاد ومن العزة، وتمتلئ بمعاني التذلل للنصارى والتقرب من الغرب وإثبات أن ديننا واحد بل وإننا نعبد إلهاً واحداً، أليست المحبة من الإسلام، ثم أليس الحب هو دعوة المسيح، فالإسلام إذن هو النصرانية حذو القذة بالقذة! فسبحان الله فيمن يتحدث عن الصحابة وهو أبعد الناس عن سمْتهم وهديهم.

ونحن لا نعبأ بالرجل ولا بما يعتقد، فمثل هذه الظواهر إنما تنمو في أوان الضعف والتدهور والتفكك، ولا تفتأ تتكشّف جراثيمها وأعطابها إلى أن تقتلها شمس العلم ووهج السنة، ولكن الأمر هو تلك الشبيبة المخدوعة بمثل هذه الصنائع التي ترى في عمرو مثالاً للمسلم المتحضّر الذي يرى الإسلام بعينيّ القرن الحادي والعشرين، وهو إنما يرى من الإسلام ما يرضى عنه أهل القرن الحادى والعشرين، وشتان ما بين الرؤيتين.

ويا حسرة على الشباب الذي باتت تتنازعه أيدى الشيعة من ناحية، والعلمانية من ناحية، والصوفية من ناحية، وإسلام القصّاصين من ناحية.. فلهم الله هؤلاء الشباب، وإلى أهل السنة والجماعة أقول: ألا حي على الدعوة الصحيحة والإسلام المكتمل فإن هؤلاء ما قاموا إلا حين قعدتم، ولا تحدثوا إلا حين سكتم ولا برزوا إلا حين انتكستم.

ولنا رجعة إلى السويدان إن شاء الله تعالى.

<u>توابع فتنة القصاصين وزوابعها</u>

رغم القبول الواسع الذي تلقى به الشباب المسلم ما علقنا به على فتنة "عمرو خالد" إلا أني تلقيت رسالة من أخ يمثل الشريحة التي اخترقها هذا الرجل والتي هيئ له أنّ ما يقدمه عمرو القصّاص هو الإسلام الذي نزل على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وأنه الإسلام الذى يحتويه كتاب الله وسنة رسوله وأنه الإسلام الذي سنقف به بين يديّ الله سبحانه يوم القيامة. اللهم لا.

والأمر أن مثل هذا الشباب قد شاء قدره أن يأخذ جرعته الروحية من مثل عمرو القصّاص، والولاء دائما هو للمعلم الأول، فإن كان صوفياً فصوفيّ، أو رافضياً فرافضيّ. وهذا النوع من الشباب لم يعرف شيئاً عن الإسلام وعن التوحيد وعن الشريعة وعن الفقه والحديث وعن السنة والبدعة وعن الفِرَق والنِحَل أو غير ذلك مما يجعله يملك القدرة على التمييز بين الغثّ والسمين أو الصالح والطالح، مما كان دوماً المنزلق الى البدعة سواء بحسن نية أو غير ذلك. ولكن حقّ علينا أن نعيد المحاولة مع هذه الفئة من الشباب لعل ذلك أن يحدث لهم ذكرى.

الأمر هو أن الإسلام الذي يقدمه عمرو خالد هو نسخة مختصرة ومحرّفة من الإسلام الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم. فالرجل لم يقدم لنفسه باي درجة من درجات العلمن بل تحدّث قبل أن يتعلم، وهو يعلم أن من يتحدث اليهم – أو جلّهم – لا يعرفون عن الإسلام شيئاً، فلا عليه أن يتحدث وأن يبتكر ما رآه البعض أنه تجديد وتحديث وما هو إلا تحريف وتصحيف.

من ذلك أن أحد هؤلاء الشباب ذكر أن القصص يمثل جزءاً كبيراً من القرأن وهو حقّ ولكن لا محلّ له من موضوعنا، فإن طلب العلم من القصّاصين لا علاقة له بقصص القرآن فإن الحديث عن قصص القرآن يحتاج إلى علم بالتفسير وعلم باللغة وعلم بأسباب النزول وعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي كلها

علوم عريّ عنها صاحبنا عمرو! لهذا فقد أخطأ ملا يحصى من المرات في أحاديث قصصه، كأن ذكر أن مارية القبطية هي زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي ليست كذلك، بل سريته.

ثم إنّ علماء الأمة قد بينوا مكانة أمثال عمرو خالد والسويدان من القصاصين قبل أن يقول قائل كلمته فيهما بقرون، وعليك بابن الجوزى في كتابه "القصاصين والمذكرين"، والحافظ العراقي في " تحذير الخواص من أكاذيب القصّاص" على سبيل المثال لا الحصر، ثم إن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بيّن حكمهم فقد روى بن ماجة بسند حسن "لم يكن القصص في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زمن أبي بكر ولا زمن عمر"، كما روى الطبراني عن خباب بن الأرت رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن بني إسرائيل لمّا هلكوا قصّوا."[3]. أما ما جاء عن السلف فهو أكثر وأشهر من أن نعدّده كقول إمام أهل السنة أحمد بن حنبل في الزهد عن أبي المليح قال ذكر ميمون القُصّاص فقال: لا يخطئ القاصّ ثلاثاً : إما أن يسمّن قوله بما يهزل دينه ، وإما أن يُعجب بنفسه ، وإما أن يأمر بما لا يفعل. بل بلغ أن قال الحافظ العراقي " فيجب على ولاة أمور المسلمين منع هؤلاء من الكلام مع الناس". كما قال مالك بعد أن بيّن كراهيته لإجتماع الناس على القصّاص، قال" يجتمعون على الفقه".

ثم إن الرجل، لخلو عقله وقلبه من الإيمان الصحيح ومعرفة حدّ التوحيد، قد وقع في زلات قاتلة كقوله إن رسول الله "كان بيهزر" في حديث البخارى عن النساء! وعن موسى عليه السلام أن الله "عايز يمرمطه"! هذا ليس بعلم ولا فقه ولا أدب ولا قصص، هذه جراءة على أنبياء الله لا تخرج إلا من منافق عليم أو من جاهل سقيم، ولعل الآخرة أولى تحسينا للظن. ثم ناهيك عن مواقفه من اليهود والنصارى الذين يعتبرهم من الناجين! ويعتبر أن عداءنا لليهود هو بسبب اغتصاب الأرض لا لأن الله تعالى قال فيهم "لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ" المائدة 8.

الأمر أن الدعوةً إلى الله علمٌ من علوم الشريعة، بل هي نتاج التحقق بعلوم الشريعة، وقد قسّم الشاطبيّ العلوم التي يطلبها طالب العلم ثلاثة، أصول العلم ومُلَح العلم ثم ما هو ليس من أصوله ولا من ملحه، فما هو من أصول العلم كالعلم بالقرآن (التفسير سواء بالمأثور أو تفسير القرآن كما في أضواء البيان للعلامة الشنقيطيّ، وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغيرها)، أو علوم الحديث ومصطلحه وأصول الفقه والشريعة ثم اللغة، وهذه العلوم هي التي يجب أن يحصلها طالب العلم ومُلح العلم مثل تتبع عالى السند في الحديث أو الإغراب فيه، أما عما ليس من ملحه ولا صلبه فهو من مثل ما يتحدث به القصاصون من قرّاء "عيون الأخبار" أو "الأغاني" أو "عرائس المجالس للثعالبيّ". فأن يتهجم عليها متهجّم لم يأت من صلب العلوم ولا حتى من ملحها، فيظهر على الناس بوجه الداعية العليم ويتدثر بثوبيّ الزور كما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يوجه الناس إلى الإسلام الأمريكيّ الصهيونيّ بخرافات التقارب بين الأديان وأن أصحاب "الأديان" كلهم ناجون! فهو ما لا يصح السكوت عنه بحال.

وعلى الشباب الذين انتبهوا للإسلام من خلال قصص عمرو خالد أن يعلوا عن هذه المرحلة وأن يحمدوا الله تعالى على نعمة الإسلام ويدعوا الله أن ينجيهم من البدعة، ثم أن يتجهوا إلى طلب العلم من مظانه وعلى أيدى المتحققين به، فالحق أحق أن يتبع.

[3] رواه الطبراني والضياء المقدسي في المختارة وحسنه (صحيح) انظر حديث رقم: 2045 في صحيح الجامع

في السياسة

حماس وإزدواجية المواقف

أهم ما أكدته الأحداث الدامية الأسيفة في غزة بين حماس وبين جماعة أنصار الله هو تلك الإزدواجية الحادة في مواقف "الإخوان المسلمون" – وربما الإسلاميين بشكل عام – وتعاملاتهم، والتي ظهر أنها تتحدد حسب موقعهم من السلطة، وهوية المخالف.

فحماس، كما هو معلوم، تنتمي فكرياً إلى جماعة الإخوان. والإخوان يعتمدون سياسة "المرونة"، و"الحوار"، و"التفاهم"، و"قبول الآخر"، وما ينتمي إلى هذه العائلة من التعبيرات، وتنأئ بنفسها عن "العنف"، و"المواجهة" وما يتخرجّ من هذه التعبيرات. وقد سارت الجماعة على هذه السياسة في تعاملاتها مع النظم الحاكمة، مبررة ذلك التوجه بأنه نابع عن إيمان عميق بهذه المعاني وإسلاميتها. هذا، والإخوان في موقف الضعف السياسيّ، وهم أبعد ما يكون عن تولي السلطة في أي دولة من الدول التي لهم فيها تواجد حاليّ.

وقد سارت حماس في غير طريق الإخوان من تصدِ للعدوان، والوقوف في وجه الفساد والخيانة المتمثلة في السلطة الفلسطينية، وشاء الله لهذا الموقف أن يثمر، وأن يكون لها اليد العليا في غزة، بعد تضحيات الشعب الفلسطينيّ البطل في غزة *بكافة إتجاهاته* وتوجهاته. ولم تتخل حماس عن مفاهيم الحوار والمفاوضة فإستقبلت، وهي في موقع السلطة، شخصيات غربية للتحاور مع فارق الدين والهدف، بل وقبلت أن تضع يدها بيد الرافضة الأخابث، الناشرين للبدعة والداعين لهدم السنّة **!**

وعند الإختبار الأول لدعوى الديموقراطية، وسعة الصدر، و"المرونة"، و"الحوار"، و"التفاهم"، و"قبول الآخر"، سقطت حماس، وإتخذت موقفاً في غاية من العنف والقسوة تجاه جماعة محدودة العدد والعدة، لا قِبَل لها بأي تحد سافرٍ للسلطة القائمة في غزة، إن كان لتلك السلطة قوة حقيقية تحت الظروف القائمة.

لقد فتحت حماس بهذا التصرف الأرعن باب الفتنة بينها وبين إخوانها من أهل السنة، وأنزلت حجب الشك والريبة بينهم، وأقامت ستار دمٍ لا يُسدل بينها وبين بقية الإتجاهات الإسلامية.

ونسأل: اين المرونة والتفاهم وقبول الآخر، واين الديموقراطية التي ارتضوها كمذهب سياسيَ، ولا نقول أين الإخوة الإسلامية التي تحرّم دم المسلم على المسلم، وهل تعتقد حماس أنَ هذا الحلّ قد جعل سلطتها المحدودة أقوى وأركز؟ وهل عززت من سيطرتها على القطاع؟ وهل قربت بينها وبين الصهاينة في غرض القضاء على "التطرف"؟ وماذا إذا شعر أهل القطاع بالخوف من مسلحي حماس وكمّموا أفواههم شفقة على أنفسهم، أيبعد موقفهم هذا عن موقف الأنظمة الغاشمة التي قمعت شعوبها باسم الحفاظ على الأمن والأمان؟

ثم، السؤال الأعم والأهم: ماذا نتوقع من الإخوان، إن قدر لهم الله سبحانه الوصول إلى السلطة، تجاه غيرهم من الإسلاميين ومن المخالفين؟ أمر ترتعد له فرائص الإسلاميين قبل العلمانيين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

التكييف الشرعيّ لمواقف الخزى العربيّ

تحدّثَتْ إلى نفسي أن لا أقْرُب هذا الموضوع الذي أنا بصدده، وأن أقنع بما قنعت به كثرة من الدعاة والعاملين في الحقل الإسلاميّ المخلصين لله ورسوله ودينه، بأن أصبغ على النظم العربية اسم الخيانة ووصف العمالة والتبعية والتواطؤ على مصلحة الشعوب، وما إلى ذلك من هذه الأوصاف التي لا تستند إلى كتاب أو سنة ومن ثم لا يتعلق بها عمل شرعيّ. قالت لي نفسي: وما عليك ألا تتبع هؤلاء الدعاة والعاملين في الحقل الإسلامي وكل محب للإسلام منهم في الرضا بهذا القدر، فأنت تعلم أن هذه الأنظمة العربية قد مدّت حدود قبولها للإهانة في الآونة الأخيرة على قدر جرمها وشناعة فعلها، فلن تكون عبرة بين الناس في هذة الأقوال، كما أنه إن خَرَجْتَ على الناس بتوصيف شرعيّ مستند إلى الكتاب والسنة، فهل سيغير هذا من الأمر شيئاً، إلا أن تتعرض وأهلك للرصد ثم الحصد، وأنت تعاني بالفعل من جراء ذلك ما يعلمه الله سبحانه؟ لكن القلب والعقل ردّوا على نفسي مخاوفها وأوهامها، وذكروها بما يتعرض له أبناء غزة الأبطال، وابناء أفغانستان والعراق، ثم عادوا بها إلى ما مرت به صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل ما تعرض له هو ذاته، بأبي هو وأمي، في سبيل كلمة الحق، ثم قول الله تعالى "لتبيننه للناس ولا تكتمونه" فأبيت إلا أن أشارك بهذا القدر الضئيل من الإيضاح للموقف الحالي التي تمر به أمتنا.

والحق أن هذا الموقف الحاليّ ليس غريباً أو مفاجئاً بحال من الأحوال، بل هو تداعٍ منطقيّ لما حدث ويحدث على أرض العرب والإسلام منذ عقود طويلة، من هجر للشريعة واستبدال الشرع الوضعي الذي هو أدنى بحكم الله سبحانه الذى هو الخير كله، وما زالت أمم من الدعاة تلفت النظر إلى حقيقته الشرعية التي غفلت عنها أمم أخرى من الجماهات الإسلامية الكبري، وسارت وراء مبررات تبعدها عن خيمة "التكفير" وكأن "الكفر والردة" لا يوجدان على سطح الأرض أو أنهما ليسا حكمين شرعيين من أحكام ديننا الحنيف!

على كل حال، فإن التكييف الشرعيّ لمن يحكم بغير ما أنزل الله تشريعا وتأصيلا، ويقدم حكم البشر على حكم الله راضيا راغبا غير مكره إكراها ملزماً، ثم يوالي من عادى الله ورسوله ولاء مناصرة ومظاهرة، ويدل على عورات المسلمين ويمنع عنهم العون في حربهم مع عدو الله وعدوهم، كما تفعل رؤوس هذه الأنظمة الحاكمة وأتباعهم ومعاونيهم، فقد خلع الربقة وخرج عن دين الإسلام جملة واستعلن بالردة والكفر.

ذلك أنّ توحيد الله سبحانه يقوم اساساً على إفراده بالعبادة دون غيره، والعبادة هي الخضوع والتذلل وقبول حكم الله في كل الأمر، لا في بعضه، كما حكى الحق تعالى عن حال المشركين بأنهم "يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض" وقال تعالى في سورة محمد: "إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سوّل لهم وأملى لهم ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم"، وقال تعالى "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأؤلئك هم الكافرون". كذلك فإن الولاء لله سبحانه ولرسوله وللمؤمنين هو الركن الثاني في إقامة التوحيد، ثم إقامة النسك والشعائر لله تعالى كالصلاة والزكاة والحج وغيرها من الشعائر التي تتدرج تحت عنوان التوحيد.

قال تعالى في سورة الأنعام مقررا مباني توحيد العبادة – الحكم والولاء والنسك:

أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا الأنعام 43

قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا الأنعام 43

قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا الأنعام 43

"وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ" المائدة 44

"وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" المائدة 45

"وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ" المائدة 47

"وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ" المائدة 49

"أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ" المائدة 50

"أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا النساء" 60

"إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" يوسف 43

"أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ" الأعراف 54

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا النساء 65

اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ التوبة 31

"لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيئ إلا أن تتقوا منهم تقاة، ويحذركم الله نفسه"آل عمران 28

"الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا"النساء 76

"ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله" النساء 89

"الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، أيبتغون عندهم العزة ،فإن العزة لله جميعا" النساء 139

"يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أةلياء من دون المؤمنين" النساء 144

" يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين" المائدة 151

"يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم أولياء" المائدة.57

"ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء" المائدة.81

"والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير" الأنفال .73

وأمر هذه المباني الثلاثة، التحاكم إلى شرع الله سبحانه والولاء لله سبحانه، والتوجه بالنسك والشعائر لله سبحانه (كالصلاة والصيام وغيرهما من الشعائر) هو أمرالتوحيد الذي تنتشر دلالاته في القرآن من أوله إلى آخره. ولا يقول قائل: من أين أتيتم بهذه التقاسيم التي ما أنزل الله بها من سلطان؟ فنقول: الأمر ليس أمر تقسيم متعسّف، وإنما أمر إحصاء واستقصاء، فهذه المعاني الثلاثة لا ينقض عمومها ولا دلالتها على التوحيد مسلم باقٍ على إسلامه. وهي منتشرة مقررة بما يجعلها قاعدة القواعد وأصل الأصول. والقواعد العامة تتقرر بطريقين كما بيّن الشاطبيّ رحمه الله:

1. النصوص إذا وردت، كما في:

- الجمع المعروف بأل: كقوله تعالى: { والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله}.
- الجمع المُعرف بالإضافة: كقوله تعالى: { للذكر مثل حظ الأنثيين}.
- ألفاظ الشرط: كقوله تعالى: { فمن شهد منكم الشهر فليصمه}.
- الأسماء الموصولة: كقوله تعالى: {والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرًا}.
- النكرة في سياق النفي: كقوله تعالى: { لا يسخر قومٌ من قوم}
- النكرة في سياق الشرط: كقوله تعالى: { إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا}.
- ما سبق بلفظ كل: كقوله تعالى: { كل امرئ بما كسب رهين}, وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (كل المسلم على المسلم حرام). وغير ذلك من الصيغ المذكورة بمواضعها.

والجمهور على أن للعموم صيغ مُعتبرة، وأنك تستطيع أن تعبر عن معنى عام بلفظ معين, وخالف المُرجئة وأكثر الأشاعرة، فلم يجعلوا للعموم صيغ إلا بالقرائن والحُجة قائمة عليهم لغةً وشرعًا. كقوله صلى الله عليه وآله وسلم وإقراره لعمرو بن العاص في موضوع التيمم: {ولا تقتلوا أنفسكم}.

إستقراء مواقع المعنى حتى يحصل منها معنى كليّ عام يجرى مجرى الصيغ في العموم. والحق كما بيّن الشاطبيّ أنّ هذا الطريق لإثبات العموم أقوى من مجرد الصيغ إن وردت، رغم أنّ النظر العابر القاصر قد لا يرى ذلك، إذ إن استقراء المعنى في مواضع عدّة وجزئيات متكررة أقوى من وروده في صيغة واحدة وجزئية فردة. وهذا هو موضع القوة في الإجماع وفي التواتر، ولذلك يطلق عليه العلماء التواتر المعنوي. وهذا المعنى قد غاب عن هؤلاء الأدعياء ممن لا يرى الشريعة إلا جزئيات مفتتة لا يربطها رابط، فتراه يعرج على الأدلة واحداً واحداً يفندها بما يراه حقاً ولا يرى ما في تواترها على معنى واحد من قوة. وهو موضع الدليل في قضية الحكم بغير ما أنزل الله. فتواتر الآيات على أن الحكم لله وحده وأن الولاء لله وحده وأن الشعائر والنسك هي لله وحده يجعلها أصل الأصول ويرفعها للتواتر المعنوي وإن جهد جاهد أن يتحايل على مفرداتها بسبب نزول أو مماحكة لغوية.

وقد حلت هذه الكارثة بالعالم الإسلامي في مدخل القرن العشرين بسقوط الخلافة، مما أفقد المسلمين "الدولة المحورية"[4] التي يجتمع حولها جهد الأمة وإمكاناتها، والتي لم تواجهها الأمة في تاريخها إلا لفترة محدودة أيام غزو التتار للعالم الإسلامي.

---

[4] راجع دور الدولة المحورية في كتاب "صراع الحضارات" صمويل هانتجتون ص 207.

ودون الدخول في تفصيل وقع هذا الحدث وآثاره على الأمة، فقد كان من نتيجته ووسائل مقاومته إحياء المبدأ الشرعي "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" بعد أن انعدمت السلطة المركزية التي تحميه وتقيمه، فنشأ ما عُرِف بالجماعات الإسلامية، وهو ما يعيد للذاكرة حركات مماثلة كحركة خالد الدريوش وصالح بن سلامة الأنصارى في بغداد عشية مقتل الأمين العباسي وعهد تولى المأمون العباسي للخلافة[5]. ومن هذه الجماعات "الإخوان المسلمون" في مصر و"الجماعة الإسلامية" في باكستان.

وسرعان ما اكتشفت هذه الحركات، أو ما خرج من تحت عباءتها[6] أن الخلل ليس فقط في عدم وجود الدولة المحورية أو فقدان وظيفة "الإمامة العظمى" كما يطلق عليها فقهاء الإسلام، وإنما في أن البلاد قد وقعت تدريجيا تحت حكم "لا ديني" علماني[7] ينحّى شريعة الله عن الحكم في أمور الناس بعد أن مهد لتقبل هذا الأمر ذلك الغزو الثقافي الإجتماعي الغربي في واقعهم.

وكان من نتيجة ذلك أن اختلطت على الناس أحكام الفقه وأحكام فقه الواقع اللذان يحكمان الفتوى بوجه عام وفقه هذا الأمر بوجه خاص.

ولابد هنا من الإشارة إلى نقطة تتعلق بالشكل السياسي قد أغفلها الكتاب والمحللوّن فيما تناولوه بشأن حكم "الخلفاء" في العصور المختلفة وطرق الحكم في العصر الحديث، مما يبينّ الفرق بين مناطيّ الحكمين بشكل لا يدع مجالا للخلط بينهما. وهذه النقطة تكمن في فهم طريقة "تطبيق الشريعة" خلال العصور السابقة لسقوط الخلافة، وهي التسليم العملي لفتاوى و"قرارات" الفقهاء والمجتهدين والعلماء. لم يكن هناك "قانون" مدون أو "دستور" ينصّ على أن الشريعة هي المرجع الأوحد للأحكام، وإنما هو فهم التوحيد وحدوده ومبادئه التي تملى على الخليفة وعلى الشعوب المسلمة أن يستسلما لحكم الشرع كما يصدر عن العلماء والفقهاء. ومن ثمّ فإن الخليفة "الحاكم" إن أراد أن يتخطى حكم الشرع فإنه يصدر قرارا "تنفيذيا" بعمل ما يريد دون أن يكون لذلك العمل سندٌ "تشريعيٌ" من السلطة التشريعية المتمثلة في العلماء والفقهاء. فالقانون المدوّن كان هو الفقه وموسوعاته وإن لم يطلق عليه لفظ القانون، فكان تجاوزه والخروج عليه خروج عن "القانون".

ولمزيد إيضاح هذه النقطة، فإن النظر في تطور ظهور القوانين المدونة خلال القرن التالي لغزو نابليون لمصر حيث أدى الغزو لتبنى سياسة "التحديث" بجلب المستشارين، وأكثرهم من المستشرقين، في كافة المجالات لتطوير الدولة بما في ذلك القانون. وقد كانت الدول التي تصدّر هؤلاء "الخبراء" من القوة بحيث فرضت أن لا يتبع مواطنوها تشريعات الدولة المصرية فكان أن نشأت المحاكم المختلطة، وكان أن صدرت مجلة "الأحكام العدلية" والتي بدأ فيها تدوين القانون وتقسيمه إلى مدني وجنائي وغير ذلك متابعة لشكل القوانين الأوروبية. ومع انتهاء الحرب العالمية الأولى، وبعد سقوط الخلافة، كانت سلطة الدولة قد ضعفت إلى أقصى حدّ وبدأ الناس في اللجوء إلى المحاكم المختلطة وبحلول منتصف الخمسينيات من القرن العشرين صارت المحاكم المختلطة هي المتصرفة في أمور المسلمين وأُلغيت المحاكم الشرعية بالكلية.

ومن الواضح الجليّ أن شرع الله ﷻ كان هو المتحكم في حياة المسلمين حاكما ومحكوما برغم اقتراف بعض الحكام إنحرافات "تنفيذية" لا "تشريعية" قد صنّفها أهل السنة والجماعة لهذا السبب ذاته على أنها "معاصى" و"ذنوب" لا تخرج حاكما ولا محكوما من الملّة. إلا أن الأمر كما رأينا تطوره التاريخيّ قد تحول إلى تنحية كاملة "مقننة" للشريعة الإسلامية عن برامج حياة المسلمين وهو ما يمثل "مناطا" مختلفا أشدّ الإختلاف عما كان عليه الأمر سابقا.

[5] راجع "تاريخ الدولة العباسية للشيخ الخضري ص191.
[6] راجع مقالنا "الإخوان المسلمون في نصف قرن" المنار الجديد عدد 11.
[7] تعبير العلمانية يتطابق مع "اللادينية" لا مع العلم كما هو معلوم

ولا شك أن العجز عن التفرقة بين المناطين يؤدى إلى خلط شديد في الأوراق وغبش في تقدير حقيقة الأوضاع السالفة القائمة جميعاً.

لا شك أن المسلمين ممن يخشون الله ورسوله، ودع عنك من رضي منهم بالحياة الدنيا واطمأن بها، قد استبانت لهم طريق الخلاص من هذا الخوان والإستغمار الذي يعيش فيه المسلمون في بلادهم، فإن العدو الحقيقي هو هذه النظم العربية الخارجة عن الشرعية الإسلامية خاصة منها التي تجاور الشعب الفلسطيني الباسل، بعد أن أفصحوا عن كل الولاء والمظاهرة والنصرة للصهاينة بل ألبوهم عليهم وعملوا على تجويعهم ومنع الماء والدواء والسلاح عنهم، فليس بعد هذا من نصرة ومظاهرة للمشركين. كما أن محمود عباس ميرزا وعصابته قد دلوا اليهود على مواقع حماس، وهو كشف لعورات المسلمين يدل على الكفر كما ورد في قصة الصحابيّ حاطب بن أبي بلتعة، الذي أراد عمر أن يقطع رأسه لأنه حذر المشركين من أن يخالفوا عن أمر محمد صلى الله عليه وسلم لأن ذلك سيكون حسرة عليهم إذ إن رسول الله متوجه اليهم بجنود لا قبل لهم بها، فكان هذا التحذير محل التكفير ومدعاة للقتل، لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر عن ربه أن أهل بدر ومنهم حاطب، قد غفر الله لهم، ولا نعلم أن محمود عباس ميرزا من أهل بدر حتى يلحقه هذا الإستثناء من الكفر.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى

<u>التهدئة والمفاوضة والمصالحة ...في الواقع الفلسطينيّ</u>

يتحدث كثير من كتابنا و"مفكّرينا" عن ضرورة الإرتفاع فوق الخلافات الشخصية وفوق جراح الماضي بين الإخوة الفلسطينيين، حتى يمكن أن تعود المياه إلى مجاريها ويقف الفلسطينيون يداً واحدة ضد العدو الصهيونيّ.

حديث تتقبله النفس ويدغدغ العاطفة ولكنه لا يرقي إلى مستوى العقل ولا يلامس أرض الواقع بحال من الأحوال. والسبب في هذا أن كتابنا و "مفكّرينا"، الذين يتحدثون هذا الحديث، إما إنهم لا يعرفون طبيعة الخلاف بين سلطة رام الله العباسية، وبين حكومة غزة الحماسية، أو يتجاهلون طبيعة هذا الخلاف لأمر في نفس يعقوب (مع الإعتذار لنبي الله يعقوب).

وحتى أُقرب الأمور للقارئ العزيز، فإنني أقرر بادءاً ذي بدأ بأن الخلاف في الساحة الفلسطينية-الإسرائيلية هو خلاف بين ثلاثة جبهات، الجبهة الإسرائيلية اليهودية، والجبهة الفلسطينية العلمانية اللادينية، والجبهة الفلسطينية الإسلامية.

فالجبهة الإسرائيلية اليهودية تتحدث عن **"<u>تهدئة</u>"** مع "الجبهة الفلسطينية الإسلامية" بقيادة حماس، وتتحدث عن **"<u>مفاوضات</u>"** مع "الجبهة الفلسطينية العلمانية اللادينية" بقيادة فتح العباسية، وهذه الأخيرة تتحدث عن **"<u>مصالحة</u>"** مع "الجبهة الفلسطينية الإسلامية" بقيادة حماس**!**

ثم أقرر كذلك أنّ الخلاف بين هذه الجبهات الثلاث متساو في عمقه واتساعه وأبعاده الأيديولوجية. "فالمصالحة" بين الجبهة اللادينية الفلسطينية وبين الجبهة الفلسطينية الإسلامية ليس باقرب تحققاً على أرض الواقع من "التهدئة" بين الكيان الإسرائيلي وبين هذه الجبهة الأخيرة. بل أزعم أن تلك التهدئة هي أقرب للواقع من تلك المصالحة الحالمة، وهو ما ظهر إبان العدوان على غزة المسلمة من تعاون القوى اللادينية في كافة أنحاء بلاد المسلمين وعلى رأسها الجبهة الفلسطينية اللادينية ضد غزة.

ذلك أنّ الكيان الصهيونيّ – رغم جبنه وخداعه – إلا أنه كيان قائم فرض نفسه بالقوة، وعليه أن يراعي مصالح شعبه، فلا باس عليه أن يبرم تهدئة مع المقاومة الفلسطينية الإسلامية، لكن الجبهة الفلسطينية العلمانية اللادينية هي

بطبيعتها وجود ضعيف يحاول أن يجد لنفسه مكاناً على الساحة الحاكمة، بمساعدة النسبة التي تناصره من الفلسطينيين الذين اتخذوا العلمانية سبيلا. وبنفس المنطق، فإن "المفاوضات" بين اللادينيين الفلسطينيين وبين اليهود الصهاينة أقرب للواقع وأسهل تحققا من "المصالحة" بين الإسلاميين وبين اللادينيين. والحق أن الجبهة اللادينية الفلسطينية لا طلبات لها من العدو الفلسطينيّ أكثر من كلمات تحفظ بها ماء وجهها أمام بعض من ظل يحسب أن لها كرامة ووطنية من أتباعها من الفلسطينيين ممن تخلوا عن الإسلام ورضوا بالوطنية اللادينية بديلا، وهو ما يفسر خروج عباس يوم أمس بإشتراط وقف الإستيطان لبدء "المفاوضات"! حركة سياسية يُراد بها إثبات أن هذه الجبهة اللادينية لا تزال على قيد الحياة، وأن "المفاوضة" حقيقة واقعة كما أن "التهدئة" حقيقة واقعة.

كلّ من يعرف الفارق بين الأيديولوجية اللادينية التي تسعى لبناء حكومة عميلة أخرى على نهج الحكومات الخاسرة العميلة التي تعج بها المنطقة العربية، وبين الأيديولوجية الإسلامية التي تتبع نهج الله ورسوله، وتحاول أن تبني شعباً ودولة ذات قوة وكرامة يعلم أن ليس هناك أي قدر مشترك بين الجبهتين، لا مصالحة، ولا قواسم مشتركة، ولا رتق للإنقسام، فالأمر أكبر من ذلك. الأمر أن لا مرجع مشترك بينهما، جبهة لادينية مرجعها هو المصلحة الشخصية وعالمها هو الدنيا وهدفها هو السلطة والبقاء على سدة الحكم، وجبهة مرجها هو شرع الله ورسوله، وعالمها يشمل الدنيا كطريق للآخرة، وهدفها سيادة دين الله في الأرض وصالح أبنائها من المسلمين.

هذا الفارق الهائل – لمن لم يلحظ من مفكرينا وكتابنا – هو ذات الفارق الذي تعاني منه الدول الإسلامية الأخرى التي لا يزال كثير من أبنائها على ولائه وحبه للإسلام، وإن عزف الكثير عن الإسلام الذي يحكم الحياة ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة، وكانوا – من حيث يعلمون أو لا يعلمون – اليد الباطشة للجبهة اللادينية الأوسع في أنحاء العالم الإسلاميّ.

التهدئة والمفاوضة والمصالحة - (2)

الطابور الخامس

قررنا فيما سبق الأطراف الثلاثة الذين تجري بينها المصالحة و المفاوضة و التهدئة، حسب موقع كل منهم من الآخر. ولكن يجب علينا بعد هذا البيان أن نوجه كلمة خاصة نهمس بها في آذان قيادات حماس، فإن صديقك من صَدَقَكَ لا من أغمض عن هفواتك وأخطائك. و حماس اليوم في موقع صعب بكل ما تحمله الكلمة من معان، فالأطراف المتصارعة معها أقوي إما بالعتاد والسيطرة على الأرض والموارد، وإما بالخيانة والقدرة على التلاعب بمقدرات المسلمين للوصول إلى سدة الحكم ولو كانت أطلالا بلقعا خرابا.

وما نهمس به في آذان قيادات حماس هو تساؤل عن ذلك الموقف الغامض من إيران ، وما أدراك ما إيران؟ ماذا وراء تلك الزيارات التي يقوم بها كبار مسؤولي حماس إلى إيران؟ ما هو مدي تغلغل النفوذ الرافضي في المصالح الفلسطينية؟ وما هي طبيعة الوعود التي قطعتها إيران لحماس، وفي مقابل ماذا؟ وهي علاقة لا نحسب أنها موهومة خاصة إذا قرنّاها بموقف الإخوان في مصر من المدّ الرافضيّ

أسئلة تحتاج إلى إجابة، نحن على يقين من أننا لن نحصل عليها في القريب العاجل لأمر أو لآخر، ولكن ما يجب علينا أن نحذّر حماس وقياداتها من تداعياته هو التعامل مع الرافضة أو إقامة تحالفات معهم تكون بمثابة حصان طروادة الذي يَلِجون منه إلى قلب الأمة السنَّية، أو طابوراً خامساً يعبث بعقيدة الأمة وثوابتها، وهو مخططهم ما بقي فيهم عرق ينبض، وهو ما رأينا آثاره في العالم السنيّ مؤخراً وما حذر منه عقلاء هذه الأمة العارفين بتاريخ الرافضة وخساسة أهدافهم.

نعم، خذلت المجموعة العربية الحاكمة غزة في أحلك المواقف، وغلّت يدها عن مساعدة المسلمين، بل وبسطت يد العون إلى الصهاينة ضد مسلمي غزة وقطعت عنهم، ولا تزال، الدواء والغذاء والكساء بما يعرفه الجميع، ومما لا

داع لتكراره لما يجلب من إشمئزاز النفس وإحباطها، كما تمالأت القوي العلمانية الفلسطينية على إخوانها وعشيرتها وأبناء جلدتها لتسقط الحكومة الوحيدة المنتخبة ديموقراطيا في الساحة العربية التي تعج بالفساد والطغيان والإنحطاط.

ولكن الأمر أن اليد التي تمدها إيران في هذا الموقف المظلم ليست يد العون والحماية بل هي يد الغبن والنكاية، وما موقفهم من سنيّ طالبان ببعيد. والرافضة لم ولن يخلصوا لسنيّ ابداً مهما كان الأمر، خذوها مني صريحة صحيحة. إنما هي إستراتيجيات يتحركون بها في العالم السنيّ لنشر أحابيلهم وباطلهم، ولو إستطاعوا لسحقوا الوجود السنيّ بكامله بما فيه حماس وقياداتها. فهؤلاء لا عهد لهم ولا أيمان، وهم يتلفعون برداء الإسلام ليدسوا من تحته السمّ في الدسم، إن كان فيما يقدمونه دسم إبتداءاً!

قد يكون التحرك "الحماسيّ" تجاه الرافضة من قبيل الحيلة السياسية لتخويف الحكومات العربية من إن رفع أيديهم عن الوضع المخزيّ في غزة سيكون من جرّائه لجوء أولئك إلى الحضن الرافضيّ، وجلب القوي الإيرانية إلى الجوار العربيّ، مما يحفز هذه الدول على إستمرار الجلوس على طاولة المفاوضات مع حماس. وهو تحليل غير مستبعد، ولكنه كذلك محفوف بالمخاطر لما ذكرنا من أن اليد الرافضية في هذا السيناريو هي العليا، وسيتقبل الرافضة أي كسب على أرض السنّة بأقل ما يمكنها أن تبذل في سبيله.

الأمر هنا، كما سبق أن ذكرنا وحذرنا، هو أمر عقيدة قبل كلّ شيء وبعد كلّ شيء، والبعد السياسيّ يجب أن يخضع للمنظور العقديّ دائما وعلى كلّ حال. ونسيان هذا البعد، أو تهميشه أو تطويعه لغيره ليس أولا من منهج أهل السنة بحال، كما لا ينشأ عنه خير ولا نجاح، وما تجربة الإخوان منا ببعيد!

فالحذر الحذر، يا إخوة الإسلام والجهاد في حماس، من طابور خامس ينخر في الجسد السنيّ الذي إهترأ أصلا من كثرة الفساد الذي يشيع بأنحائه، والله وحده المستعان فهو نعم المولي ونعم النصير.

الواقع الفلسطينيّ في ضوء المؤتمر السادس لحركة فتح

لم تكن النتائج التي تمخض عنها الإجتماع السادس لمركزية فتح مفاجأة لأحد، خاصة بعد أن سبقت ذلك المؤتمر تزكية محمود عباس لرئاستها، إذ بذلك تكرّس الإتجاه الذي يرضى - بل ويساعد – السيطرة اليهودية الكاملة دون مقاومة بأي شكل من إشكالها، إلا تلك الكلمات المزوقة الملفقة التي تتحدث عن الثورية والتحرر دون ذكر المقاومة بمعناها العرفيّ واللغويّ، التي تعني المقاومة المسلحة، ولا حتي التهديد بها! ثم جاءت النتائج لتؤكد هذا المصير بإنتخاب محمد دحلان – العميل اليهودي المعروف – كعضو في المركزية! ولسنا بحاجة إلى القول أن لجنة مركزية تجمع عباس ودحلان لا تحتاج كثير جهد لمعرفة إتجاهها دون اللجوء إلى اية بوصلة سياسية!

ويلزم لتقيّم الموقف الفلسطينيّ الراهن أن نأخذ بعين الإعتبار تلك التصريحات الأخيرة التي أطلقها عضو فتح فاروق القدوميّ، صاحب التاريخ الطويل في هذه المنظمة كرئيس دائرتها السياسية، في يوليو الماضي، عن مؤامرة دحلان وعباس مع السلطات الإسرائيلية لإغتيال عرفات لتمرير الأجندة الحالية والتي تقضي بإنهاء خط المقاومة بشكل نهائيّ وتكريس الإستسلام للمخطط الإسرائيليّ الذي اعلن رفض التفاوض سلفاً! فإن هذه التصريحات تتفق إتفاقاً تاماً مع أي تحليل منطقيّ للواقع الفتحاوي الحاليّ، وتجمل في طياتها دليل صحتها.

ورغم أن منظمة فتح لم يكن لها توجه إسلاميّ في يوم من الأيام، بل، كما هو معروف، قد بني هيكلها على العلمانية اللادينية منذ تأسيسها، إلا أنها كانت، في عهد عرفات، لا تزال تسير بوقود الدفعة الأولي التي تأسست عليها، وهي

المقاومة والتحرير، والتي كانت هي المسوّغ الوحيد لوجودها أصلاً، وهو الأساس الذي كان من الصعب على عرفات أن يحيد عنه حيدة تامة، لأنه رأي أنّ ذلك سيفقده ويفقد الحركة سبب وجودا وبقائها، فكان من اللازم أن يختفي عرفات من الصورة، وأن يتولى من هم أدني إنسانية وأعرق خيانة لإنهاء حالة الصراع الفلسطيني الصهيوني بالإستسلام الكامل التام وغير المشروط لأجندة الصهيونية بإستعباد الفلسطينيين في أرضهم، وتحويلهم إلى قوى عاملة لصالح اليهود حتى يتم القضاء عليهم جملة واحدة. وهي المؤامرة التي وقفت حركت حماس واستقلالها بغزة في سبيل تحقيقها بالسرعة والتعتيم المطلوبين. وكان قرار عقد المؤتمر دون حضور ربع اعضائه دليلا على التصميم على المضي في المؤامرة مهما كان الثمن من ناحية، وأنّ عقد هذا المؤتمر كان هو الحلّ الوحيد لتجاهل وجود حركة حماس وتأثيرها في الأحداث من ناحية أخرى.

والأمر الآن هو القوى التي تراهن عليه مجموعة عباس ودحلان لتمرير برنامجها، وهي تتركز في القيادات الفلسطينية اللادينية والعميلة، ومن وراء هذه القيادات قوى شعبية منها من هو مخدوع واهم، أو آمل حالم، ومنها من هو متسلق نفعيّ يرجو تحقيق كسب ماديّ. كذلك الرهان على القوى الصهيونية التي تعرف توجهات هذه المجموعة وتراهن بدورها عليها في عدم منح الفلسطينيين أي حقوق ضائعة سواء حق العودة أو القدس الشرقية التي رفضهما العدو الصهيوني رفضاً قاطعاً، وهو ما يعزز فكرة أنّ المجموعة العباسية الدحلانية قد رضيت بهذا التنازل فعلا، أو حتى وقف الإستيطان ومبدأ نزع الأرض الفلسطينية التي هي الورقة الأخيرة في سلسلة التنازلات التي يركز عليها العدو عمداً لتكون محوراً أحادياً لما يسميه المفاوضات.

خلاصة القول أنّ الوضع الفلسطينيّ لم يكن أضعف ولا أبعد عن التأثير في الحلّ منه في هذه المرحلة، والسبب في هذا ليس قوة حدثت في العدو الصهيونيّ، بل بسبب الخيانة والعمالة، وأساساً بسبب كراهة هذه المجموعة العلمانية للإسلام الذي هو الأيديولوجية الوحيدة التي يمكن أن تقف في وجه الأيديولوجية اليهودية الصهيونية الصليبية التي تريد بأهله السوء والدمار، فالدولة الدينية لا يقف في وجهها إلا دولة تقوم على العقيدة التي تحمى الأخلاق وتفضح الخيانة وتكشف العمالة. ولم يعد أمام الأحرار من الفلسطينيين، بعد خروج العرب تماماً من معادلة المقاومة، إلا الحفاظ على إسلامية غزة وتطويرها ومساعدتها على تجاوز محن الإنشقاقات الجانبية بين الإخوة الأشقاء في الإسلام للوقوف في وجه الإختراق العباسيّ الدحلانيّ.

النفاق الغربيّ على المسرح السياسيّ

حدث في الأيام القليلة الماضية حادثان على المسرَح السياسيّ إن دلاّ على شيئ فإنما يدلان على فحش النفاق الغربيّ الذي يستخفي وراء دعاوى ساقطة عن الحرية والصواب السياسي (Political correctness) وكلّ هذه الكلمات التي لا حقيقة لها ولا واقع يسندها.

أما الحدث الأول فهو تلك الفضيحة السياسية الحضارية في منح الرئيس الأمريكيّ باراك أوباما جائزة نوبل للسلام قبل مرور عام واحد على توليه السلطة! جائزة نوبل للسلام للرجل الذي أمر في نفس الأسبوع بتصعيد الحرب في أفغانستان بإرسال مزيد من قوات الإحتلال قدرها 30 ألف جنديّ!

الرجل التقي حامد كرزاي – رأس الفساد ومثال النفاق – ولا يزال يدعم حكومته، وهو يعلم أنه يدير حكومة تعتبر مثالا يحتذى في الفساد الحكوميّ وسوق بيع المخدرات. أوباما لم ينكر ولم يغيّر أي من السياسات الأمريكية في العراق، ولم يعلن عن اي جدول للإنسحاب منها، بل لا يزال على خطى سلفه في التخطيط للبقاء الأبدي بصورة او بأخرى في بلاد الرافدين لإستنزاف خيراته والتسلط على بقية الدول المحيطة. أوباما لا يزال على تأييده للإستيطان والحصار الإجرامي على مليون ونصف عربي في غزة – بالتعاون مع الأنظمة المحيطة العميلة - في أكبر فضيحة لغياب الضمير العالميّ. ثم يحصل أوباما على أعلى جائزة عالمية للسلام! إن لم يكن هذا نفاقٌ فبالله عليكم ما هو النفاق؟

والحدث الثاني هو تلك التصريحات التي زلزلت الحكومة الكندية المنتمية لليمين المسيحي المتطرف، والتي أدلى بها ريتشارد كولفن، المساعد السابق للسفير الكندي في أفغانستان والتي كشفت عن دور القوات الكندية في تسليم المعتقلين الأفغان – الذين ذكر كولفن أن غالبيتهم العظمى من الأبرياء! – للجهات الأمنية الحكومية الأفغانية التي

تقوم بدورها بتعذيبهم تعذيباً شديداً. ويواجه وزير الدفاع الكندي بيتير ماكاي إحتمال الإستقالة من جراء هذه الفضيحة. والأمر أن كندا الرسمية تتدعى أن لها سجل لا غبار عليه في مجال إحترام حقوق الإنسان بينما تقوم قواتها بتسليم المعتقلين إلى جهات تعلم علم اليقين أن القائمين عليها أقل من يوصفوا بالبشرية في التعامل مع مواطنيهم.

ورغم أنّ هذه المعاملة اللاإنسانية هي من قبيل العادة في بلادنا الإسلامية إلا أن الفارق أن الحكومات الشرقية لا تدعى الحفاظ على حقوق الإنسان، ولا حريته ولا كرامته، وليس لها سجل يُخشى عليه محلياً ولا دولياً، ولكن الحكومات الغربية تنافق بمثل هذه الإدعاءات، والتي إن كان لها ظل من الحقيقة فإنما يكون في حقّ مواطنيها لا غيرهم خاصة إن كانوا من أهل الإسلام الذين تخلت عن حقوقهم حكوماتهم وأهدرتها. وكما يقال: بين الشرق والغرب، يا قلب لا تحزن.

<u>أوباما .. والسياسة الأمريكية</u>

انتهت الإنتخابات الأمريكية وما صاحبها من صخب وضجيج وفرح وترقب وأمل، ساد أوساط العامة في أمريكا وفي أنحاء العالم كله، وما ذاك إلا نتيجة سياسة بوش الذي ضحى فيها بمصالح قومه والعالم أجمع لتحقيق مكاسب مادية شخصية، والتمكين في ذات الوقت لما أملته عليه طغمة المسيحيين المتطرفين "الأفنجليكال" والتي تؤمن بأن المسلمين هم أعداء المسيح "Anti Christ" وأنه يجب الخلاص منهم والتمكين لليهود في فلسطين إستعداداً لنزول المسيح!

وكان أن تشكلت ظاهرة أوباما، وهي ظاهرة تستحق أن يقف عندها الباحثون لدراسة أبعادها، ولا أقصد "بظاهرة أوباما" الرجل نفسه، ولكن أقصد ظاهرة صعوده البرقيّ واستخدامه لوسائل إعلامية في الإنتخابات أجمع المتخصصون الأمريكيون أنها جديدة وفعّالة. أما عن الرجل نفسه فلعلنا نتحدث عنه في وقت لاحق إن شاء الله.

وما أذهلني وأثار مخاوفي هو تلك اللهجة الآملة التي تحدث بها بعض مفكرينا ومثقفينا عن سياسة الرجل المرتقبة، خاصة تجاه العالم الإسلاميّ. بل تعدى ذلك إلى الجماعات الإسلامية التي رحبت ترحيبا شديداً بإنتخاب الرجل على رأس الإمبراطورية الإمريكية بصفته أسود وله "جذور إسلامية"!

أن نفرح بنهاية مجرم الحرب بوش وانتهاء حقبته السوداء الني كانت كابوساً على العالم كله فهو أمر، وأن يكون أملنا في حدوث أي تبدّل في السياسة الأمريكية تجاه الإسلام والمسلمين لهو أمر آخر يعكس سذاجة مضاعفة في التصور السياسيّ.

الرجل تبرأ من أصوله الإسلامية بشكل تام ونهائي، وحرص على أن يظهر كنصرانيّ متديّن ينتمي لكنيسة يعتادها وأهله على الدوام، ثم كانت آخر خطبة ألقاها ليلة إنتخابه هي كلمته أمام اللوبي الصهيونيّ، وهي لفتة لها معناها لتهدئة روع اليهود، ثم كان أول رجل تم تعيينه في إدارته هو رام إيمانويل يهوديّ من أصل إسرائيلي خدم في إسرائيل إبان حرب الخليج الأولى لتأدية خدمته العسكرية الإسرائيلية المفروضة على اليهود مهما كانت جنسياتهم. والبقية تأتي.

أمر السياسة الأمريكية ليس أمر أن أوباما أسود أو أحمر، أمر السياسة الأمريكية أعمق من ذلك بكثير، ولو ربطنا هذه السياسة بلون الرئيس الأمريكيّ لكنا نضيف خطأ على أخطاء.

هناك خطوط حمراء لا يستطيع أي رئيس أمريكي أن يتجاوزها مهما كانت اتجاهاته الشخصية، ذلك إن افترضنا أن اتجاهات الرجل "عربية إسلامية"!!! فالسياسة الأمريكية سياسة مؤسساتية تقوم على قرارات جماعية تحكمها مصالح عليا تتمثل أول ما تتمثل في الحرص الأبدي على مصلحة إسرائيل وأمنها مهما كان الثمن، هذا البعد لم ولن يتغير مهما تغير لون جلدة الرئيس الأمريكيّ.

أعتقد أننا كأمة نكرر نفس الخطأ الذي نقع فيه كلّ مرة يتبدل فيها زعيم في دولة كبري، طبعا لا في مصر إذ إن مصر لا يتبدل فيها الزعماء!، وهو في نظرى هروب من مواجهة المشكلة الداخلية التي تستدعي حلاً داخلياً باللجوء إلى الخارج للبحث عن المخلّص، ولو كان على رأس المنظومة الأمريكية الصهيونية!

دعونا لا نقع في ذات الخطأ الذي جعل بعضنا يرى في "الخميني" الرافضي قائد الفتح الإسلاميّ المرتقب، ثم أفاق ليجد الرافضة ينهشون في لحوم أهل السنة على إتساع الخريطة الإسلامية!

ثلاثيّ الخداع – أمريكا، إسرائيل، إيران

من أحدث ما نُشر في الولايات المتحدة عن الخريطة السياسية للثلاثيّ الصليبيّ-الصهيونيّ-الرافضيّ، كتاب بعنوان The Treacheous Allies أي "الحلفاء المخادعون"، لكاتبه تريتا بارسي "Trita Parsi"، مدير مركز العلاقات الأمريكية الإيرانية، والذي تناول فيه العلاقات الثلاثية المريبة التي لا زالت تتأرجح بين الود والتقارب باطناً، والعداء والتباغض ظاهراً.

والكتاب غنيّ بالمعلومات الموثقة والتحليل الدقيق لتلك العلاقة المشبوهة لا يتسع المقام لسردها كلها، ولكن نكتفي بقدر يدل على ما سبق أن تحدثنا، وتحدث العارفون، عنه، ألا وهو أن مسؤولي الرافضة ليسوا حماة الإسلام في العالم، بل هم مديرو مشروع الدولة الصفوية الحديثة التي لا تشغلها هموم الفلسطينيين إلا بقدر ما يحقق لهم التوسع الجغرافيّ، يقول الكاتب: "وبإدراك أن المصلحة الوطنية تعلو (لدى الدولة الإيرانية) على ما عداها، اقتنعت أنّ كل قنوات التفاهم مع الولايات المتحدة يجب أن تُفتح، وليكن الوسطاء الإسرائيليون طريق إلى ذلك، ويجب أن تكون كلّ هذه الإتصالات سرية للغاية حتى لا تدمر صورتها (أمام مسلمى العالم)" ص101. ثم يبين الكاتب سبب صورة العداء الرافضيّ الإسرائيلي التي تروجها إيران، يقول "إنّ مفتاح الدعاية العدائية الإيرانية لإسرائيل يكمن في رغبة إيران فى رفع الضغط العربيّ عنها ... وخلافاً للشاه، فإن القيادة الثورية لم تجد سبيلا إلى فتح علاقات رسمية مُعلنة مع إسرائيل لأن في ذلك تهديد لعلاقتها مع العرب .. الشارع العربي (على وجه التحديد)".

وقد أوضح الكاتب أن تلك الأيديولوجية التي رسمها قواد الثورة الرافضية، قد بدأت خطواتها في الشهور الأولى من الثورة، يقول: "وبعد شهور من الثورة، ورغم قطع العلاقات بين إسرائيل وإيران، فقد عرضت إسرائيل أن ترسل دبابات أمريكية كان الشاه قد أرسلها لإسرائيل للصيانة، وقد قبلت إيران العرض"ص94، ويقول: "وقد تزايد الشعور بإنقطاع الصلة بين ما تدعيه إيران من عداء لإسرائيل وما تمارسه من علاقات معها في الخفاء، فبينما كانت إيران تدين إسرائيل علنا، فقد كانت تقيم معها علاقات في السرّ ... فكان المفتاح الرئيس للسياسة الخارجية الإيرانية هو العداء الهائج للدولة الصهيونية مع التعاون معها على المستوى العمليّ (عن مقابلة مع مساعد مستشار الأمن للمجلس الثورى عام 2004)"ص95.

وهذا الموقف الرافضي من التعاون مع القوى المعادية للإسلام يمثل جزءاً لا يتجزأ من تاريخ الروافض، فقد كتب بن تيمية في كتابه العظيم "منهاج السنة النبوية": "..لا سيما الرافضة فإنهم أعظم ذوى الأهواء جهلا وظلماً .. تجدهم يعاونون المشركين وأهل الكتاب على المسلمين من أهل القرآن كما جربه الناس منهم غير مرة في مثل إعانتهم

للمشركين من الترك (قبل العثمانيين) وغيرهم على أهل الإسلام في خراسان والعراق والجزيرة والشام وغير ذلك. وإعانتهم للنصارى على المسلمين في الشام ومصر في وقائع متعددة من أعظم الحوادث في المائة الرابعة والسابعة ..وهكذا معاونتهم لليهود أمر شهير حتى جعلهم الناس لهم كالحمير"ج1-ص7-8.

ولقائل أن يقول: لكن كثير من الأنظمة العربية يتعاون مع إسرائيل، بل يحرص على المصلحة اليهودية أكثر من اليهود أنفسهم! فلم الكيل بمكيالين؟ فنقول: لأن هذه الأنظمة العميلة الساقطة لا تدعي الإسلام ولا تعمل تحت لوائه، بل تعلن علمانيتها صريحة وتنتصر لها من خلال أحزابها وكتابها ومؤسساتها. بينما النظام الرافضي كالثعبان الزلق، يعلن الإسلام ظاهراً ليغش العامة ويبطن نشر الرفض بينهم ليصل إلى تحقيق الحلم الصفوي، لا قدر الله.

حماس .. بين مطرقة اليهود وسندان الرافضة

كنت كلما قرأت عن علاقة محتملة بين "حماس" والقوى الرافضية الإيرانية أبت نفسي أن تصدق مثل هذه الأخبار بل وأخذت أردّها إلى قوى معادية للحركة الإسلامية تريد أن تربط بين النقيضين لتضرب الإسلاميين تحت ستار التعاون مع القوى الفارسية، إذ كيف يتوافق مسلم سنيّ يحمل توقير الصحابة ويؤمن بحفظ القرآن الكريم من التحريف ويحفظ للإئمة الأعلام كالبخاري ومسلم مكانتهم، أن يضع يده في يدِ من كفّر الصحابة وسبّ أمهات المسلمين واعتقد تحريف القرآن ووضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمن بخرافات صبيانية كدخول الإمام كهفاً وانتظار خروجه كلّ عام! ولكن ما زالت الأنباء التي تتحدث عن مثل هذه العلاقة تقوى وتتأكد حتى أصبحت حقيقة لا مفر من الإقرار بها والعمل على فهمها والتعامل معها بشكل أو بآخر.

ومع ما يعتصر النفس من ألم لما يحلّ بغزة الصامدة من حصار صهيونيّ-عربيّ، ومع ما تقدمه حماس من تضحيات في سبيل الموقف الفلسطينيّ المسلم، ومع الخذلان المخزى الذي تقفه الحكومات العربية "المسلمة" من هذا العدوان المجرم، ومع الإنهيار التام للإرادة الإسلامية الجماعية وللأجهزة التي تمثلها كالجامعة العربية – تغمدها الله برحمته – إلا إنه ليس هناك مبرر يدفع إخوة الجهاد من أهل السنة إلى أن يتعاونوا مع من عادى الإسلام قرونا متطاولة وكان يداً للعدوان على أهل السنة طوال القرون الأربعة عشر السالفة، وهم يشهدون ما يحدث على مرمى البصر منهم في العراق، وما حدث من قبل في تآمرهم على طالبان. ولا يغترّن أحد بما تقوم به عصابات مقتدى الصدر فهي ألاعيب يريد بها الصدر أن يحتفظ لنفسه بمكان في التركيبة الرافضية الحاكمة، وأن يكرّس التدخل الفارسيّ في العراق وأن يقوّض ما قد يريده الصليبيون من إدماج بعض القوى المنتمية للسنّة اسماً في الحكومة العميلة لخداع القوى السنية في العراق والعالم الإسلاميّ.

ونحسب أنّ هذه الزلّة إنما تعود إلى سببين رئيسين، أولهما ما ذكرنا من أزورار الحكومات "المسلمة" العميلة عن تقديم يد العون إلى المنكوبين بالعدوان الصهيونيّ، على حين فتحت حكومة الفرس صدرها ويدها لحماس، وثانيهما أنّ الفكر الإخواني الذي تنتمي اليه حماس لا يزال هو الفكر الإخوانيّ الذي يقبل التعامل مع أنظمة وحكومات تتولى أعداء الله وتعادي أولياءه رغم ما ظهر من استحالة أن يقبل أي نظام علمانيّ حاكم في العالم الإسلامي أن يسمح بأي تواجد رسمي إسلاميّ على الأرض التي يبسط سيطرته عليها، ولسنا في حاجة إلى أن نسرد مواقف الحكومات

العلمانية الحاكمة من الإخوان في مصر وغيرها لندلل على صحة ما نقولـ ولكنها الجرثومة التي تصيب الفكر فتنحى به عن مسار الحق.

ولا زلت أعتقد أن إخوة حماس سيقوّمون هذه العثرة وسيعلمون أن الرافضة لم ولن يكونوا عوناً لأهل السنة في يوم من الأيام، وأن أهل السنة لا يجب أن يكونوا من السذاجة والبله أن يستظهروا بالشيطان على الشيطان، كان الله في عونهم على محنتهم.

<u>من المسؤول الحقيقي وراء أحداث 11 سبتمبر؟</u>

د. طارق عبد الحليم

(1)

لا أشك أن هذا المسلسل من المقالات سيثير جدلا شديدا بين المسلمين في شرقنا الأوسط، بل قد يثير استياءاً وإنكاراً وإعراضاً بين العديد منهم خاصة في أوساط شبابنا المسلم، ولكن البحث عن الحق والكشف عن الحقيقة أغلى وأحب إلى النفس من الترويج لوهم وإن كان وهما محبباً إلى النفس مرضيا للذات.

ومما لا شك فيه أيضا أن جهاد مجاهدينا في العراق وأفغانستان والشيشان وغيرها من الأراضي الإسلامية التي روعتها قوى الصهيونية الصليبية المجرمة، فهو ليس محل تشكيك أو تهوين، فالنتيجة المستخلصة من هذا المقال لا تقلل من روعة جهاد هؤلاء الأساور الذين يردون كيد المعتدين في أنحاء الأرض الإسلامية.

فهذا المقال يتناول الرد على سؤال طرأ على الكثير من العقول وحامت حول إجابته الكثير من الشبهات إذ إن الردّ عليه بشكل غير ما قدمته للناس وسائل الإعلام المجرمة يؤدى إلى تصور جدّ مختلف لعالمنا كله شرقيّه وغربيّه،

أبيضه وأسوده، وهو ما لا تقوى الكثير من العقول على تحمّله، فإن تحمّل الحقيقة يحتاج إلى نفس صابرة أقوى ما يكون الصبر وعقل واع أشد ما يكون الوعى. ولهذا فإن الكثير من الناس يفضلون أن يعيشوا تحت الوهم المريح من أن يحيوا تحت ثقل الحقيقة المروعة.

وإنني أحسب أن بيننا الكثير ممن يريد الكشف عن الحقيقة وراء أحداث سبتمبر، من الفاعل الحقيقي؟

- أهي جماعة القاعدة بقيادة أسامة بن لادن وبإشرافه وتوجيهه،
- أهي جماعات تعمل بنفس ايديولوجيتها وإن لم تنضوى تحت قيادتها؟ أم
- إن المسلمين ليس لهم في هذا الأمر ناقة ولا جمل، فيعود الأمر إذن إلى التساءل: من إذن المسؤول؟

وما سنتناوله بالنظر هنا ليس نظرية، فإن النظرية تنبني على فرضيات إما أن تعضدها الحقائق أو تخالفها، وإنما سنقدم *حقائق ثابتة* مدعومة بالصوت والصورة والتسجيل، لا يختلف عليها عاقلان.

ومما تجدر الإشارة اليه أن هذا العرض لأحداث 11 سبتمبر مطروح في الغرب، سواء أوروبا أو أمريكا بشكل واسع، تتحدث عنه الصحافة "غير الحكومية" ويبحثه الباحثون عن الحقيقة في العديد من البرامج وينشرونه على النت ويوزعونه على الأقراص المبرمجة. فهو إذن عرض موجود على أرض الواقع، إلا في شرقنا الأوسط، لأسباب سنتناولها في نهاية المقال إن شاء الله.

ونبدأ عرضنا لهذه الحقائق بأن نذكّر القارئ بهذه الصور المفزعة التي شاهدها العالم حيّة على التلفاز لهذه الأبراج العالية وهي تترنح من صدمة الطائرات التي صدمتها في جزئها الأعلى، ثم تسقط بعد عدة دقائق جملة واحدة، ثم الهرج والمرج الذي عاشه الألاف من سكان هذه المنطقة المنكوبة خلال الساعات والأيام التالية حتى إنقشع الغمام وارتدت الأرواح في النفوس. هذا هو القدر المشترك المتفق عليه بين ما زعمته وكالات الأنباء "العالمية" المرتبطة بالحكومات الصليبية، وبين الآخرون الباحثون عن الحقيقة، أن هذه الأبنية قد تعرضت لهجوم من نوع ما ثم انهارت.

ما طبيعة هذا الهجوم، ومن المنفذ له، وبأي أداة نفذه المتآمرون؟ وما الدافع وراءه؟ ومن المستفيد منه؟ ومن الخاسر الأكبر فيه؟ لم يتفق الفريقان على أي إجابة لهذه الأسئلة كما سنرى.

(2)

- ذكرت وكالات الأنباء أن الطائرات المهاجمة هي طائرات مدنية للركاب: وهو ما لا يتناسب مع الصور التي سجلت للطائرات إذ كانت بلا نوافذ وهو ما يكون في الطائرات الحربية لا المدنية، وقد عرضت سي إن إن الأمريكية في الدقائق الأولى صور بعض الناس وهم يصرخون في الشوارع: "هذه ليست طائرات مدنية**!**" ثم سحبت هذه اللقطات من العرض كلية**!**
- ظهر في الصور التي التقطت للطائرتين اللتين ضربتا مبنييّ التجارة العالمية أن هناك جسم مركب باسفل الطائرتين وهو ما لا يحدث في طائرات الركاب، وقد رجح تحليل الصور إلى ان هذا الجسم هو صاروخ من نوع ما**!**
- أظهرت تحاليل الصور وإتجاه الظلّ أن هناك ضوء نارى لمع قبل أن تلمس كلا الطائرتين المبنيان بجزء من الثانية، وهو ما يرجح ان هناك انفجارا حدث مقدما للصدام، من جراء ارتطام جسم منفجر بالمبنيين مما سبب الإنهيار وليس إرتطام الطائرتين.

- أظهرت الصور أنه كان هناك حريقا ناشبا في الأدوار الوسطى للمباني المجاورة للمبنيين – لا العليا - قبل أن يسقط عليها أي مبنى، فما هو سبب هذه الحرائق في المباني المجاورة، وفي الأدوار الوسطى، كما ذكر ذلك عدد من رجال المطافئ على التلفاز، إلا أن هذه اللقاءات لم تنشر مرة ثانية!

- لم يكن هناك في موقع الإصطدام بمبنى الدفاع – البنتاجون - الذي زعمت وكالات الأنباء الأمريكية العميلة أن طائرة من طراز 575 قد صدمته، لم يكن هناك أي أثر لأي طائرة من اي نوع، ولا أجزاء من طائرة ولا جناح طائرة ولا محرك طائرة! فأين ذهبت الطائرة التي صدمته؟

- لم تسجل الكاميرات التي تعد بالمئات وتحيط بالبنتاجون اي صورة لأي طائرة تقترب أو تصدم المبنى، فكيف حدث هذا؟ والأعجب أن المخابرات الأمريكية قد سحبت جميع الكاميرات التي كانت مركبة على كثير من المحلات التجارية حول البنتاجون والتي كان لابد أن تسجل الطائرة القادمة من اي إتجاهن سحبتها ومنعت ملاك المحلات من الحديث عن هذا الأمر بالكلية!

- أثبتت الصور التي أُخذت للبنتاجون أنه بعد دعوى إصطدام الطائرة كانت أبعاد الفتحة الناشئة عن الإصطدام 14 قدما □ 16 قدما (أي □□□□□□ □□□□□□) مترا! بينما أبعاد الطائرة من هذا النوع أكثر من 160 قدما من الجناح إلى الجناح! فكيف أحدثت هذه الطائرة هذا الثقب الضئيل ثم تلاشت؟!

- أثبتت الصور كذلك أن سقف البنتاجون الذي يعلو هذا الثقب كان لا يزال قائما لم ينهدم حتى وصول رجال المطافئ! فكيف تخترق الطائرة المبنى دون أن تهدم سقفه الذي هو أقصر كثيرا من علو الطائرة؟!

- حين أرادت وكالات أنباء حرة ان تتحدث إلى رجال الإطفاء الذين كانوا بموقع الإصطدام بالبنتاجون والذين ابدوا دهشتهم من هذا الموقف، قيل لهم أنهم طلبوا نقلهم إلى محل آخر في ولاية أخرى وأنه لا يمكن أن يفصح عنها إلا بناءا على طلبهم الشخصي، وهو الأمر المستحيل إذ كيف تحصل على إذن موافقة لمقابلة شخصية ممن لا تعرف محل إقامته؟

- أثبتت الصور كذلك أن الحشيش والخضرة المحيطة بموقع الإصطدام لم يمسّ على الإطلاق! فكيف يحدث إصطداما بهذا الحجم دون أن تمس الأرض الخضراء بالكلية؟

(3)

- لم تنشر صورة واحدة للطائرة التي سقطت في ضواحي بنسلفانيا، ولا صورة واحدة! كل ما نشر هو موقع حفرة كبيرة دون أي بقايا لطائرة متحطمة! كما أن الحفرة لا تناسب في أبعادها طائرة ولكنها تبدو دائرية كما هو الحال في سقوط قذيفة كبيرة.

- أجمع خبراء الطيران أن الخبرة الطيرانية اللازمة لتنفيذ المناورة والهجوم على المبنيين تحتاج إلى آلاف من ساعات الطيران، بينما أدعت الحكومة الصليبية الأمريكية أنّ المنفذ قد كان طالبا في مدرسة طيران لعدة أيام أو أسابيع!!

- لم يتم العثور على جثة واحدة لمن في الطائرة، بينما إدعت الحكومة الصليبية الأمريكية أنّها وجدت جواز سفر محمد عطا الله سليما لم يمسّ على الأرض!! من بين كل هذا الدمار تنجو هذه الوثيقة وتسقط محفوظة ليجدها رجال المخابرات الأمريكية!! العقل يا ربّ!

- إدعت الحكومة الصليبية الأمريكية أنّ محمد عطا الله كان في ألمانيا قبل الهجوم يعاقر الخمر ويعاشر النساء قبل أن يقدم على الإنتحار في سبيل الله!!! العقل يا ربّ!

- لم تظهر في الصورة اي عائلة من عائلات المتهمين سواء المصريين أو السعوديين أو غيرهم لتتحدث عن الإبن الشهيد أو الإبن العاق او ما شاء لهم الحديث عنه! فهل يعقل أن عائلات هؤلاء لا يكون لهم أي ظهور لا من قريب ولا من بعيد؟! بل إن والد محمد عطا الله قد صرح أن إبنه تحدث اليه بعد الحادث، ولكن لم يعلق أحد على هذاالأمر إطلاقا!

- لم يقدم أي من المحتجزين ظلما في جوانتينامو إلى المحاكمة ولم توجه إليهم تهمة!! مجرد مجموعة من المتدينين إحتجزت لتكمل الصورة أن "القاعدة" لديها عملاء وهؤلاء مجموعة منهم، صورة سينمائية رخيصة!

- لم يقدم بن لادن أي تصريح عن مسؤليته عن الحادث بل كان كل ما قال أن هؤلاء الذين نفذوا العملية شجعان أبطال شهداء، ولكن من هم؟ ثم بعض التصريحات غير الواضحة أو ذات الدلالة القطعية على أنه كان العقل المدبر وراء الأحداث. لم يثبت للآن أي علاقة له بهؤلاء لا من قريب ولا من بعيد...

- زعمت الحكومة الصليبية الأمريكية أنّ القاعدة التي هاجمت الأراضى الأمريكية تقبع في افغانستان، ولكنها أرسلت إلى أفغانستان عشرة آلاف جندي ثم غزت العراق بأكثر من مائة وستين ألفا! وهو ما تتحدث عنه المعارضة الأمريكية المكبوتة منذ وقوع هذه الأحداث.

- كشف كلّ من بول أونيل وزير المالية الأمريكي السابق، وديك كلارك قائد وحدات مكافحة الإرهاب ومستشار الرئيس الأمريكي أن الحكومة الصليبية الأمريكية قد كانت تعد لغزو العراق منذ ان تولى بوش الأصغر الحكم! فما علاقة هذا التجهيز العسكرى والإستراتيجي باحداث 11 سبتمبر التي جهزت الشعب الأمريكي نفسيا وجعلته مستعد لتقبل الغزو والتضحية بماله وأبنائه وحريته في سبيله؟!

مئات من الصور والأحداث التي جعلت العديد من الجهات الأمريكية نفسها، عدا الأكثرية من الجهات الفرنسية والألمانية، تجمع هذه الحقائق وتصنفها لترى أي منطق يجمعها وأي صورة حقيقية وراءها، فإن الإجابة على هذه الأسئلة بشكل صحيح متناسق مع منطق الأحداث يمثل الكشف عن جريمة القرن التي تتخطى بشاعتها نازية هتلر وفاشية موسيليني وشيوعية ستالين...

(4)

ذكرنا في الحلقات الثلاث السابقة ما نشرته جهات لا تحصى في أمريكا وأوروبا من تقارير تفيد أن الصور والتقارير التي أذاعتها وكالات الأنباء الحكومية الأمريكية لا تمثل حقيقة ما حدث في هذا اليوم، وأهمها أن الطائرات التي هاجمت البرجين ليست مدنية، وأنه لم يكن الهجوم على البنتاجون بطائرة اصلا حيث لم يوجد أى بقايا لها ولا يتناسب حجم الخرق الذي حدث عُشْر حجم الطائرة، وأن طائرة بنسلفانيا لم يثبت وجودها ولا مرة واحدة في أية صورة، بل مجرد تسجيلات صوتية تدعى طلب النجدة، ومكالمات لبعض أهل "الضحايا" بالمحمول من الطائرة[8] ! هذه حقائق مدعومة بالصور والمقابلات وإن أرادت وكالات الأنباء الصليبية أن تخفيها.

---

[8] يمكن مراجعة أكثرية هذه التقارير على موقع www.thepowerhour.com

ثم نأتي لتحليل ما حدث، إذ إنه يجب أن تكون الأحداث مطابقة لأسبابها ونتائجها لكون مقبولة عقلا "لا سمح الله إن كان الأمر كله يخضع للعقل"، ولندع لفترة من الوقت إدعاءات كلا الطرفين، الأمريكيين والقاعدة، إذ لا دلالة حقيقة وراء أي منهما، ونعنى بهذا:

- الإمكانيات المادية اللازمة للقيام بالعمل وتوفرها
- الدوافع وراء الأحداث، ومن المستفيد من الأحداث، ومن الخاسر فيها؟

أولا: الإمكانيات المادية: مما لا شك فيه أن التقنية التي تمت بها هذه العملية لا يمكن، بل يستحيل، كما قرر الخبراء في الطيران، أن ينفذها مبتدؤون لم يمارسوا الطيران إلا ساعات عديدة في معهد طيران تعليمي، إن صح هذا، بل والنادرة الفكاهية التي زعمتها وكالات الأنباء العميلة أن السي آي ايه وجدت قرب موقع الأحداث كتيبا لتعليم الطيران! أي أن قادة هذه العملية التي تحتاج إلى ساعات طيران فعلية أكثر من الفي ساعة ليمكن التحكم في الطائرة بهذه الدقة كانوا لا يزالون يتعلمون من كتيب!! مهزلة تستهين بعقول الأمريكيين قبل غيرهم!

كما أن الدقة التي انحرفت بها الطائرات لتصيب المبنيين في الصميم بطريقة واحدة وشكل موحد تنبئ عن توجيه راداري من الأرض وهو ما افترضته العديد من التقارير التي عميّ عليها من قبل السلطات الأمريكية.

كذلك فإن الضربة التي وجهت للبنتاجون كانت ضربة بصاروخ ولا شك كما أثبتت الصور، وهو ما لا يمكن للقاعدة ولا غيرها أن يوفره، بل هي إمكانيات لا توفرها إلا مخابرات عالمية متواطئة مع حكومات عميلة.

ثانيا: الدوافع وراء هذا العمل، من الخاسر ومن المستفيد: وهذا، فيما نحسب هو أهم العوامل التي تحسم قضية "من المسؤول عن أحداث 11 سبتمبر"؟ ولننظر الآن في المستفيد في الطرفين اللذين تتعلق بهما الأحداث، أي المسلمون، والصليبيون الصهاينة الذين يتسترون تحت إسم "المحافظون الجدد" في حلبة السياسة الأمريكية الحديثة.

1. المسلمون: فلننظر إلى حال المسلمين والبلاد الإسلامية بعد هذه الأحداث: إحتلت أفغانستان والعراق فعليا بالقوة العسكرية، واحتلت قطر والبحرين ومن قبلهما الكويت بالقواعد العسكرية التي تمثل ثلث حجم هذه البلاد! كما احتلت دول الخليج اقتصاديا وبتروليا بالكامل. ثم إن النظم القائمة في هذه الدول قد تقزّمت أمام الشيطان الأمريكي أكثر مما كانت من قبل فباتت خاضعة لإرادته دون قيد أو شرط، وبدأت عملية تبديل الدين وتحريفه تحت شعارات الإصلاح التعليمي، وغُيرت المناهج لتحذف وتحرّف ثوابت العقيدة الإسلامية، وهوجمت دور التعليم الدينية في مصر وباكستان بشراسة بغية إلغائها بالكلية، وبادرت القيادات الدينية "الرسمية" وشجعت الصليبية الغربية الأقليات المحلية لتهاجم الثوابت في دور الإسلام تحت إدعاء التطرف وعدم المساواة في المعاملة وغير ذلك من الإفتراءات. وبدأ تشجيع الإنحراف والشذوذ الجنسي علانية تحت شعار الحرية! ودعم الخلاعة والتغاضي عن الرزيلة بل تشجيعها باسم حرية المرأة، ثم الأدهى هو السماح بالهرطقة والكفر البواح كتابة وشفاهة بدعم مالي لمن خلع الربقة من "الليبراليين" المسلمين، فدعمت الصليبية مؤتمراتهم ومراكزهم ومجلاتهم بل ودفعتهم إلى الصدارة في الدوائر السياسية دون رصيد حقيقي، بل وتدخل المندوب السامي الأمريكي "الملقب بالسفير في أيامنا هذه" في إلغاء أحكام قضائية وتبديلها لحماية هؤلاء العملاء والجواسيس تحت شعار حرية القول، والتي يسمح بها للناطقين بالعداء للإسلام، وهي محرمة على المسلمين! هذا عدا ما باتت تتعرض له الأقليات المسلمة خارج أرض الإسلام في أوروبا وأمريكا ومثال واحد على هذا ما حدث في فرنسا من نزع حجاب المسلمات.

وقائمة الخسائر التي أصيب بها عالمنا الإسلامي لا تكاد تنتهى. وقد يدعى البعض أنه كانت هناك بعض الإيجابيات، كصحوة الجماهير وفهمهم لحقيقة الأمريكية المحافظة الصليبية الجديدة، والدفعة

التي تولدت في جانب الجهاد الإسلامي ضد المعتدى، والقول هنا أنه لا توجد في الدنيا مفاسد لا تأتي ببعض المصالح، كما أنه لا توجد مصالح تخلو من مفاسد كما يعلم علماء أصول الفقه، فإن الله سبحانه قد خلق الدنيا على إختلاطهما، وإنما النظر في ايهما غالبن المصلحة، أم المفسدة، وهو ما لا يخطؤه التقدير في مسألتنا هذه. أحداث 11 سبتمبر لم تكن باي مقياس في صالح المسلمين.

(5)

يظهر بالتحليل البسيط، كما بيّنا في الحلقة السابقة أنّ المسلمين ليسوا على وجه القطع بالمستفيدين من أحداث 11 سبتمبر، بعدما ظهرت نتائجه في التغلغل الصهيوني الصليبي في أراضيهم ماديا ومعنويا، إلا ما كان من قليل المصلحة التي لا تخلو منها مفسدة على الأرض.

2. أمريكا الصليبية وإسرائيل الصهيونية: فالناظر إلى الواقع الأمريكي قبيل إدارته الجديدة يجد أن الأمريكيين قد كانوا على طريق الخسارة إقتصاديا وسياسيا، فإنه كما سبق وبيّنا في مقال سابق قد توجهت العديد من الدول إلى النظر في استخدام اليورو بدلا من الدولار، وهو ما بدأته العراق بالفعل، وظهرت بوادره في الصين وكوريا وغيرهما، ثم حالة الركود والفساد الإقتصادى والسياسي الذي عانت منه أمريكا والذي جعل إختيار رئيس جديد بدلا من الديموقراطي خيار رابح عام 2000. ثم أن الكيان الصهيوني كان في طريقه لتنفيذ مخطط جديد يتسارع به إلى تأمين حدوده، والقضاء على المقاومة وتوسيع دائرة نفوذه في الشرق إلى حدود الفرات، وهو تماما ما أظهرته الأحداث بعيد سبتمبر بدءاً باغتيال عرفات – الشريك القديم لأمريكا – إلى شراء الأراضى وإقامة المكاتب في أرض الرافدين.

والدوافع المباشرة التي يمكن تتبعها لدى الإدارة الأمريكية تتلخص في الأتي (مرتبة حسب أهميتها بالنسبة للإدارة):

دوافع شخصية: وهي الأكبر في هذا السيناريو، وتتمثل في النهم المادي للرئيس الجديد بوش الأصغر في تنمية ثروة عائلته من خلال مكاسب البترول[9] وذلك بالسيطرة على منابعه الأكبر في العالم، خاصة وأنه وعائلته، ونائبه تشيني من أكبر مستثمرى البترول في أمريكا. فإن الخاسر الأول من هذه الزيادة الهائلة في أسعار البترول والتي وصلت إلى 100% في الشهور السابقة، هم الشعوب المستهلكة وعلى رأسها الشعب الأمريكي الذي لا يعبأ به رئيسه على الإطلاق، بينما المستفيد الأول هو من يملكون أسهما في صناعة البترول وعلى رأسهم محور بوش/تشيني المغتصب. ذلك غير ما كان من تأمين العقود اليت تصل إلى البلايين من الدولارات في العراق وفي أمريكا إلى مجموعة الشركات التي يسيطر عليها محور بوش/تشيني مثل هاليبرتون لضمان عملات خيالية.

وقد كان المحللون من ذوى الإطلاع المحدود، الذين لا ينظرون إلى الصورة في كليتها، يتوقعون أن الأمر ببساطة هو إرادة الإدارة الأمريكية أن تحمي منابع البترول في الشرق الأوسط حتى يمكن ضمان تدفقه إلى بلادهم دون إنقطاع، وبالتالي كان من المتوقع أن تنخفض أسعاره نظرا لهذا الضمان والسيطرة، ولكن، وياللعجب، زادت أسعار البترول في العالم كله، على المستهلك، بنسبة الضعف! وهو ما يهدم هذا النظر القاصر في الدوافع من وراء هذا الإحتلال الذي أعقب

---

[9] **يمكن الرجوع إلى تفصيلات هذا الأمر في العديد من الكتب الذي نشرت في أمريكا وعلى راسها الفيلم التسجيلي رائعة مايكل مورز "Fahrenheit /11"، وكذلك كتابه "Stupid White Men" والذي لخصناه من قبل على صفحات مجلة المنار الجديد.**

أحداث سبتمبر والذي إتخذها ذريعة للعدوان، رغم أن "الإرهاب" وراء احداث سبتمبر 11 كان من المفترض أن مركزه في أفغانستان لا العراق!!.، فيالَلإجرام والتعدى! هي إذن الأرباح الخيالية من وراء رفع أسعار البترول لا حرب الإرهاب ولا يحزنون!

دوافع دينية: وقد استخدم بوش/تشيني الأمريكيين المتطرفين من الأنجليكان، الذين يؤمنون أن المسلمين هم الشيطان عدو المسيح، وأن تمكين دولة إسرائيل في الشرق هو تحقيق لنبوءة إلههم يسوع! ومن ثم يدفعون بكافه قواهم الإقتصادية والسياسية خلف الإدارة الجديدة التي اتخذت منهم محركا لحملتهم الإنتخابية.

دوافع سياسية: وعلى رأسها تكريس القوى السياسية خلف محور بوش/تشيني لضمان تحقيق الهدفين الأول والثاني. كذلك يأتي هنا موضوع ضمان أمن إسرائيل وتوسعها على حساب "الشيطان الإسلامي!" الذي يجب الخلاص منه.

(6)

الملابسات، الإمكانيات، الدوافع، النتائج، كلها تومئ، كما رأينا، إلى أمر واحد لا ثاني له، أن المسؤول عن أحداث 11 سبتمبر لا يمكن بالعقل أن يكون تنظيم القاعدة، التنظيم الذي أصبغت عليه وسائل الإعلام المغرضة إمكانيات وقدرات خارقة حتى يمكن للعدو الصليبي أن يفعل ما يفعل تحت تأثير عامل الخوف الذي يثيره اسم القاعدة في الغرب، وهو ما لا يقلل من إخلاص القائمين عليه ولا المنتمين له فيما يهدفون اليه، لكن أن يكون هذا التنظيم مسؤول عن هذه الأحداث التي لم تثبت حقيقتها على أرض الواقع من ناحية ولا يمكن أن يقوم بمثلها إلا من له إمكانيات دول كبرى من ناحية أخرى، هو أمر آخر غير معقول ولا مقبول عقلا. وفرق بين ما يفرضه الواقع ويمليه العقل وبين ما تنتجه دوافع العاطفة وخلجات الأماني.

أحقاً أن طائرات مدنية قد ضربت البرجين في نيويورك؟ لا يظهر ذلك من الصور والتقارير العديدة التي عميت عليها وسائل الإعلام المغرضة كما أسلفنا [1]. وهل ضربت

من المسؤول إذن عن هذه الأحداث التي جرّت الإحتلال الأمريكي إلى منطقة الخليج بأكملها، إما عسكريا كما في العراق، أو واقعيا في الدول المحيطة بالعراق؟ الأحداث التي تسبب عنها مقتل مئات الآلاف من المسلمين نساءاً وأطفالا وشيوخاً ورجالا، وجعلت المنطقة كلها مسرحا للخراب الإقتصادي والإجتماعي؟ الأحداث التي جعلت تعريف المسلم يقترن بالإجرام والقتل وما يسمونه الإرهاب، وجعلت المسلمين يتحركون في انحاء الأرض دسارهم الخوف وحاديهم الرعب في كل بلد يقطنون وعلى كل حدود يعبرون، مطاردين لا لشيئ إلا لأنهم ينتمون إلى هذا الدين العظيم ويدينون لربّ العالمين، ويطيعون رسوله الأمين؟

من المستفيد الأول من هذه الأحداث؟ من القادر على أن يخطط لعملية بهذا الحجم وبهذه الدقة لتفتح باب الإحتلال والسيطرة على البترول على مصراعيه، وتجعل العداء للإسلام والمسلمين "موضة" هذا العصر، وتمكن الصهاينة من الدخول إلى ارض الرافدين وعاصمة الخلافة دون قيد أو شرط، وتجعل حكام العرب لا همّ لأحدهم إلا الحفاظ على كرسيه أن يسلب وعلى نفسه أن يسجن ويضرب ويهان كما أهينت كرامة صدّام، الذي أصابه الله بما يصيب به الطغاة القتلة من أعداء دينه مهما طال الأمد؟

والإجابة على هذا السؤال مخيفة! هل وصلت الدرجة بهؤلاء الذين ارتكبوا هذا العمل أن يصطنعوا هذا الإجرام للوصول إلى أهدافهم الخسيسة؟ لا شك أنهم عرفوا تأثير الإعلام وأنه يمكن من خلاله أن "يفَبْرَك" أي حدث ثم يُسْنَد إلى جهة تصلح أن تُتخذ عدواً للغرب تحت دعاوى مهترئة ككراهية النصارى او التطرف أو ما شابه ذلك مما تخالفه حقائق التاريخ وأحداثه. والمتابع لإعلام الغرب يعرف مدى إمكانية هذا التزوير وسهولته بما لديهم من إمكانيات تقنية ووسائل مخادعة إعلامية (2) يصاحبها إجرام وإنعدام ضمير لا رادع له.

على العرب أن يفيقوا من هذا الوهم الإعلامي الذي هو مكر الليل والنهار، والذي أحاط بهم من كل الأقطار، ليقنعهم بأن هناك سبب لهذا الغزو وهذا العداء وهذا الإحتلال وهذه التصفية المتعمدة لكل ما هو إسلامي أصولي، وتمكين كل ما هو "علماني" أو ما يسمى بالإسلام المأمرك الذي بات على الإسلام أخطر من الصهيونية الظاهرة أو الصليبية الواضحة، إذ إن القائمين عليه هم "من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا" كما في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم يبقى السؤال الذي نتركه لفطنة القارئ وذكائه: من المسؤول عن أحداث 11 سبتمبر؟

---

(1) والتي يمكن الرجوع إلى أكثرها في موقع □□□www.powerhour.com كما أسلفنا في المقال الرابع، والتي هي جزء من فيلم وثائقي رائع، وكما ظهر في عدد من الكتب الفرنسية التي تناولت نفس الموضوع، وعدد من المواقع الأمريكية الحرة.

(2) وعلى سبيل المثال، فقد أنتجت هوليوود عام 1997 فيلما بعنوان Wag the Dog جسّدت فيه إمكانية مثل هذه الحكومات من تزوير حرب كاملة لا وجود لها لتصرف الرأي العام عن فضائح الرئيس الأمريكي.

السياسة المصريـة في الصحافة العالميـة

عَرَضَت شاشة سى إن إن CNN الأمريكية يوم الأحد الماضي برنامجا إخباريا خاصّاً أعده جوناثان مان، عن السياسة المصرية وعملية الإنتخابات الرئاسية والبرلمانية، وما يعترى الشارع المصري هذه الأيام من أحداث نشأت عما يسميه المراسل "العملية الديموقراطية" التي لم تشهدها مصر منذ عقود، وقد دار حديث مع العديد من الشخصيات العامة سواء الرسميّة أو غير الرسميّة عن التوقعات التي تصاحب هذه العملية.

فقد قال جورج اسحاق الذي ينتمي إلى حركة كفاية :"ما هذ الديموقراطية؟ ما معناها؟! إنني لا أؤمن بأن هذه العملية ديموقراطية على الإطلاق". ثم تحدثت رباب المهدي، المدرسة في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، ومعها الأستاذة ليلي سويف، الأستاذة بجامعة القاهرة، فذكرتا أن قوات الأمن قد اعتدت عليهما وعلى زملائهما من النساء خاصة،. وقد عرض صورا مخزية لمن أسماهم "بلطجية النظام الداعين لمبارك" وهم يضربون الناس ويعتدون عليهم، بعون البوليس، كما ذكرت كيف تم الإعتداء الجنسي عليها، وأن الذين فعلوا ذلك كانوا يقولون لها "إن هذا عقاب من يتصدى لمبارك!"، وبكت رباب بعد أن انتهك عرضها بالكلية!. ويعلق جوناثان مان، مستهزءا: "أن ذلك حدث بينما كانت زوجة بوش، في نفس اليوم، في زيارة للقاهرة، تقرظ جهد سوزان مبارك على دورها في دعم الديموقراطية ودور المرأة في المجتمع!"

د. جون إسبوسنتو، الأستاذ في مركز التقارب الإسلامي المسيحي بجامعة جورج تاون، والمعروف بتفهمه للواقع العربي الإسلامي، قال أنه رغم مكانة مصر الريادية على المستوى الإجتماعي والإقتصادي والعلمي في الشرق الأوسط، إلا أنها ليست على مستوى الريادة في مسألة الديموقراطية. كما علّق على ما ذكرته رباب أن ذلك تكتيك الحكومة في ان ترهب النساء أولا، وأن ترسل رسالة واضحة للرجال أن هذا ما ستناله نساؤكم حال تحديكم

للحكومة، ويتساءل جوناثان مان: "ولكن هل هذا في صالح الحكومة أم ضدها؟" ويجيب د. إسبوستو: "في ضد مصلحتها على المدى الطويل ولا شك". كذلك فإن ما حدث حدا بغادة شهبندر أن تعرب عن استيائها لما حدث لهولاء النساء بلا سبب، وهو ما دعاها إلى تنظيم حركة "شايفنكم". بينما يعلّق "نظيف!" على هذا بقوله أن هذه حوادث فردية قليلة لا غير!. وعرض التقرير عملية الإعتداءات على النساء في إبان هذه المظاهرات بالقاهرة.

وقد ذكر المراسل أن مبارك قد ظلّ يحكم بقبضة حديدية ديكتاتورية عقود من الزمن بمساندة الولايات المتحدة، وعونها المالي وبدعم القوة العسكرية المصرية. وقالت د. عايدة سيف الدولة، المعالجة النفسية في مركز النديم لمعالجة ضحايا التعذيب: "إن الناس في يأس وغضب، ولا يرون مخرجا لهذا المأزق".

وجاء دور رئيس الوزراء أحمد "نظيف!"، ليعبّر عن الرأي الرسمي للحكومة في أنها تسعى إلى الريادة في حركة الديموقراطية في العالم العربي كما كان لها الريادة في عملية السلام مع إسرائيل!، وقد ذكر بعدها بالحرف الواحد : "أن الدستور المصري واضح في هذا الشأن، إنه لا يسمح بقيام اي أحزاب على أساس ديني سواء كان هذا الدين هو الإسلام أو المسيحية أو اليهودية أو أي دين آخر!" والرجل، خريج جامعة ماجيل بمونتريال، كندا، وربيب الغرب، يحمل إسم رسول الله صلى الله عليه وسلم!!.

ثم كان اللقاء مع ممثلي الإخوان الذي يعتبرهم الغرب ممثلي الحركة الإسلامية والتي قال عنها جوناثان "إنها العدو الحقيقي الذي تخشاه الحكومة". ويظهر في هذا الجزء من التقرير خلط الغربيين – عمدا أو جهلا – بالفارق بين ما يسمونه الإرهاب وبين الحركة الإسلامية التي تدافع عن الوجود الإسلامي في مصر بما يتاح لها من الوسائل، ويربط بين فكر "سيد قطب" رحمه الله وبين ما يسميه الإرهاب، ويذكر أن المؤمنين بهذا الفكر يرون أن تطبيق الإسلام هو الحلّ الوحيد لهذه الأمة وأملها في أن تقف في وجه الغزو الغربي. ولكن الدكتور إسبوستو يوضح أن قادة الإخوان أنفسهم لا ينكرون العنف فحسب ولكنهم يبعدون أنفسهم عن فكر سيد قطب بكل وسيلة

ثم تحدث المراسل إلى نبيلة حامد، التي إعتقل زوجها منذ إثني عشر عاما، دون أي تهمة أو محاكمة، إلا أنه أصبح متبعا للإسلام أكثر من قبل، هذه كانت هي تهمته!.

كما عبر الدكتور محمد مرسي المنتمي لحركة الإخوان عن أن المصريين يريدون دولة إسلامية تحكم بشرع الله، وقال متعجّبا أنه "إن كنا هنا أغلبية إسلامية تريد أن تحكم بلإسلام، فما هو الخطأ في هذا، فنحن نريد تطبيق الإسلام هنا في بلادنا وليس في بلادكم؟!". وقال مهدي عاكف مرشد الإخوان أن كلمات الله لا يمكن تغييرها، فإن منع الله الخمر أو زواج الشذوذ فلا مجال لتحليله، ولكن الديموقراطية في الغرب تسمح لأهلها أن يفعلوا ذلك، فليفعلوه هناك في بلادهم، ولكننا هنا لسنا كذلك".

ويستمر التقرير الإخباري على هذه الوتيرة ويخلص بعدها إلى أن مصر على شفا تغيير قد يؤدى إلى تغيير حقيقي، إلا أنه، كما عبّر د. إسبوستو:"على الرغم من أن الحكومة قد فتحت الباب للتغيير مواربة، إلا أن الإحتمال قائم ابدا أن تغلقه مرة أخرى".

<u>"البترودولار" والإستعمارية الأمريكية</u>

لعل الكثير من الناس، حتى المهتمين منهم بالسياسة، لا يعلم أنه في سبتمبر 2000، قرر صدام حسين تحويل العملة المتداولة في بيع بترول العراق – في برنامج الأمم المتحدة "البترول مقابل الغذاء" – إلى البترو يورو الأوروبي بدلا من البترودولار الأمريكي. وقد كتب وليام كلارك[10] في عام 2002 معلقا على هذا التصرف من العراق "أن صدام حسين قد رسم قدره بيديه"[11]. وقد كان القرار الأول للمستعمر الأمريكي بعد سقوط بغداد هو إعادة فتح أبواب تصدير النفط العراقي والعودة إلى البترودولار كعملة لتداوله! برغم الخسائر التي ستعاني منها الميزانية العراقية بهذا السبب وانعكاس ذلك على إعادة تعمير العراق، كما بيّن ويليم كلارك في مقاله الفذ "حرب البترودولار: الدولار واليورو وأزمة البترول الإيراني القادمة"[12]

وقد بينت المعلومات التي تسربت من البيت "الأبيض!" ومكتب ديك تشيني أن الإدارة الصليبية الجديدة قد دخلت معترك السياسة بغرض خلع صدام حسين والقضاء على تلك الظاهرة التي كانت قد بدأت تأخذ طريقها إلى بترول العرب، كذلك، من استبدال اليورو بالدولار الأمريكي كعملة لبيع البترول، وهو ما يهدم الإقتصاد الأمريكي كقوة مسيطرة على الأسواق العالمية، ومن ثم كان غزو العراق خطوة رئيسية لوقف هذا الإتجاه وكرسالة تحذير لمن تسوّل له نفسه من الدول البترولية أن يقدم على مثل هذا العمل.

ويعجب كلارك من أن مثل هذه المعلومات لم تتحدث عنها وكالات الأنباء الرئيسية الأمريكية الخمسة – التي تسيطر عليها الحكومة – ولو بكلمة واحدة! والأخطر من ذلك أن إيران قد قررت أن تتحول إلى تداول بترولها بعملة بترولية خاصة بها تتخذ من البترويورو أساسا لتقييمها، اعتبارا من مارس 2006.

ويقرر كلارك أن مسلسل المفاعلات النووية الإيرانية التي تصعّده الولايات المتحدة حالياً، هو طبق الأصل كذبة أسلحة الدمار الشامل الذي استعملته الإدارة الأمريكية الصليبية لغزو العراق، ويبين أن السيناريو الأكثر إحتمالا هو أن ترتب المخابرات الأمريكية حدثا "إرهابيا" على غرار سبتمبر 11، ولكنه في حجم أحداث لندن الأخيرة، تضرب فيه هدفا معنويا، يتبعه بعض التفجيرات الصغيرة، ويكون هذا ذريعة لضرب إيران باسلحة نوويه تكتيكية محدودة كفيلة بالقضاء على كل مقاومة لها على أي مستوى، كما أشارت اليه العديد من المقالات الأخيرة التي تناولت استعدادات البنتاجون لهذا الهجوم، وما تسرب مما لا يحصى من المعلومات من العاملين بالبنتاجون، وهو الأمر الذي أشار اليه عدد من الساسة الأمريكيون في الآونة الأخيرة لتهيأة الرأي العام الأمريكي – الذي سيكون تحت تأثير عامل الخوف من الضربات الأخيرة - والعالمي لمثل هذا العمل[13].

وقد صرح بوش في خطاب له: "إن غزو إيران واستعمال القوة معها هو أمر لا مبرر له وإن كانت كل الإحتمالات مطروحة على المائدة!" وهو كلام يضرب بعضه بعضا كما هي عادة بوش في خلطه المتعمد أو خطله الطبيعي.

ولاشك أن مثل هذه الخطوة ستزعزع العلاقة الأمريكية-الصينية و الأمريكية-الروسية إلى أقصى حدّ، خاصة بعد أن ألغت أمريكا صفقات البترول التي كانت موقعة بين العراق وروسيا والصين، وهو ما لن تسمح بتكراره الدولتان مما يعرض صفقات بينها وبين إيران تقدر بحوالي 1.1 تريليون دولار (تريليون = ألف بليون).

---

[10] وليام كلارك، متخصص في أبحاث الإقتصاد البترولي وعملاته، وفائز بعدة جوائز في هذا المجال، وقد أخرج مؤخرا كتابه "البترول والعراق ومستقبل الدولار".

[11] لاحظ تتابع الأحداث بعدها من سبتمبر 11 الملفقة إلى غزو العراق.

[12] " Petrodollar Warfare: Dollars, Euros and the Upcoming Iranian Oil Bourse", William Clark http://usa.mediamonitors.net/content/view/full/17451

[13] ولم لا والولايات المتحدة – زعيمة الديموقراطية في العالم "الحرّ" هي الوحيدة التي استعملت السلاح النووى من قبل لقل مئات الآلاف دفعة واحدة!

إن غالب العقلاء من الأوروبيين والأمريكيين، وغالب أهل السياسة الأحرار الذين لا يرتبطون بالحكومة الفاشية الصليبية الحالية في أمريكا وصحافتها العميلة، يعلمون تمام العلم إن أحداث "الإرهاب" بداية بسبتمبر 11، وغيرها من الأحداث ما هي إلا غطاء لهذا الدافع الإستعماري الذي افتعل هذه الأحداث لتبرير غزو بلاد المسلمين، بلاد البترول، وهو ما سنثبته في مقالات قادمة إن شاء الله تعالى، والله من ورائهم محيط.

ظاهرة إنعدام الحياء في السياسة الأمريكية

جاء في الأنباء التي أوردتها الجزيرة نت أنّه قد "*أوضحت الوزيرة الأميركية أن سياسات طهران تهدف لإقامة شرق أوسط يختلف بمقدار 180 درجة عما تريده واشنطن للمنطقة. واتهمت مجددا الحكومة الإيرانية بدعم الفصائل المناهضة لإسرائيل والتدخل في الشأن العراقي"* ! وعجبا أي عجب مما باتت تطالعنا به كلّ يوم وسائل الإعلام مما يصيب المرء بالغثيان من هذا التطاول الممقوت والعجرفة الرخيصة التي تمارسها الولايات المتحدة في غياب العقل والقوة والمروءة العربية.

ونحن، رغم ما بيننا وبين شيعة إيران من اختلاف بيّن في مصادر الشرع وموارده أصولا وفروعاً، عملاً واعتقاداً، إلا إننا نعجب من تلك الإذدواجية الباردة في المقاييس، إذ كيف تكون طهران أخطر على الشرق الأوسط من إسرائيل التي تمتلأ ترسانتها بالأسلحة النووية دون أن يجرأ أحد في تلك الألعوبة المسماة الأمم المتحدة أن يثير ذلك الأمر أو أن يشير اليه.

ثم تقول المسماة كانداليزا رايس أن إيران تريد شرقا أوسطا يختلف 180 درجة عما تريده أمريكا للمنطقة**!** وعجبا**!** أأصبح الشرق الأوسط ألعوبة في يد الغرباء، كلّ يريد أن يشكّله بما يراه يخدم مصالحه وايديولوجيته، سواء في ذلك إيران الفرس أو أمريكا الروم؟ لا شك أن لإيران هدف تسعى إلى تحقيقه في الشرق الأوسط، وهو أن تهيأ المناخ لإقامة دولة شيعية كبرى تعيد أمجاد البويهيين وتمتد من إيران عبر العراق لتضم، عقائديا، سوريا التي يحكمها العلويون وأجزاء من لبنان التي يديرها حزب الله الشيعي لحساب إيران. ولكن هذا التصور لا يتوافق مع التصور الأمريكي اليهودي للمنطقة، والذي ينبني على أن تظل الشعوب العربية خاضعة لدكتاتوريات ضعيفة مستسلمة تسمح لها بأن تحتفظ بآلية عسكرية قوية تمنع على أراضيها لتتحكم في تدفق البترول إلى الغرب من ناحية ولتمنع أي تقدم عربي إسلامي يهدد الكيان الصهيوني الغاصب من ناحية أخرى. والوجود الإيراني على مساحة العراق وسوريا ولبنان لا يخدم هذا التصور.

ولا ينقضي العجب حتى نرى أن يكون من الأسباب التي تهاجم أمريكا الدولة الإيرانية بسببها إتهامها بدعم الفصائل المناهضة لإسرائيل والتدخل في شؤون العراق**!!!** والله إن الحياء قد انعدم من قاموس الغرب الصليبي**!** فمن الذي عيّن أمريكا وصياً على مصالح إسرائيل؟ لقد عشنا دهرا من الزمن في الستينيات والسبعينيات حين كان الساسة الأمريكيون لا يزالون يستخفون بسياستهم العنصرية ولا يظهرون الممالأة لإسرائيل جهارا كما حال الصليبية الصهيونية الأمريكية الحاضرة. ثم الأعجب الأطم أن تتهم أمريكا إيران بأنها تتدخل في شؤون العراق**!!** الله أكبر**!** هذا الغزو البربري وهذا الإحتلال الصليبي وهذه الحملة العدوانية التي قتل فيها الأبرياء وانتهبت فيها الأموال واغتصبت فيها النساء ليست تدخلا في شؤون العراق**!** فالعراق، كما يحسبها الرئيس الصليبي بوش، هي قطعة من ولاياته المتحدة، لا يصح لإيران أو غير إيران أن يتدخل في شأنها**!**

سيظل هذا الهراء المتعجرف يملى إرادته على بلادنا ويخطط لشرقنا طالما ظلت إرادتنا رهن بمن باع بلاده بثمن بخس، كراسي ومناصب وأموال ملوثة بدماء الأبرياء.

في الدين والحياة

كيد الشيطان .. وقوى التغيير

د. طارق عبد الحليم

لا شك أنّ الحلم الذي بات يداعب المصريين ويترائى لهم في صحوهم قبل نعاسهم، هو الأمل في التغيير السياسيّ، الذي يتبعه التغيير في كافة المجالات الأخرى. وللمصريين الحق في ذلك، بعد أن عاشوا في ظلّ الدولة المباركية ثلاثين عاماً وصلت فيها بلادهم إلى حضيض قياسيّ من الفقر والجهل والمرض، بل وتورط وطنهم في سلسلة خيانات سياسية آخرها التآمر على حصار أبناء غزة المسلمين، وبيع الغاز للصهاينة، وغيرها من الفضائح السياسة المزرية بالكرامة المصرية والهوية الإسلامية!

لكنّ التغيير له أسلوبه ووسائله وإمكاناته التي لا يتحقق إلا بها. وقد علّمنا العليّ العظيم أنه "لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم". وترجمة هذه الاية العظيمة إلى الواقع المعاش ينبؤك عن الصورة التي بدأت تتشكل جوانبها لتصل إلى غاية محددة في الأعوام القليلة القادمة.

العوامل الحاسمة في عملية التغيير هي تحديد القوى المتناطحة، أو ما هي القوة القائمة المسيطرة وما هي القوة الباحثة عن التغيير، من هم القائمون علي كلّ منهما، ما هي القوة المساندة لكلتاهما، وما هو الهيكل الذي تتحرك هاتان القوتان من خلاله، وما هو مدى إستعداد كلتاهما لتحمل التضحيات في سبيل الوصول إلى هدفه.

والقوة الرئيسة في هذه الحقبة من تاريخنا هو النظام الحاكم، وعلى رأسه الأسرة الحاكمة ويساندها كلّ من له سلطة وطول في المراكز الحساسة بالدولة ومؤسساتها، ويُضم إلى ذلك ويخدّم عليه رجال الدين الرسميين. ولا يأتي هذا الدعم عن جبّ وولاء، بل عن رعاية مصالح شخصية ضمنت السلطة المتحكمة تحقيقها لهذا الملأ فربطت مصالحها بمصالحهم بحيث أن أي متمرد عليها تلفظه هذه الجماعة دون أن تتدخل السلطة العليا في الأمر.. والهيكل الذي تتحرك من خلاله هذه القوى وينظم تحركها هو الحزب الوطنيّ – كما يطلقون عليه. والأمر أن هذا الحزب رأس بلا جسد، إذ إن كلّ من ينتمون اليه حقيقة هم أولئك الملأ من القوم، ثم الصفّ الثاني ممن يتحكمون في رقابهم، دون أي من أفراد الشعب، فليس للحزب اي قاعدة في الشارع المصري على الإطلاق، رأس بلا جسد! وهم على إستعداد للتحرك بأي وسيلة، مهما اتّضَعَتْ (أي كانت وضيعة)، إن تعرضت مصالحهم الحيوية لخطر الزوال، بلا حدود إن إستطاعوا. ثم إنه وإن تكاتفت قوى الشرّ وتتطابق الملأ على الصدّ عن سبيل الله، فيجب أن نذكر "إن كيد الشيطان كان ضعيفاً" صدق الله العظيم.

ثم القوة الداعية إلى التغيير، وهى ليست جبهة واحدة، بل منها مجموعات الليبراليّة والإصلاحيّة العلمانيّة، واليساريون، وكلهم من الصغار الذين لا يرجى منهم نفع أو قوة دافعة للإصلاح الحقيقي، كما بدر من تلك التكتلات المهلهلة التي تشارك القوة الحاكمة في الهجوم على البرادعيّ كقوة دافعة للتغيير، ذلك أن مصالحها ترتبط بمصالح القوى الحاكمة من حيث إنها "كمالة ديكور". ثم القوة الوليدة الناشئة التي بدأت تتكون بقيادة البرادعي، والتي أدركت أن لابد من وجود هيكل تتحرك فيه. وهي قوة وليدة تجمع مناصريها من أفراد الشعب وتتجه إلى الوقوف في وجه القوة الحاكمة. ثم القوى الإسلاميّة متمثلة في الإخوان والسلفيون. والإخوان هيكل عملهم هو الجماعة، وكوادرها ومنتميها من الشعب، وصدامها مع القوة الحاكمة معروف، وهو مثال واضح لتعامل القوة الحاكمة مع اي تهديد لمصالحها أيّا كان.

الأمر أنه لا سبيل إلى تغيير دون أن تفهم هذه القوى المعارضة الشريفة، سواء الإسلامية أو الديموقراطية أنه لا بد من تكاتفها وتراصّها وتواضنها أمام الغول الحاكم وهياكل عمله ومواطن نفوذه. هذه القوى المعارضة تستند إلى جسد الأمة وتفتقر إلى رأس حربة يمكن أن يسدده الرامون إلى النظام فيفقده توازنه. ولا ينخدع أى طرف من

أطراف هذه القوى فيرى الأمر سهلاً قريبا، بل هو صعب في غاية الصعوبة، شاق في غاية المشقة، سيكون له تبعاته وقت يحين الحين، والتي بدأت بوادرها بإعتقالات الإخوان الأخيرة.

ورغم التحفظ على النهج البرادِعيّ وما يمثله من خروج على النهج الإسلاميّ، ورغم شكوكنا في جدية التوجه البرادعيّ، وإستعداده لخوض معركة ذكر أنه يريد أن يكون فيها مجرد رمز، دون أن يبيّن المعنى التطبيقيّ لهذا الدور، فلا أرى بأساً شرعياً أو وضعياً – في التحليل النهائي - في أن يضع الإخوان والسلفيون وغيرهم، أيديهم في يد البرادعي ومن سيصطف وراءه من جسد الأمة، فالرجل، وإن تفوه بكلام دالٍ على مذهبه في رؤية محلّ الدين من الحياة، مما يخرج عن نهج الإسلام بلا شك، إلا أنه صرح كذلك بأن ديموقراطيته يُمكن بها أن يَحكم من يختاره الشعب وتتفق عليه الأغلبية، وهي فرصة المسلمين الوحيدة في إسترجاع حكم الله سبحانه الذي اضيع بالكامل في عهد الدولة الحاكمة، فلعل من يخالف في هذا يعرف أن العلمانية هي الحاكمة في كلّ أمر من أمورنا في حقيقة الواقع، العلمانية الشرسة الديكتاتورية التي يأخذها في الله لومة كلّ لائم. والله سبحانه أعلم وأحكم.

إحياء اللغة العربية

اللغة العربية الفصحى هي – فيما أرى – الجامع الأول الذي ينتظم به عِقد هذه الأمة من خليجها إلى محيطها، وهي العامل الأول في تركيبة الهوية العربية التي لا تقوم الأمة بدونها. فبهذه اللغة، ومن خلالها، يفكر الناس – خاصتهم وعامتهم. ويتشبع تراثها المحفوظ بقيَمِها ومُثلها، وتجرى في تعابيرها ومفرداتها أخلاق أبنائها ومبادئها.

والعربية في هذا ليست كأية لغة من اللغات التي تجرى على ألسن الناس شرقاً وغرباً، فسائر اللغات، إلا ما ندر منها كالألمانية، تعتمد على ترجمة الصوت الصادر من الفم لإيصال المعنى إلى العقل، دون أن يكون هناك اشتقاقاً أصيلا للكلمة تصطحبه أينما توجهت، وفضل العربية في هذا لا يفتقر إلى بيان، وتفوقها لا ينكره عاقل.

ولست بذاكر لهذا الحديث عتباً على من يهاجمون العربية قولاً وفعلاً من العلمانيين والليبراليين والحداثيين، فهؤلاء عجزوا عن استيعاب العربية، وشحّ نصيبهم منها فلجؤوا إلى العامية الدارجة عن عجز وقصور لا عن قصد وهدف، ولكن أذكره أسفاً على غياب ذلك النمط الراقي من الكتابة من صفحات مجلاتنا. اللغة التي باتت صحفنا تستخدمها في الكتابة لم تعد تحمل تلك الرشاقة الخلابة التي تشيع في النفس أنساً قبل أن تبث في العقل فهماً، ولم تعد تتصف الفاظها بالجزالة والقوة جميعاً. أصبحنا – فيما أقدّر – نفتقد الأسلوب الخاص الذي يُعرف به الكاتب ويتميز به بين سائر الكتّاب، إذ اشتبهت الأساليب لتكون أقرب ما تكون إلى أسلوب واحد، فيه جفاف الحقائق المجردة وعنف التدليل العقليّ وصرامة الإحصاءات والأرقام**!**

التواصل بين الكاتب وقرائه يمكن أن يكون تواصلاً عقلياً مجرداً، يقدم فيه الكاتب كمّاً من المعلومات دون أن يهتم بوسيلة أداء هذا الكم، أو أن يقدم ذات الأفكار والمعاني في ثوب رشيق ولفظ متأنق وعبارة جزلة. ودور كتابنا ومفكرينا من المناهضين للعلمانية والحداثة والليبرالية وما شئت من هذه المسميات التي ما أنزل الله بها من سلطان، إحياء هذا التوجه، فإن القارئ لم يفقد اللسان العربي والحسّ الأدبيّ حتى فقده كتابه ومفكروه.

حتى ما كنا نراه من زوايا الأدب واللغة التي كانت جزءاً من صحفنا إلى عهد ليس بسحيق، لم يعد لها أثر. كنا نقرأ أبيات شعر مختارة تصقل الحسّ وتثير العاطفة وتشغل العقل، وكنا نقرأ نثراً تكاد كلماته تقفز من فوق الصحف تألقاً ونضارة، نقرأ أخباراً عن أيام العرب وعلم العرب وخلق العرب، مما تحمله كتب التراث الأدبيّ، فإذا كلّ هذا قد فُقد من صحفنا حتى تلك التي تتوجه توجهاً إسلامياً عربياً**!** فالفقه في الدين لا يتم إلا بفقه اللغة وإتقانها، وحسرة على ابنائنا الذين يصرّ آباؤهم على أن يتقنوا الإنجليزية ويتعلموا آدابها قبل العربية، بل دونها، كيف يقرؤون القرآن، بل كيف يفهمون الإسلام. وأروى رواية عن عمر بن الخطاب إذ كان يقرأ قول الله تعالى: **"**أو يأخُذهم على تخوّف**"**، سأل عمر جلسائه: وما التخوّف؟ قال أعرابي: التخوّف يا أمير المؤمنين هو التنقّص، ألم تسمع قول الشاعر:

تَخوّف الرّحلُ منها تامِكاً قَرِداً   كما تَّخوّف عودُ النبعةِ السَفَنُ (أى كما انتقص منه)، قال عمر: أيها الناس، احفظوا ديوان شعركم في جاهليتكم فإن فيه تفسير كتابكم.

أقترح على صحفنا الحرة العربية أن تخصّص زوايا للأدب والشعر، فاللغة إذا فقدت ذهب معها القرآن، فذهب معه الفقه والإيمان، ولا حياة للأمة دون إحياء لغتها.

الأحياء حقا.. والأموات حقا...

صدق الشاعر حيث يقول

الناس صنفان موتي في حياتهم   وأخرون ببطن الأرض أحياء

أما الأحياء فهم من شهد لهم الله سبحانه بذلك حيث قال: " وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ". الذين قدموا حيانهم فداء لقضيتهم، الألف شهيد ويزيد في غزة الصامدة، ومثلهم من ينتظر، يقاتل وهو يعلم ان يوم لقاء الله قريب، مهما بعد، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور، وما بدلوا تبديلا.

أما الموتي حقاً، فهم الذين تمالؤا وتأمروا على هذه الفاجعة وأحكموا الحصار على المسلمين ومنعوا عنهم الغذاء والدواء، ولا عليك بالسلاح فهؤلاء الموتي لا يتضمن قاموسهم اللغوي هذه الكلمة إبتداءا، والذين صمتوا صمت القبور على هذه الفواجع الدامية التي رمت بها يد الصهيونية والصليبية أرض الإسلام عن قوس واحدة. هم الذين صرحوا بأنه لا مجال لإسلام يتاخم حدودهم، ويقض مضاجعهم، فهم ليسوا منه في شيء وهو ليس منهم في شيء، فقد كفر كلّ منهما بالأخر.

الموتي حقا هم الذين تفرقوا شيعاً حتى في عقد لقاء يعرف الناس سلفاً أنه لن يتمخض عن شيء ولا حتى كلمات المواساة إذ*قد* تعكس تعاطفاً وتقارباً مع المسلمين مما*قد* يثير غضب السادة الصهاينة والصليبيين، وما أدراك ما غضب السادة الصهاينة والصليبيين، هو أكبر عندهم من غضب الله وأبعد أثراً، في دينهم الذي يدينون به، على دنياهم وكراسيّهم وعروشهم. الموتى حقا هم الذين عظمت في عيونهم الدنيا وصغرت أمامهم الأخرة حتى شروها بثمن بخس، رضا الغرب عنهم ومباركته لأنظمتهم.

الموتي حقا هم الذين صدوا عن سبيل الله ومنعوا الناس أن يتصدوا للعدو، قال تعالي فيهم: "الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين"، وقال تعالى فيهم: "وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة"، فهم في مجالسهم وعلى كراسيّهم كما قال تعالى: "وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم <u>هم العدو فاحذرهم</u> قاتلهم الله أنى يؤفكون". قال القرطبي في شرح أية التوبة :"قوله تعالى{فصدوا عن سبيل الله} أي أعرضوا، وهو من الصدود. أو صرفوا المؤمنين عن إقامة حكم الله عليهم من القتل والسبي وأخذ الأموال، فهو من الصد، أو منعوا الناس عن الجهاد بأن يتخلفوا ويقتدي بهم غيرهم".

وبيت القصيد هنا هو قول الله تعالى: " هم العدو فاحذرهم"، نعم هم العدو، فالذي يساند العدو ويعينه ويواليه ويظاهره ضد المسلمين، ويمنع الناس أن تعين إخوانهم وتنصرهم لهو العدو حقاً. وأمر اليهود والنصارى سهل قريب إن شاء الله، ولكن أمر هولاء الموتي الأحياء هو ما يجب أن يحذره المسلمون، كلّ الحذر.

<u>الإخوان – خطوة أراها في طريق الحق</u>

تهنئة من القلب للإخوان على ما قررته الجماعة مؤخراً من نبذ العمل السياسي العام والرجوع إلى الدعوة ورحابها الواسع وطرقها الواضحة الهادفة، بديلا عن سراديب السياسة وحاراتها الضيقة العفنة المؤجحة بالفساد والعطن، وإن جاءت هذه الخطوة من الإخوان متأخرة ما يقرب من ثلاثين عاماً ضاعت دون أدنى نتيجة، مع أحلام الإصلاحيين من الداخل، فهي بلا شك لا تزال خطوة في طريق الحق الذي لا يحده زمن ولا يوقف مساره تأخير.

ولا أشك أن هناك من لا يشاطرني هذا الرأي، ولكن أقول لهؤلاء المخالفين، ألم نر بالفعل نتيجة خداع النفس بالأمانيّ أنّ الإصلاح سيأتي من الداخل، وأنّ الكتلة البرلمانية الإخوانية سيكون لها تأثير في تسيير الأمور للتي هي أحسن؟ ماذا رأينا من تقدمٍ بعد ثلاثين عاماً من هذه التجربة الإخوانية البرلمانية؟ ألم يكن في تجربة الكويت أو الجزائر موعظة للآخرين؟ ألم ينصح الناصحون في العقود الثلاثة السابقة، أن أفيقوا رحمكم الله، فالديموقراطية التي يعيشها الإنسان العربيّ ديموقراطية زائفة بكل معايير الزيف والضلال؟ أرضيتم كلّ هذه الفترة من الزمان أن تكونوا عوناً على إظهار الباطل وكأنه يريد الحق ويتعامل معه ويترك له الحرية للعمل والإختيار؟

السياسة، كما تمارسها النظم القائمة، لا تصلح أن يكون للمسلمين ضلع فيها، لا عقيدة ولا عملاً، بل الأولى أن تُترك لأصحابها الذين يعرفون الملاحة في سراديبها وحاراتها الضيقة العفنة المؤججة بالفساد والعطن، والذين يقبلون العلمانية طريقاً وعقيدة ومنهجاً في السرّ والعلن. لكن المسلمين لهم طريق الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ومجادلة هؤلاء السياسيين بالتي هي أحسن. طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الدعوة لإحياء هذه الأمة إحياءاً صحيحاً كاملاً وفق تصور أهل السنة والجماعة وعلى نهج صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يكون ما يكون حين يريد الله تعالى له أن يكون، لا إستعجال بالخير قبل أوانه ولا خداع للنفس بأحلام تحقيقها في أيدى الغير.

الإسلام يبنى ويؤسّس على أرضية سليمة صحيحة خصبة، ولا يقبل أنصاف الحلول والمناورات وخلط الأوراق، ومن ثمّ يجب توجيه الطاقات العاملة على تقديمه للناس بمبادئه الأولى دون أن يخدم السياسة أو أن يتودد للعلمانية.

العمل السياسيّ العام اليوم لا يمثل أي من طبقات هذا الشعب حقيقة، بل يمثل من روّضتهم السياسة لخدمة أصحاب المصالح الحقيقية من أسياد النظام وعملائه. فما للإسلاميين وهذا الخط الخطير من العمل؟ الشارع المصريّ أولى بالإنتباه والعمل والتوجيه، فهناك الكثير ممن يتشوق إلى معرفة الإسلام عقيدة وعملاً، والإخوان قادرون، إن خلصت النية وصحّ الطريق ووضحت الرؤيا واستوت العقيدة، على أن يخدموا في هذا المجال أفضل وأقوم من السياسة ولا شك.

<u>الإقتصاد الربوي في الميزان: من الخاسر الحقيقي؟</u>

أجمع خبراء الإقتصاد العالميّ أنّ الأزمة المالية العالمية الحالية تعتبر من أشد الأزمات عنفاً في العقود الأخيرة، ولا يكاد يجاوزها إلا الإنهيار الأقتصادي في الثلاثينيات من القرن المنصرم.

ولا شك أن العالم بأسره سيتأثر بهذه الأزمة وسيكون لها ما يتبعها من آثار على الوضع السياسيّ والإجتماعيّ في العالم الغربيّ والشرقيّ على السواء.

أمران تجدر الإشارة اليهما في هذا الصدد، أولهما دور الولايات المتحدة في هذا الوضع المالي المنهار. وتتلخص هذه المسؤلية في نقطتين، تلك السياسة المالية المتسيبة التي تبنتها إدارة بوش في سنواته الثمانية العجاف، والتي تركت الحبل على غاربه للمؤسسات المالية العملاقة والبنوك وشركات التأمين بلا ضوابط مالية تحدد مسؤلياتها تجاه المستهلك وتقيّد حريتها المطلقة في تحديد الفائدة رفعاً وخفضاً وفي حجم وضوابط الإقراض للمستهلك الأمر الذي مما جعله يرزح تحت ديون ساحقة عجز أخيراً عن تأديتها، وساعد على ذلك النمط المعيشيّ الأمريكيّ الذي يعتمد على الإستهلاك والإقراض دون حدود، والذي جعل الإدارة الأمريكية مؤخراً تطبع الدولارات لمواجهة التضخم دون أن يكون لها رصيد حقيقيّ يغطيها من الذهب. والنقطة الأخرى هي تلك الحروب التي شنتها الولايات المتحدة على العالم الإسلاميّ تحت زريعة الإرهاب تارة وتحت زريعة نشر الديموقراطية تارة أخرى! والجانب الأخلاقي المعيب الذي تتضح به مبررات هذه الحروب ليس هو الأمر الذي يهمنا في هذا السياق، وإن كان سبباً لكل تداعياتها الأخرى، ولكن حقيقة أنّ الإدارة الأمريكية قد حمّلت الإقتصاد الأمريكيّ التهاوى ما يزيد على 559 بليوناً من الدولارات حتى لحظة كتابة هذه السطور. وهو ما يخفض من السيولة المتاحة في المؤسسات المالية ويقلل من قدرة الحكومة على مدّ يد العون لدافع الضرائب الذي وقع بين مطرقة الديون الإقتراضية التي زينتها له شياطين الإعلانات ليلا ونهاراً وبين سندان الضرائب التي تصرفها الحكومة على الجيوش المتناثرة في أنحاء العالم الإسلاميّ، والتي لم يكن لها أثر إلا في إرتفاع سعر البترول في الغرب لمستوي لم يصل اليه من قبل حتى يوم أن وقف الملك فيصل رحمه الله تعالى وقفته الشهيرة ضد الغرب وقطع عنه إمدادات البترول!

والأمر الآخر الذي نعزو اليه هذا الإنهيار هو الشكل الربوى الذي أنشأته القوى اليهودية للنظام المالي العالميّ والذي تبناه الغرب دون قيد أو شرط. فإن هذا النظام الربوي يقوم على إقراض المستهلك المال بفائدة محددة ليشترى به المستهلك السلع التي يريدها أو يقيم بها مشروعا، ويكون مديوناً للبنوك بالمال إضافة إلى فائدته بغض النظر عن قيمة السلع التي إشتراها أو نجاح المشروع الذي أنشأه. فالعقد الربوي يقوم على مبدأ الدين لا مبدأ المشاركة. وحين غنهار الإئتمان السكنيّ في الولايات المتحدة منذ عام أو أكثر نتيجة عجز المقترض عن سداد أصل القرض فضلاً عن فوائده، فماذا كان موقف الإقتصاد الربوي من هذا العجز؟ لم يكن إلا أن البنوك والمؤسسات المالية حجزت على المساكن والمشروعات والسلع، وباعتها بأبخس الأسعار. وكان أن خسر الطرفان المعنيان في ظلّ هذا النظام الربويّ، خسرت المؤسسات المالية إنْ لم تعوَض المبيعات قيمة القروض الأصلية، ولكنّ الخاسر الأكبر هو المقترض الذي خسر دفعاته من الفائدة وما دفعة مقدماً من قيمة القرض، فكانت خسارته مضاعفة. ولو كان النظام الإقتصادي العالميّ يقوم على مبدأ الشراكة الذي يعتمده الإقتصاد الإسلاميّ لكانت خسارة المستهلك أقلّ إذ يكون له حقّ بنسبة شراكته في قيمة الأصول المباعة.

وكعادة إدارة بوش التي تعمل لصالح اليهود الذين يمتلكون معظم هذه المؤسسات المالية المنهارة، فإن "خطة الإنقاذ" التي قدمتها كانت لصالح تلك المؤسسات دون أي إعتبار للمواطن الأمريكيّ المتضرر، لذلك رفضها مجلس النواب الأمريكيّ الذي فاض الكيل بأقليته التي لا تدين بولاء كامل لليهود فرفضوا تمويل المؤسسات اليهودية بما لا يفيد المستهلك الأمريكيّ بشروى نقير. وهو ما حدا بالإدارة أن تقدم عدداً من المقترحات لمساعدة المستهلك بدرجة محدودة لضمان تمرير الصفقة التي يذهب بموجبها ثلاثة أرباع ترليون دولار إلى جيوب المساهمين الأكبار في تلك المؤسسات الخاسرة.

إقتصاد ربوى ظالم، وصهيونية عاتية مسيطرة، وسلاح رهيب مدمر، وإدارة عميلة لا ذمة لها ولا ضمير، والنتيجة هي ما نراه من الإنهيار الماليّ والخلقيّ العالميّ، وارتفاع أسعار الغذاء والوقود، وإنتشار الحروب والقتل، وعودة الحرب الباردة بين الشرق والغرب التي لا يستفيد منها إلا أباطرة سوق السلاح، فهل من مدّكر؟

التعصب العقائدي.. وقضية المآذن

سرت في الآونة الأخيرة ، في عدد من الصحف السويرسية العلمانية المدعومة من بعض أصحاب المصالح التي تقوم على هدم الإسلام وترسيخ التعصب الطائفيّ، كثير من التعليقات والمقالات حول موضوع منع المآذن في سويسرا، وعلاقة ذلك بالحرية العقدية والدوافع التي دفعت الغرب، أو بعض منه، إلى هذا الموقف، وتشعبت تلك المقالات إلى موضوعات لا علاقة بها بقضية المآذن، وهي فيما لخصها أحدهم أن الغرب أصبح متحفظاً وأقل قبولاً للإسلام بسبب الممارسات العنيفة والمتعصبة من بعض التكتلات الإسلامية فى الغرب الرافضة لحضارة وثقافة الدول الغربية ومعتقداتها! وأنه على المسلمين الذين اختاروا الهجرة إلى الغرب أن يقبلوا حضارة المجتمعات التى قبلتهم واستضافتهم وأن يتوقفوا عن محاولة إخضاع المجتمعات المضيفة لأفكار وثقافة وقوانين المجتمعات التى هاجروا منها، وأن حرية العقيدة غير مكفولة في البلاد العربية الإسلامية مثل العربية السعودية بل وفي مصر حيث تخضع إقامة الكنائس إلى موافقات عديدة تصل إلى رئيس الدولة، خاصة أن الأقباط في مصر يصل تعدادهم إلى 10% وليس هناك عدد من الكنائس يقابل هذا العدد! بل وصل الحدّ إلى أن بعضهم إدعى – إثما وعدوانا – أن "التعصب بدأ من عندنا فى الشرق، وأرجو ألا ينتقل إلى الغرب".

وقبل التعليق على هذه المغالطات المتعمدة، وأود أن أذكر بأن هذه الصحف هي صحف ساويرس الناطقة باسم العلمانية المصرية والأقلية القبطية المتعصبة والمعروفة بإنتمائها لمن يسمى أقباط المهجر، فكلامها مُتهم مُشوّه قبل أن يقرؤه قارئ.

أما عن أنّ الغرب أصبح متحفظاً وأقل قبولاً للإسلام بسبب الممارسات العنيفة والمتعصبة من بعض التكتلات الإسلامية فى الغرب الرافضة لحضارة وثقافة الدول الغربية ومعتقداتها، فهذا خطأٌ محض وتشويه للتاريخ، فأين هي الحملات الصليبية من التحركات الإسلامية، وأين هي الحملة الفرنسية وأين الإحتلال الأسباني والفرنسي والإنجليزي عبر القرون الماضية من هذه التحركات، وأين مساندة الغرب لعصابات إسرائيل لإحتلال فلسطين وتشريد أهلها.. الغرب هو الغرب في كراهيته وعدائه للإسلام منذ بزوغ نوره وإنما لمّا كان المسلمون قلة حقيقية في الغرب لم يكن هناك سبب لمعاملتهم بشكل عدائي فاضح، فلما كثر عددهم، وإن كانوا لا يزالوا قليلي الحيلة محدودي الأثر إلى أقصى حدّ، تحركت أشرعة السياسة المتعصبة لخلق عداء بين الشعوب الإسلامية والغربية. ونحن لا ننكر أن الكثير من مواطني البلاد الغربية لا يحملون هذه الضغينة الأصلية، إلا ما استقر في وعيهم مما تبثه وسائل إعلامهم الموجهة من سموم، لكن الأمر أمر الساسة من أصحاب المصالح وحاملي البغضاء.

أما عن أن المسلمين الذين اختاروا الهجرة إلى الغرب أن يقبلوا حضارة المجتمعات التى قبلتهم واستضافتهم وأن يتوقفوا عن محاولة إخضاع المجتمعات المضيفة لأفكار وثقافة وقوانين المجتمعات التى هاجروا منها، فهذا خطل وإنحراف عن الحق لا لبس فيه، فالمسلمين المهاجرين لا يحاولوا أن يغيروا أي مجتمع هاجروا اليه، بل العكس، يعرف كل من عاش في الغرب أنهم يعانون من تغير ثقافة ابنائنا وبناتنا، وكل ما يحاوله المهاجرون هو أن يحتفظوا هم أنفسهم بثقافتهم، وهو ما فهمه الغالب منهم حين هاجروا من أن الممارسة الحرة للعقيدة هي حق مكفول في الغرب، ولكن بعد الحملة "البوشية" تغيرت المعايير، ثم لِمَ لمْ يذكر الكاتب الحملات المنظّمة للتنصير في كافة أنحاء العالم الإسلامي والتي تتحرك بملايين الدولارات من الحكومات ومن المؤسسات الغربية، وعجيب أمر هذا الرجل وهو يرى الدعوة الأمريكية لتغيير ثقافة المسلمين تحت إسم الديموقراطية، فالغرب هو الذي يغزو فكريا وعسكريا كما في حالة العراق وأفغانستان لتغيير ثقافات الشعوب، أما المهاجرين الضعفاء فأنيّ لهم أن يغيروا ثقافات الغرب، كلام فج مُغرض.

أما عن قوله عن حرية الإعتقاد في البلاد الإسلامية فنحن لم نسمع عن هذا الأمر قبل الحملة "البوشية" التي استثمرها متعصبون مثل ساويرس ولم يُعرف في تاريخ العالم من هم أكثر سَمَاحة مع أصحاب الديانات الأخرى من المسلمين، ونذكرهم بأن اليهود هربوا في القرون الوسطى من الأوروبيين المسيحيين إلى بلاد الخلافة الإسلامية

حيث عاشوا فيها بأمان مكّنهم من تنفيذ خطتهم الدنيئة في فلسطين ثم ماذا عن محاكم التفتيش الأسبانية ووحشيتها؟ ثم نبئني عن عدد المساجد في الفاتيكان؟ ثم إن كان المسيحيون الغربيون يتخلون عن عقائدهم ويضعون دينهم على هامش حياتهم ثم يتشدقون بالحرية، فالمسلمون يتمسّكون بنص دينهم من منع المشركين من دخول جزيرة العرب وهي نصوص لا تلاعب بها إلا لمن أراد ترك هذا الدين كلية، ثم لا يختلف إثنان على أن الإضطهاد العقائدي إن كانت نسبته 1% ضد الأقباط في مصر فهو 100% ضد المسلمين الحاملين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولنسأل الكاتب الغرّ: كم عدد الأقباط الذين تم إعتقالهم في الخمسين سنة الأخيرة وكم عدد المسلمين في المقابل!!! دعاوى فارغة من الشكل والمحتوى.

ثم ما هذا الحديث عن أن تعداد الأقباط في مصر 10%؟، والله قد سئمنا من مثل هذه الإدعاءات السخيفة التي أعلنت مراكز عالمية أمريكية مؤخرا أنها غير صحيحة وأن نسبة الأقباط لا تتجاوز 4 إلى 6 % وهو ما يتمشى مع معدلات زيادة السكان في القرن الماضى في مصر، وإلا كنا كما يزعم اليهود أن عددهم كان يتجاوز الستمائة الف 600000 حين خرجوا من مصر مع سيدنا موسى بعد دخولها مع سيدنا يعقوب وعددهم 70!! وبين موسى ويعقوب عليهما السلام أربعة آباء! هذا دين اليهود في الكذب.

وأخيراً، عن موضوع منع المآذن في سويسرا، فرغم أنه أمر يبين النفاق الغربيّ الذي يدعى الحرية، بل ويدعى شرف حملها إلى بلاد الإسلام ثم يمارس عكسها، إلا أنه يأتي في المرتبة الثانية نسبة إلى ما يدور حول المسلمين من التحديات من دكتاتوريات الأنظمة والغزو الثقافي الغربي وحملات التشويه العقائدي الداخلي والحملات التنصيرية والإحتلال العسكري فإن فيها ما يكفي مما يجب أن ينتبهوا له بالمقام الأول.

أزمة الإقتصاد العالمي – وتوابع الجشع

ليست الأزمة المالية العالمية الحالية أزمة طارئة ظهرت فجأة دون مقدمات، بل إنها أشبه ما تكون بالمرض السرطاني الذي يداخل الجسد، ويسعى مفسداً بين جنباته حتى لا يترك فيه جزء إلا إخترقه، وحين يكتشف المصاب داءه، يكون أوان البرء قد فات ولات حين مناص.

والجشع هو الباب الذي وَلَجَت منه هذ الأزمة، جشع المرابين على رأس المنظومة المالية الصهيونية العالمية، وجشع المستهلك العادي من العامة. ولنلق نظرة أقرب إلى ما حدث ليكون عِبرة لمن إعتبر.

والجشع – لغة – هو أسوأ الحرص، وأن تأخذ نصيبك وتطمع في نصيب غيرك، اللسان ج1ص427، وهو صفة ملازمة للربا إذ إن الربا ، في النظرة التحليلية، هو طمعٌ في مال الآخر دون بذل جهد لتحصيله. وهو مختصر ما حدث في هذه الأزمة المالية الطاحنة.

كانت بداية الخمسينيات، حين ظهرت بطاقات الإئتمان في الظهور بين طائفة محدودة من رجال الأعمال في الغرب. ولكن ظهورها الحقيقيّ يرجع إلى عقدين من الزمن، في الثمانينيات، حين أصبحت في متناول المستهلك العاديّ ثم في بداية التسعينيات، حين أصبحت في يد كل من له دخل ثابت في الغرب.

وتزامن مع ذلك، ذلك الفيض الهائل من الإعلانات المتلفزة عن كافة أنواع السلع والبضائع، بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ. والحق أن العلاقة بين ظهور البطاقات الإئتمانية وبين هذه الفيض من الإعلانات التي تطرق مسامعهم وتصمّ آذانهم ليل نهار، علاقة سببية متبادلة، أحدهما سبب للآخر ونتيجة عنه في آن واحد. والمدلول هو أنّ البنوك، التي تقرض أصحاب الأعمال، لإنتاج البضائع ولدفع ثمن الدعاية المتلفزة لها، وتأخذ فائدة باهظة على ذلك، مما يرفع ثمن هذه السلع، هي ذات البنوك التي تقرض المستهلك لشراء هذه السلع، عن طريق القروض المباشرة، كما في حالة شراء المنازل، أو عن طريق بطاقات الإئتمان في حالة شراء أي من السلع الإستهلاكية الأخرى، المعمّرة

منها وغير المعمّرة، وتأخذ على هذه القروض فوائد مضاعفة، مرة أخرى، والنتيجة أنّ المستهلك يدفع هذه الفوائد الربوية مرتين، مرة عند المنبع، ومرة عند المصدر، ومن ثم ّ يتضاعف عليه الدين أضعافاً مضاعفة.

ونضرب مثلا من إحدى الدول الصناعية السبع الكبرى؛ كندا؛ ففي عام 2004، بلغ دخل الأسرة العاملة 65000$ في العام، بينما بلغ مقدار الدين على ذات الأسرة 69000$ في العام، بواقع 103% من إجمالي الدخل الأسريّ، ثم إرتفع الدين في عام 2004 إلى 130% من الدخل السنوي. وفي عام 2008، عام الأزمة بلغ الدين العائليّ 90000$ في العام اي بواقع 145% من إجمالي الدخل الأسريّ، وهو إلى زيادة!

كيف يمكن أن يستمر مجتمع في الحياة والإستقرار وأفراده مدينون بأكثر من مرة ونصف ما يحصلونه كلّ عام؟! هكذا كان فعل الرأسمالية التي دفعت أبناءها إلى الجشع في تملك ما لا يقدرون علي سداد ثمنه، وأن يعيشوا من وراء إمكانياتهم وفوق قدرتهم الفعلية،، وحسنت لهم شراء هذه السلع دون أن يعقلوا ما وراء ذلك من خطر الدين الحالّ، وما فعلته بهم النظم الربوية التي موّلت هذه الدوافع وتقاضت حقها مرتين، أو كادت، فترى العائلة تنتقل إلى بيت كبير، وتملؤه بالأثاث الحديث، وتركب السيارات الفارهة، وهم لا يمتلكون من هذا المتاع شيئاً، لا شيئ على الإطلاق، كله دين في دين، يدفعونه مرات مضاعفة، حتى تأتي ساعة الحق، ولا يستطيع أحد الوفاء بدينه. ثم أن الله سبحانه أخذهم بما قدّموا، وجازاهم بما فعلوا، وهي سننه الكونية التي لا ينجوا منها مخالف منحرف عن أمر الله.

وقد قررت السلطات الكندية أن تخفض سعر الفائدة الربوية إلى ما يقرب الصفر (0.25%) في محاولة لتجنب الإنهيار التام للإقتصاد العالمي الربويّ، وهو ما يعنى التخلى عن مبدأ الربا كلية، إلى حين! فسبحان الله العظيم، يعلمون مافيه من فساد، بل يرون فساده رأي العين، ولكنهم كما قال تعالى:"*لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل، أولئك هم الغافلون*"، هم ومن إغتر بهم من أبناء جلدتنا، والمتحدثين بألسنتنا.

الجماعات الإسلامية و"فتنــة" الفتوى!

أثارت "الفتوى" التي أصدرها مفتي مصر بشأن تحريم الإنتماء لجماعه إسلامية ردود أفعال عدد من الجماعات الإسلامية أجمعت على رفضها وإختلفت في التعامل معها. فالإخوان شجبوها ثم لم ما يأتوا بتعليق عليها. والجماعة الإسلامية رفضتها ولكنها إقترحت بديلا إن دلّ على شيئ فإنما يدل على تراجع خطير في الوعي السياسي لهذه الجماعة.

وأود أولا أن أعقّب على الفتوى بأن أقول إن من يصدر عنه مثل هذا الكلام لا يصح أن يتصدى للفتوى بحال من الأحوال، فإن الله سبحانه قال "وتعاونوا على البر والتقوي" وهذا التعاون لا يمكن أن يكون بين الفرد ونفسه بل ينشأ بين جماعة من المسلمين على البر الذي إرتأوه، ومفهوم الأمر بالمعروف يشمل النشاط الفردي وهو عمل الداعية، والنشاط الجماعي وهو عمل الجماعة. وفتوى "المفتي" تعني إلغاء هذه الآيات الحكيمة وشطبها أو – على أقل تقدير – إلغاء الجانب الإجتماعي فيها، وهو إنقاص من دين الله وهدم لجانب من جوانب الفضل العظيمة فيه.

وقد عرفنا من التاريخ أن هذا الشكل من الأمر بالمعروف بتزايد حين يزداد ضعف الدولة وفساد أجهزتها وخبث عمالها، فينهض حينئذ من يقوم يجمع الناس لدرأ هذا النقص والقيام بما قشلت الدوله في القيام يه. ومثال على ذلك حركة خالد الدريوش وصالح بن سلامة الأنصارى في بغداد عشية مقتل الأمين العباسي وعهد تولى المأمون العباسي للخلافة (تاريخ الدولة العباسية للشيخ الخضري ص191) ، وهو صحيح إذا إعتبرنا ظهور الإخوان في أعقاب إنهيار الخلافة، وظهور العديد من الجماعات الإسلامية – بغض النظر عن صحة مناهجها - إبان طغيان عبد الناصر من ناحية وهزيمة 67 من ناحية أخرى.

واللافت للنظر هي تلك الدعوة التي أطلقها الدكتور ناجح إبراهيم رأس الجماعة الإسلامية للدولة المصرية أن "تقنن" عمل هذه الجماعات. وما أريكني قي فهم مقصده هو معني "التقنين" الذي يقصد اليه، أيعني أن تجعلها الدولة "قانونية" بمعنى أنها معترف بها؟ أو أن نقننها بمعنى أن نرنبها وتسنّ لها القوانين التي تحكم حركتها ومن ثم أهدافها ومقاصدها؟ والفارق بين الأمرين عظيم، وكلاهما لا محل له من الإعراب في النظام السياسي القائم حاليا في بلادنا.

فالدولة "**لن**" تقبل بتقنين الجماعات الإسلامية لأنها - الجماعات الإسلامية – تفشي بطبيعتها الخلل في نظام الدولة وقصوره عن القيام بواجبه، ولو كانت ستسمح بالجماعات الإسلامية لسمحت بإنشاء أحزاب معارضة حقيقية في البلاد، ثم إن أجندة الحكومة تنافي إدخال أي عنصر إسلامي أو بعد إسلاميّ في منظومته، كما صرح كبار مسؤوليها مرات عديدة أن الدولة تتبني الإتجاه العلماني – اللاديني – ولن تسمح بقيام أي إتجاه يغلب ديانة ما حتى لو كانت الإسلام الذي هو دين غالبيتها الساحقة وما ينصّ دستورها على أولويته.

فأن تتقدم الجماعة الإسلامية بمثل هذا المقترح على الدولة لهو تحصيل حاصل لا فائدة منه إلا تسويد صفحات جريدة وإشغال الناس بما لا طائل تحته، وهو نفس الطريق الذي سار عليه الإخوان خلال العقود الماضية من محاولة إستئناس "النظام" و"ترويضه" ولم ينشأ عن هذا الطريق إلا ما عرفنا من حال الإخوان.

الأمر أن الجماعات الإسلامية التي تجتمع على البر والتقوى، لا حاجة بها إلى تقنين من الدولة، بل هي مأذون فيها، بل مأمور بها، على الجملة، والجماعة، في كتاب الله، وما سنّه الله على المسلمين لا حاجة لبشر في إقراره. ولتواجه الجماعات ما شاء الله لها أن تواجه، فهذا هو مصيرها ومصير أبنائها، إن كانوا على صحة قصد وسلامة منهج ووضوح عقيدة، وهو صراع الحق والباطل على مرّ تاريخ الإسلام الحافل.

الجماعات الإسلامية و"فتنـة" الفتوى!

أثارت "الفتوى" التي أصدرها مفتي مصر بشأن تحريم الإنتماء لجماعه إسلامية ردود أفعال عدد من الجماعات الإسلامية أجمعت على رفضها وإختلفت في التعامل معها. فالإخوان شجبوها ثم لم ما يأتوا بتعليق عليها. والجماعة الإسلامية رفضتها ولكنها إقترحت بديلا إن دلّ على شيئ فإنما يدل على تراجع خطير في الوعي السياسي لهذه الجماعة.

وأود أولا أن أعقّب على الفتوى بأن أقول إن من يصدر عنه مثل هذا الكلام لا يصح أن يتصدى للفتوى بحال من الأحوال، فإن الله سبحانه قال "وتعاونوا على البر والتقوي" وهذا التعاون لا يمكن أن يكون بين الفرد ونفسه بل ينشأ بين جماعة من المسلمين على البر الذي إرتأوه، ومفهوم الأمر بالمعروف يشمل النشاط الفردي وهو عمل الداعية، والنشاط الجماعي وهو عمل الجماعة. وفتوى "المفتي" تعني إلغاء هذه الآيات الحكيمة وشطبها أو – على أقل تقدير – إلغاء الجانب الإجتماعي فيها، وهو إنقاص من دين الله وهدم لجانب من جوانب الفضل العظيمة فيه.

وقد عرفنا من التاريخ أن هذا الشكل من الأمر بالمعروف بتزايد حين يزداد ضعف الدولة وفساد أجهزتها وخبث عمالها، فينهض حينئذ من يقوم يجمع الناس لدرأ هذا النقص والقيام بما قشلت الدوله في القيام يه. ومثال على ذلك حركة خالد الدريوش وصالح بن سلامة الأنصارى في بغداد عشية مقتل الأمين العباسي وعهد تولى المأمون العباسي للخلافة (تاريخ الدولة العباسية للشيخ الخضري ص191) ، وهو صحيح إذا إعتبرنا ظهور الإخوان في أعقاب إنهيار الخلافة، وظهور العديد من الجماعات الإسلامية – بغض النظر عن صحة مناهجها - إبان طغيان عبد الناصر من ناحية وهزيمة 67 من ناحية أخرى.

واللافت للنظر هي تلك الدعوة التي أطلقها الدكتور ناجح إبراهيم رأس الجماعة الإسلامية للدولة المصرية أن "تقنن" عمل هذه الجماعات. وما أريكني قي فهم مقصده هو معني "التقنين" الذي يقصد اليه، أيعني أن تجعلها الدولة "قانونية" بمعنى أنها معترف بها؟ أو أن نقننها بمعنى أن نرتبها وتسنّ لها القوانين التي تحكم حركتها ومن ثم أهدافها ومقاصدها؟ والفارق بين الأمرين عظيم، وكلاهما لا محل له من الإعراب في النظام السياسي القائم حاليا في بلادنا.

فالدولة "**لن**" تقبل بتقنين الجماعات الإسلامية لأنها - الجماعات الإسلامية – تفشي بطبيعتها الخلل في نظام الدولة وقصوره عن القيام بواجبه، ولو كانت ستسمح بالجماعات الإسلامية لسمحت بإنشاء أحزاب معارضة حقيقية في البلاد، ثم إن أجندة الحكومة تنافي إدخال أي عنصر إسلامي أو بعد إسلاميّ في منظومته، كما صرح كبار مسؤوليها مرات عديدة أن الدولة تتبني الإتجاه العلماني – اللاديني – ولن تسمح بقيام أي إتجاه يغلب ديانة ما حتى لو كانت الإسلام الذي هو دين غالبيتها الساحقة وما ينصّ دستورها على أولويته.

فأن تتقدم الجماعة الإسلامية بمثل هذا المقترح على الدولة لهو تحصيل حاصل لا فائدة منه إلا تسويد صفحات جريدة وإشغال الناس بما لا طائل تحته، وهو نفس الطريق الذي سار عليه الإخوان خلال العقود الماضية من محاولة إستئناس "النظام" و"ترويضه" ولم ينشأ عن هذا الطريق إلا ما عرفنا من حال الإخوان.

الأمر أن الجماعات الإسلامية التي تجتمع على البر والتقوى، لا حاجة بها إلى تقنين من الدولة، بل هي مأذون فيها، بل مأمور بها، على الجملة، والجماعة، في كتاب الله، وما سنّه الله على المسلمين لا حاجة لبشر في إقراره. ولتواجه الجماعات ما شاء الله لها أن تواجه، فهذا هو مصيرها ومصير أبنائها، إن كانوا على صحة قصد وسلامة منهج ووضوح عقيدة، وهو صراع الحق والباطل على مرّ تاريخ الإسلام الحافل.

<u>الفشل الديكتاتوري في التجربة المصرية</u>

أوضح أحد اساتذة جامعة هارفارد الشهيرة، والذي يعمل حاليا كرئيس مكتب العلاقات الأمريكية الصينية، في مقابلة تلفازية جرت معه الأسبوع المنصرم، أن الحديث عن نشر الديموقراطية على الطريقة الغربية أصبح وهما لا حقيقة له، وأن التجربة الصينية هي أقوى الدلائل على ذلك، إذ إن الصين في العقدين الأخيرين قد أصبحت قوة هائلة للإنتاج والتنمية رغم نظامها السياسيّ الحاكم الذي هو نظام دكتاتوري في أصله. ورغم ذلك فقد تقدمت الصين تقدماً فاق كل ما أحرزته البلاد الغربية تحت ظلّ النظام الديموقراطيّ. فقد تفوقت الصين على أمريكا في مجال الخبرة التكنولوجية والمواصلات والإنتاج السلعي ونجحت في استقطاب الوظائف الأمريكية التي باتت تهرب من الأزمات المتواصلة في بلادها إلى الصين والهند.

وعزا البروفيسور هذا التقدم إلى رغبة الحكام في تحسين أوضاع شعبهم وفي التفوق رغم دكتاتوريتهم. كما ذكر أنّ الرفاهة وتحسين مستوى المعيشة كثيرا ما يكون بديلا عند عوام الشعب عن المطالبة بممارسة حقوقهم السياسية، فالغرض من الممارسات السياسة ليس بذي قيمة في حدّ ذاته، بل بما يؤمّنه من رفاهة للشعب، وهو ما توضحه

التجربة الصينية. ونحن نسوق هذا التحليل لا بغرض تمجيد الدكتاتورية أو حكم الفرد، فهو نظام لا يتمشى مع الفطرة الإنسانية، وإنما نسوقه لنبين أنّ النظام المصريّ لم يلحق لا بديموقراطية أمريكا ولا بديكتاتورية الصين.

فالنظام المصريّ لم يلحق بالديموقراطية إلا عند أذنابه وعملائه، ولكن يعرف القاصي والداني انه نظام مقطوع النسب بالتجربة الديموقراطية الغربية، وهو، بطبيعة الحال، مبتوت النسب كذلك بالنظام السياسيّ الإسلاميّ شكلا وموضوعاً، ولم يحظ "بالتقدم" ولم يلحق بالغرب الديموقراطي إلا في مجال المهرجانات السينمائية والبرامج التليفزيونية الخليعة التي تتساوى في مجونها مع ما نراه على شاشات التلفاز الغربي.

إلا إنه قد ظهر من تحليل البروفيسور الأمريكيّ، حين نطبقه على النظام المصريّ، أنه ليس بنظام ديكتاتوري كذلك، بل قد فشل هذا النظام أن يحقق مكاسب الديكتاتورية الصرفة كما هي في الصين، إذ إن مستوى الحياة في مصر إنهار في السنوات الثلاثين الماضية إنهياراً شديداً، وازدادت الطبقية توغلا في الحياة الإجتماعية، وفشت المحسوبية والعمالة والبطالة، وتراجعت الرقعة الزراعية والهيكل الصناعي، وخربت وسائل المواصلات، وتراجعت المقاييس الأخلاقية بشكل يهدد اصل التركيبة الإجتماعية ونسيجها.

والسبب في هذا الفشل الديكتاتوري، رغم أنه نظام حكم فردي لا مجال للشك فيه، أن اصحاب السلطة في مصر لا يعنيهم هذا الشعب من قريب أو بعيد، إنما الأمر في النموذج الديكتاتوري المصري هو أن يحقق لأصحاب السلطة أكثر ما يمكن من الكسب الماديّ، وأن يؤمنوا هذه المكاسب عن طريق السلطات الأمنية التي يطلقون عليها "قوات الأمن القومي" ونحسبهم يحصرون تعريف القوم هنا بالعائلة المالكة وبحراس النظام وسدنته.

النظام المصري لا يمكن وصفه بالديكتاتورية على وجه الإطلاق، كما في النظام الصيني، بل هو نظام فردي عائلي ملكيّ خاص يتعلق في ابعد أهدفه وغايات بقائه بالكسب المادئ للفئة الطاغية، وبضمان أن يستمر هذا النظام الفردي ما أمكنه ذلك. والله ورائهم محيط.

الفكر والعلم – إجتماعاً وإفتراقاً

لمس الأخ الأستاذ إبراهيم العسعس، في مقاله عن "منتدى المفكرين المسلمين" المزمع إنشاؤه في المستقبل القريب، أمراً على قدر عظيم من الأهمية والحساسية، لمّا تحدث عن "المفكر" في مقابل "العالم" أو "طالب العلم". وهو موضوع تتشعب أصوله وتمتد فروعه إلى ما يشيع في وسطنا العلميّ والثقافيّ من إضطراب سرى اليه من تلك الفوضى الشائعة في جوانب حياتنا العامة. والأمر الذي نريد أن نتلمس اليه سبيلا في هذه الكلمات، هو واحد من العديد مما يجب أن تتناوله اقلام القادرين من الطائفتين، أنْ: هل هناك حدّ فاصل بين الفكر والعلم، حتى يمكن أن تنشأ طائفتين متباينتين هما "المفكر" و"العالم"؟!

الفكر – كوظيفة عقلية محضة – لا ينشأ إلا من خلال قاعدة علمية راسخة هي مادة هذا الفكر وخامته التي لا يظهر إلا من خلالها. وهذا يستلزم بالضرورة القراءة الواعية الدارسة، في مجالات متعددة تحظى في عصرها بإهتمام العقل، ثم بالقراءة المتخصصة المتعمقة في مجال أو أكثر من هذه المجالات المتعددة. من هذه القاعدة العلمية الرصينة – إن صحّت واستقامت – لا بد أن ينشأ نتاج علميّ بحت في دائرة التخصص يعكس قدرة العالم -أو إن شئت طالب العلم – على العطاء العقليّ في مجال تخصصه، كما يعكس هضمه لحقائق العلم ومبادئه. وبدون هذا النتاج، ومن غير أن تظهر بصمات "طالب العلم" أبحاثاً يُشهد لها بالجدّة والأصالة، فلا مجال للحديث عن فكرٍ أو علم. القدرة على إفراز المادة التي تُغنى الحياة العلمية أولا، وتقدم المادة المُجَدِدَة للفكر ثانياً، هي الدليل الأول على

قدرة العالم، ومن ثمّ على أصالة المفكر، إذ إن الفكر – حين ينشأ عن هذا المثال من رجال العلم، هو فكر جادّ متألق مفيد، وإلا فلا فكر.

نرى من هذا أنّ العملية الفكرية تبدأ بعموم الإطلاع في كافة المجالات، ثم بخصوص البحث في مجال أو مجالين يفرض فيه الباحث نفسه من خلال إنتاجه، ثم إلى العموم مرة أخرى حين يسرح عقل العالم فيما يمكن أن يكون نافعاً لأمته تطبيقياً، أو أن يُقدّم مادة فكرية ينشأ عنها علم نافع من الناحية النظرية. عموم فخصوص فعموم.

المفكر – إذا، فيما نرى – لا يوجد حقيقة إلا كمرحلة متقدمة من مراحل العالم - أو إن شئت طالب العلم. يمكن أن يكون مسمى "المفكر" قد شاع وإبتُذل – كما ابتذلت الفاظ ومعان كثيرة في الفوضى الفكرية والعلمية والإجتماعية التي تعيشها أمتنا، ولكن "المفكر" هو في خصوصيته لا يمكن أن "يفكر" إلا فيما حصّل من علم صحيح. أما التشنجات العقلية والإفزازات الذهنية التي لا تصدر عن مثل هذا التسلسل، إن هي إلا خداعٌ ساقط، وهزلٌ ممقوت، ونتاجٌ عقيم. الفكر "البحت" دون نتاج علميّ مُوثق مثله كمثل الكتابة بالعامية التي لا يلجأ اليها إلا العاجز عن الفصحى، وهو إنعكاس جيل فقد الكبار وتحدث فيه الرويبضة.

ونظرة إلى تاريخ الفكر والعلم في أمتنا تنبئ عن صحة ما قصدنا اليه من أنه لا فرق بين العالم والمفكرّ إلا في درجة البحث وعموميته. فالعقاد العالم الموسوعيّ، ومحمد محمد حسين الأديب المؤرخ، وأحمد شاكر المحدّث الأديب، ومحمود شاكر الأديب المؤرخ صاحب الحديث، مصطفى صادق الرافعيّ الأديب المفكر، وسيد قطب الناقد الأديب المفسّر، وغيرهم فما ذكرنا إلا قطرة من بحر زاخر، ختى في الإتجاه العلمانيّ يصدق قولنا كما نرى عند زكي نجيب محمود الفيلسوف الوضعيّ المفكر.

إذن، فلا مجال لفكر بلا علم، ولا نتاج لعلم بلا فكر، وكلاهما يصدران عن عملية ذهنية واحدة كما رأينا، لا وجود لأحدهما دون الآخر، ومن إدعى الفكر دون علم ونتاج ينبئ عنه، كلابس ثوبي زور.

المُستَكْبِرون والمُستضْعَفون ..في القرآن الكريم

يقول جلّ وعلا: "وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ{31}" سبأ

إتهامات تتراشق، ولوائم تتدافق. ندامة تُسَرّ وحسرات تُفَجّر. صورة يرسمها القرآن الكريم للحوار المرير الدائر بين الطرفين الخاسرين، الطائفة المستضعفة من الشعوب المقهورة التابعة، التي رضخت للهوان والتبعية والذلّ، بل ورضيت به وتابعت عليه، بل واستمرأته واستمتعت به، رغم وصف القرآن لها بالإستضعاف، فالإستضعاف لا يبرر المتابعة ولا يقيم حجة على الرضا. الإستضعاف سببٌ لا نتيجة، سببٌ في إستمرار القهر والظلم والتكبّر، لا نتيجة له. وبين الطائفة المستكبرة الطاغية المتسلطة، المستقوية بالدنيا ومتاعها بالحرام والنهب، التي لا ترى صالح إلا صالحها ولا باطل إلا مُعارضها، ولا حقّ إلا ما يرفعها في الدنيا على أعناق الناس.

تُنحى الطائفة المستضعفة، التي رضيت وتابعت واستمرأت، باللائمة على أسيادها من الطائفة الحاكمة المستكبرة، أنْ أنتم سببُ ما آل اليه حالنا في الآخرة. ولولا ما هيأتموه لنا من أسباب اللهو الباطل والفجور والفساد والربا والزيف، لما كنا على أبواب جهنم راسفين في الغلّ.

"قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ{32}" سبأ

لكنّ الطائفة الحاكمة المستكبرة لا تقبل هذا الإتهام بل تردّه على الطائفة المستضعفة ردّاً غير كريم، قالوا، بل إنّ بذرة الإجرام كانت مزروعة في نفوسكم، ونحن لم نعمم عليكم طلب الخروج عن شرع الله تعالى، بل تَرَك الصلاة من تركها بخاطره، وخلعت الحجاب وتعرّت من تعرّت بخاطرها، ورابى من رابى بخاطره، واستمتع من استمتع بالأجساد العارية على الشاشات، وفي الطرقات و"المولات" بخاطره، وتابعتم ما جعلناه خلافاً لما فرض الله شرعاً محكّماً فيما بينكم وبين بعض وفيما يخصكم، فلا تلومونا ولوموا أنفسكم.

"وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً"

وتتبين للطائفة المستضعفة ما لم يتبين لها في الدنيا، من استراتيجية الباطل وطرق التمهيد له ونشره، فتصيح محتجة على الطائفة الحاكمة المستكبرة، أنْ أنتم من تابع علينا بالإعلانات والمقالات والمسلسلات ليلاً ونهاراً، صيفاً وشتاءً، فأقمتم لنا آلهة جديدة نتعبد لها، آلهة السينما والحب والغناء، وأطلقتم علينا شياطين الأنس لتُسهّل كلّ طريق للتغريب، وتسد كلّ طريق للحق والصواب، ووضعتم من رفعه الله بالعلم والتقوى، ورفعتم من وضعه الله بالفجور والفساد. نصّبتم علينا شيوخاً شروْا الدنيا بالآخرة ولبّسوا الحق بالباطل، وسجنتم أفاضل لا يريدون إلا الإصلاح في الأرض، أنتم سبب ما نحن فيه وما نحن إلا ضحية مظلومة، فيا حسرة الحسرات ويا ندامة على ما فات!

"وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا"

لكن الله يحسم هذا الجدل العقيم، فيظهر لكلا الطائفتين ما أعدّ لهم من العذاب، وقّيدت الأعناق بالأغلال وذهبت حرية الإختيار التي كانت مكفولة لهم في الدنيا.

"هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (33)" سبأ

وقد يظن الظانّ أنّ هذا ظلمٌ للطائفة المستَضْعَفة، ولكن الله سبحانه يبين أن النفس لا تُعاقب إلا بما جنت يداها وبما كسبت برضاها، فالطائفة الراضية المستكينة المتابعة قد "عملت" ما تستحق به هذا العذاب، وعملها هنا هو سكوتها على الباطل وخضوعها له ورضاها به.

<u>المصريون .. وأزمة القمنيّ</u>

أزمة القمنيّ التي هتكت عرضها وفضحت سترها جريدة المصريون، وإن لم يكن الرجل جديراً بأن يكون أزمة، ، يجب أن ينظر اليها المصريون على أنها أكبر من مجرد قصة رجل فاسد ساقط، أهان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذب على الله سبحانه، واستهتر بدين الأمة علناً وبلا مواربة، فإن ذلك يمكن أن يخرج من أي جاهل مزوّر وَجَدَ قوى تسانده في نشر هذا الغثاء، لكن الأزمة التي يجب أن يقف عندها طويلا كلّ مصريّ مخلص لدينه وربه ووطنه هي ما كشفته هذه الأزمة من تغلغل قوى الفساد في أوصال الدولة المصرية ومدى التنسيق بين مجموعاتها المنتشرة في كوادر الدولة عامة، ووزارة "الثقافة"، أو إن شئت "السخافة"، خاصة، فهي الوزارة التي لها من

المصادر والصلاحيات ما يمكّنها أن تبث السموم بين أبناء الأمة على أنه "فكر" أو "أدب" أوفن"،وهو ليس "فكرا" بل "كفرا"، وليس "فنـاً" بل "نفّاً" ! وليس "أدباً" بل "محض "قلة أدب"! هي الوزارة التي تجعل من شهر رمضان خاصة مرتعاً للشيطان، وقديماً انتقد الناس قول أحمد شوقي:

رمضان ولى هاتها يا ساقي   مشتاقة تسعى إلى مشتاقِ

ما كان أكثره على عشاقها   وأقــلّه في عبادة الخـلّاقِ

ولكن شوقي جعل الفساد يبدأ بعد نهاية رمضان، وجعل رمضان شهرا للعبادة، وهذه الوزارة المنكودة قلبت الموازين فجعلت رمضان شهر الفساد والمجون والطبل والرقص تحت إسم الفن، الفنّ الذي أشادت نقابته بجهد فاروق حسني وحكمته وحصافته! فنّ يدعم فنّ القمنيّ ويهيئ له مراتعه.

الأزمة هي أزمة أمة أصبح الفساد والمجون وسبّ الدين أمر تتآمر عليه القوى "الشلليّة" صاحبة السطوة والسيطرة فيها لتمرره على الناس أملاً في أن يصبح واقعاً مقبولاً على كَرْه أولا ثم بلا مبالاة ثانياً ثم برضوخ ورضاً أخيراً. مؤامرة بدأت على إستحياء منذ صدور كتاب "الأدب الجاهليّ"، و"الإسلام وأصول الحكم"، ثم فرّخت وتفرّعت بعد الخمسينيات، ثم تربعت وتفرعنت بعد الثمانينيات، وها نحن نرى أحد مطاياها يُمنح أعلى وسام في الدولة، وهو محض مزور تالف خارج عن الشرعية والقانون.

الأزمة هي أن هؤلاء يسرقون الأمة، في غفلة من أبنائها الذين شغلهم البحث عن رغيف العيش ليل نهار لتتثنى لهؤلاء السرقة في وضح النهار، بل وفي المجالس "العلمية" و "الأدبية" والجوائز التقديرية، فالأمر يتسق مع مخطط طويل المدى لسرقة هذه الأمة. الأمر ليس أن هذه العصابة سرقت مائتا ألف جنيه منحتها لهذا العابث، بل الأمر هو أنها حلقة في سلسلة السرقة الكبرى التي تتناول كلّ ما هو عزيز وغالٍ في حياة هذه الأمة، سرقة الضمير والأخلاق، سرقة الدين والدنيا، سرقة الأصول والفروع، سرقة الدولة والحكم، سرقة كلّ ما يمكن أن يكون عاملا مقوِّماً من عوامل نهضة هذه الأمة، حتى لا يبقى لها من تراثها ودينها ورصيدها الماديّ والحضاري ما يجعلها قادرة على الصمود في وجه أي معتدِ من الداخل أو من الخارج.

ولا أظن أن أحداً في هذه الدولة ممن يجلس على أي كرسي من "المسؤولين" سوف يتخذ أي خطوة ضد هذا العبث بالدين، والسرقة الفاضحة لمقدسات الأمة، إذ هم جزء من المخطط المتكامل لهذه السرقة. ولو حدث أمر مثل هذا في أي دولة من الدول "المتحضرة" التي تنتخب حكوماتها، وتتخير أنظمتها، لقامت قيامة البرلمانات وتشكلت لجان لبحث هذه الفضيحة خاصة والتزوير قد أصبح أحد أركانها، فإن كان سبّ الله ورسوله ليس مجرّما في قانون هذه الدولة، فإن تزوير الشهادات يقع تحت طائل القانون الوضعيّ العلمانيّ، فما بالهم قد سكتوا سكوت الموتى وتقوقعوا تقوقع الحشرة، وأعرضوا إعراض البعير المعبّد!

فلينتبه المخلصون من أبناء هذ الأمة لما يراد بهم من أبنائها العاقين لفضلها وتراثها، ولينتبه هابيلها من قابيلها قبل فوات الأوان!

بين النقد الهادئ ونقد "الطبطبة" .. لكل مقام مقال

لا أتوجه بحديثي هذا إلى القارئ العادي، رغم أني أرحب بقرائنا الأعزاء ليكونوا شهوداً وحكّاماً على ما أقول، ولكني أتوجه به إلى كلّ ذي قلم سواء من الكتاب أو الباحثين، أو رؤساء تحرير المجلات المطبوعة أو الإلكترونية أو المواقع الإعلامية، فإن هؤلاء حاملوا مسؤولية تكوين عقول الأجيال الحاضرة وتوجيه وعيهم وفتح عيونهم على ما يراد بهم وبدينهم من شرّ.

وهذا التوجيه والتكوين ينبنيان على أمرين رئيسين لا يقل أحدهما أهمية عن الآخر، أولهما بيان الحقّ وتوضيحه والثاني كشف الباطل وتحليله وتزييفه، وهو المنهج الذي خطّه القرآن وأقام أركانه بما لا يدع مجالاً لمجادل فيه.

وكما أن بيان الحقّ يجب أن يكون كاملاً قوياً لا تحريف فيه ولا مواربة، وإلا كان تحريفاً له وتبديلا، فإن تزييف الباطل وبيانه ونقده لا يجب أن يكون إلا بوصفه بما هو أهل له ونعته بما يستحق للأسباب التي سنوضحها فيما يأتي.

وقد لاحظت على مرّ السنوات الماضية التي شاركت فيها بجهد متواضع في كلا الأمرين السابقين، أنّ أمر النقد قد اختلط على الكثير، بل على الغالب من كتابنا وباحثينا ومسؤولي التحرير، فلم يفرق كثير منهم بين النقد الهادئ البناء وبين نقد "الطبطبة" أو النقد "الحنيّن" حسب التعبير المصريّ الدارج!

وقبل أن أقول في هذا الأمر قولاً، أود أن أقرر أن النقد صورة من صور المقاومة لا يختلف عنها، ويتشكّل، كما تتشكل المقاومة، حسب درجة الهجوم ونوعيته. وقد قال شوقي:

والشرّ إن تلقَه بالخيرِ ضقتَ بهِ ذرعاً وإن تلقه بالشرّ ينحسمِ

بل إن هذا ما قرره القرآن الكريم في قوله تعالى: "هل جزاء الإحسان إلا الإحسان" يعنى لزوماً، حسب مفهوم المخالفة، وليس جزاء الإساءة إلا الإساءة.

فكلّ صورة من صور الهجوم لها ما يناسبها من صور المقاومة، ولا يشك عاقلٌ اليوم أن المجتمع الإسلامي والثقافة الإسلامية بل وكل ما ينتمي للإسلام واقع تحت وطأة هجوم شرس لا يرحم، سواء بالقوى العسكرية أو الإقتصادية أو الفكرية، وهو كذلك أمر ليس فيه مجال لمجادل. ولو أنّ المقاومة العراقية مثلا تبنت كتابة المقال كردٍ على الإحتلال لكان ذلك ضرباً من ضروب الخبال بلا جدال.

والأمر أنّ منهج نقد "الطبطبة" قد نشأ نتيجة ضعف الأمة بشكل عام، وضعف أفرادها في مواجهة أي هجوم أو تهجّم من ناحية أخرى، والهجوم المتواصل يليّن من عزم الضحية ويوهن من قدرتها على المقاومة الجديّة الصائبة. ولكنّ الجادين من الدعاة والمسؤلين عن مواردها يجب أن ينتبهوا إلى ما يمكن أن ينشأ من ضرر نتيجة هذا التهادن الخائب في بيان الحق وتعرية الباطل بما يستحق.

ثم نبيّن ما نقصد بنقد "الطبطبة"، وهو النقد الذي يستخدم فيه صاحبه كلمات لا تعرّى حقيقة المتهجم على دين الله كأن يذكر أنه مبتدع أو مدلّس أو كاذب حاقد مفترى، أو ما شابه من كلمات وُضعت لغة لتبيّن حقيقة المتهجم على ما هو عليه دون استحياء، إذ لم يستحى المتهجم على دين الله، بل دلّس وكذب وافترى وأراد بالإسلام وأهله شراً، فما علينا إن وصفناه بما يستحق، بل إن وصفه بأقل من صفاته هو تدليس في حدّ ذاته لا يصح من داعية أو باحث جادّ.

وما يجب أن ينتبه اليه الدعاة والباحثون أنّ الأجيال الحاضرة اصبحت تعتمد أكثر ما تعتمد على السمع والرؤية في الأجهزة الإعلامية وشاشات المواقع لا على القراءة أو التحليل، وأصبح من الضروري اللازم أن يصاحبها الكاتب أو الباحث لا في شرح الحقائق وبيانها بل وفي استخلاص النتائج وتحديد الحق من الباطل بكل وضوح وبلا غبش.

وأن يقوم داعية أو باحث بتناول مقال مضللٍ عادٍ أثيم دون أن يطلق عليه ما يستحق من صفات يوهم القارئ أن الأمر مجرد إختلاف في الرأي وأن كلا الكاتبين له وجهة نظر يعرضها وأنّ كليهما يستحق الإحترام والتقدير، وأنْ ليس للبدعة أو التدليس والكذب وخيانة الله ورسوله محلٌ بينهما، وفي هذا ما فيه من خطأٍ وتزييف. والحق أن يبين الكاتب أو الباحث حقيقة ما عليه المبتدع الضاّل **بأن يسميه باسمه، والإسم له نصيب من حقيقة الشخص نفسه وجزء من تكوينه لا يجب أن تُغفل، وتسمية الأشياء بأسمائها شرع يمنع من التضليل والتحريف.**

وأكاد أسمع عدداً من الكتاب والباحثين ورؤساء التحرير الذين اعتادت أقلامهم الحذف والقصّ إن مرت على وصف ببدعة أو ضلال أو كذب وتدليس، أكاد أسمع قولهم: وما علينا من هذا اللون من الكلام، ونحن نقرر الحق بعينه ونرد

على الباطل ونبين زيفه، ما علينا أن نقرر أن صاحب الباطل مُبطلٌ وأن صاحب البدعة مُبتدعٌ وأنّ من دلّس هو مدلّسٌ؟ والحديث الطيب أطيب وأنفذ إلى القلوب من الحديث الفظّ الغليظ، ولا حاجة إلى تنفير القارئ من المقال بمثل هذه الكلمات التي قد يتصورها تعدياً وتجنياً. نعم، هذا مجمل ما يردده أصحاب "الطبطبة" وأهل "النقد الحنيّن" ليصفوا لهم ما أرادوا من منهج.

وقد يظهر هذا المنهج للوهلة الأولي منهجاً صواباً رقيقاً هيناً ليّناً، ولكن دعونا ننظر فيما وراء هذه الإدعاءات من حق. فإن حذف الحق ومداراته لا تسمى ليناً وهوادة، كما أن بيان حقيقة المخادع وتسميته بما هو عليه ليس غلظة وشدّة، هذا من سبيل تحريف الكلم عن مواضعه، هذه واحدة، ثم الأخرى أنّ الغلظة والشدة مطلوبين كما أنّ اللين والهوادة مطلوبين كلّ في مجاله ومناطه، وأن نَخلُف الأمر ونقلبه على عقبه بأن نستخدم اللين والهوادة محلّ الغلظة والشدة هو خطأ شرعيّ يحاسب عليه فاعله، فإن الله سبحانه حين وصف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن وبيّن طريقة تعاملهم مع الغير من صنفيّ الناس قال: "أشداء على الكفار رحماء بينهم"، فالشدة تكون على من خرج على دين الله ونافق وابتدع، واللين يكون منهجاً سوياً حين يتناول من أخطأ أو اختلف في الرأي ممن يحب الله ورسوله من أصحاب المذهب السويّ، وهو مقتضى قوله تعالى: "رحماء بينهم" وأهل البدعة والنفاق والكفر ليسوا ممن يقال عنهم "بينهم" بأي شكل من الأشكال. كما قال تعالى: "جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم" فالغلظة منهج له محلّه حين يكون الخصم متعدياً على دين الله قاصدٌ لهدمه، وقل لي بالله عليك: ماذا ترى في مثل "جمال البنا" الذي حرّف ودلّس وبدّل وأنكر معلوماً من الدين بالضرورة وأنكر الحدود وغيّر الشرع، أيصلح له أن يردّ عليه رادّ أو ينقده ناقد دون أن يبين للقارئ أن هذا الزنديق المتعالم كافر مشرك منكر لحدود الله ومبدّل لدينه؟ أيصلح أن يكتب كاتب عن زندقته التي ينشرها على الناس دون أن يبين لهم حقيقته واضحة صريحة أن ينعته بصفاته التي سيلقى الله عليها؟ هذا وإلا ظهر وكأن الأمر أمر اختلاف في الرأي وتباين في وجهات النظر لا غير! والكلام الطيب أوقع وأنفذ للقلوب لا جدال في ذلك، ولكن، ألا ترى أن صرخات هؤلاء المهووسين من أعداء دين الله وسنة نبيه يجب أن تعلو عليها أصوات الحق وأن قعقعة السيوف إن علت دلّت على شدة المقاومة وشراستها.

وفارق بين ما نقرر هنا وبين ما ابتدعه المدخليّ وأتباعه من أدعياء السلفية ومزيفيها، الذين يتهجمون على علماء الأمة الأبرار بلسان مقذع كاذب، إذ إننا نتحدّث عن أمثال طه جابر علواني وجمال البنا ومن هم على شاكلتهم من أهل البدعة والضلال.

بالله عليكم، كفى هذه الأمة ضعفاً وهواناً، كفى هذه الأمة انحناءاً و"طبطبةً" وحناناً على من لا يستحق الحنان، ورحم الله شيخنا وشيخ العربية العلامة الإمام "محمود شاكر" فقد كان علماً على أسلوب النقد الجادّ فيما كتب عن الخبيث الخسيس شرلتان زمانه "لويس عوض"[14].

"..إنفضّوا اليها وتركوك قائما" صدق الله العظيم

في ليلة البارحة، أثناء صلاة العشاء التي تعودتها في مسجد صغير قريب، أخذ الفكر يتفلّت ويسنح بعيداً في أفق الحاضر ودلجات الماضى شاردا عن قراءة الإمام الذي أخذ صوته في التباعد رويدا رويدا حتى كدت أن أغيب عن المسجد مرةً، "فإذا رأوا تجارة أو لهواً إنفضوا من حولك وتركوك قائما"، وإذا بالفكر ينجذب بشدة عائداً إلى الإنصات حين تلا الإمام هذه البينات، وإذا بي أدرك أن مقتضى هذه الآيات هو ما يقع للناس حين يأخذهم آخذ الدنيا فيتفضّوا من حول الإمام القائم مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتركوه قائماً. جاء في الطبري "وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَة

[14] انظر "أباطيل وأسمار"

أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوك قَائِمًا} يَقُول تَعَالَى ذِكْره : وَإِذَا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ عِير تِجَارَة أَوْ لَهْوًا {انْفَضُّوا إِلَيْهَا} يَعْنِي أَسْرَعُوا إِلَى التِّجَارَة { وَتَرَكُوك قَائِمًا } يَقُول لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَتَرَكُوك يَا مُحَمَّد قَائِمًا عَلَى الْمِنْبَر ; وَذَلِكَ أَنَّ التِّجَارَة الَّتِي رَأَوْهَا فَانْفَضَّ الْقَوْم إِلَيْهَا , وَتَرَكُوا النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمًا كَانَتْ زَيْتًا قَدِمَ بِهِ دِحْيَة بْن خَلِيفَة مِنْ الشَّام" والإنفضاض المعنيّ في الآية الكريمة هو الترك الفعليّ بالجسد، كما حدث في سبب النزول، ولكن الأمر هنا أن النتيجة واحدة في الحالين، الإنفضاض الجسديّ والإنفضاض الفكريّ، كلاهما سببه الإنشغال بالدنيا وحبّ العاجلة والإستخفاف بقدر الوقوف بين يديّ الله سبحانه، كما استخفّ القوم بمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم لأجل زيت دِحْيَة بْن خَلِيفَة!

فليحذر المرء حين يقف بين يديّ الله أن ينفضّ ويترك الإمام قائما يتلوا آيات الله، فإن ذلك مما حذّرنا منه القرآن بطريق المفهوم، ودلّنا سبحانه على أنّ الإنتباه إلى قراءة الإمام والإنصات له وللخطبة هو خيرٌ في الدارين، في الآخرة لقول الله تعالى: " قُلْ مَا عِنْد اللَّه خَيْر مِنْ اللَّهْو وَمِنْ التِّجَارَة"، وهو ما عنده سبحانه في الآخرة من جزاء لمن يحبس نفسه على الإنصات والسماع دون السعي بالجسد أو الفكر وراء الدنيا وملاهيها، وهو خير في الدنيا لقوله تعالى :" وَاَللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ" إذ لا يد للعبد في جلب الرزق أو دفعه إلا السعي، فهو سبحانه الرازق لا رازق غيره، والإنفضاض عن مجالس الذكر وقراءة الإمام بالتفكير في الدنيا ولهوها لن ينفع صاحبه بشي إلا خسارة الدنيا والآخرة

جعلنا الله سبحانه ممن يستمعون إلى القول فيتبعون أحسنه

أهل السنة والجماعة – الإسم والمسمى

لا أدرى كيف بدأ، أو إلى متي سيظل،استعمال تلك التسميات العديدة لجماعات إسلامية تدعي اتباعها لمنهج أهل السنة والجماعة، ثم تطلق على أنفسها أسماء مثل "أنصار السنة" أو "السلفيون" أو غير ذلك من تسميات لا سند لها ولا رصيد من تاريخنا!

ومع إدراكنا أن لا مشاحة في التسميات، إلا أن الواقع الممزق والحاضر الذي تبعثرت فيه المعاني وانحرفت فيه المقاصد يملي علينا ان نتمسك بما كان عليه السلف الصالح، ولا أعتقد أن مثل هذه الجماعات تنكر ذلك أو تدعى غيره، والسلف الصالح كانوا يطلقون على أهل القرون الثلاثة الفضلى، ومن جاء على هديهم من بعدهم، أهل السنة والجماعة، تلك هو إختيار السلف، فما بال "السولفيون" يخالفون ذلك إلى إطلاق اسم يحمل بعمومه أي دلالة.
فالمعتزلة سلفيون، لأنهم يتبعون سلفهم كواصل بن عطاء و والجاحظ وغيرهم من سلفهم، وكذلك الخوارج والمرجئة والرافضة، إذ هم "سلفيون" ولا شك، وهم ليسوا من أهل السنة والجماعة بلا خلاف، فما بال المنتمين إلى منهج أهل السنة والجماعة من سلفنا يتركون إختيار السلف إلى إختيار خلف الخلف؟ أليسوا أولى الناس بأن يتصفوا بما تعرف عليه المسلمون السنة طوال قرون متطاولة؟

ووصف أهل السنة والجماعة، يحمل دلالات عديدة تعجز عن أدائها تلك التسميات المستحدثة. فهو يحمل في طياته معنى إتباع السنة، وهو ما قصدت اليه تسمية "أنصار السنة" ويحمل معنى إلتزام إتباع السلف الصالح من أهل القرون الثلاثة الفضلى ومن تبعهم، وهو ما يهدف اليه "السلفيون" دون أن يحققوا بتسميتهم إلا شتاتاً من هذا المعنى، ويفتحون به أبواباً للخلط والمرج في المعاني والدلالات لا يكاد ينسد.

ويحمل كذلك هذا الوصف المعبّر معنى إلتزام الجماعة، وهو الأمر الذي أكاد أجزم أنه السبب الرئيس الذي إنحرف بتلك الجماعات عن أن تنضوى تحت مسمى "أهل السنة والجماعة"، إذ إن كل جماعة من هذه الجماعات قد رفضت بعض ما جاءت به الأخريات أو كله، فكان لزاما عليها أن تسمى نفسها إسماً يحفظ عليها هويتها ويكرس خلافها مع الآخرين، ويعطى المنتمين لها هوية خاصة هي ما يسعون اليه طلباً للتميز وحرصاً على التفرد، وهو خلاف المقصود من الشريعة التي تدعو الى التوحد تحت راية واحدة اختار لها الله سبحانه اسم "المسلمون"، ثم عيّن منها السلف الصالح اسم "أهل السنة والجماعة" تمييزا لها عن تلك الفرق التي انشعبت خارجة عن السنة، حاملة للبدعة. واحتفظت الفئة الناجية بتلك التسمية عبر قرون متطاولة وخلال أحداث متتابعة، لم تغير هويتها ولم تبدل اسمها إلى أن أظلنا عصرنا هذا بما حمل من سخريات تحسبها جِدًّاً، فتغيرت أعراض وجواهر ولم يسلم من ذلك إلا النادر.

وأهل التغيير الصادق والعمل الإسلاميّ الواعد لن يكون لهم اسم إلا ما عبق برائحة السلف وتجارب القرون "أهل السنة والجماعة"، إتباعا للسنة وتوحيداً للصف.

أيام البــلاء

يتحير الكاتب فيما يكتب في هذه ايام البلاء هذه، فأينما وجه فثمّ مشكلات ومآسى وحروب وقتل وسفك لدماء المسلمين ونهب لثرواتهم والإعتداء على دينهم وقيمهم وأبضاعهم وأبشارهم، وتحكم في مصائرهم لم تسبق له سابقة.

إذا نظرت إلى فلسطين، وجدت الخزي العربيّ متجسد بأحط درجاته، حيث الحكومات العربية العلمانية أحكمت الحصار على الفلسطينيين أسوة باليهود بل اشد وطأة منهم، ثم إذا بالمحادثات عما يسمى "المصالحة" تتعثر لا لشي إلا لأن الغرب يجب أن يأخذ الموافقة من واشنطن على شكل الحكومة المقترحة، ويسافر وزير الخارجية المصريّ ليستجدى حلا ترضى عنه اليهود والنصارى! وأبناءنا في فلسطين تحت الحصار، ورفح مغلقة بأيدى كفار النظام، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وإذا وجهنا النظر إلى العراق، وجدنا النظام الصفوى المجوسي صاحب اليد العليا في تلك البلد، وهو لا يأبه للتغلغل الصهيونيّ، بل هو يباركه ويساعده ويغض الطرف عنه، وما سمعنا أحد في حكومة المالكيّ يحذر أو حتي يشير إلى هذا التغلغل، ولكن الأهم لهم هو السيطرة على أهل السنة والقضاء على وجودهم تدريجيا، إن استطاعوا. والأمريكان يتخبطون في الورطة التي أوقعهم فيها بوش المجرم، كيف السبيل إلى الخلاص منها. وهم يعلمون أن السبيل الوحيد

لذلك هو ترك الأمر كله تحت سيطرة الفرس الإيرانيين، وهو ما لا يريدونه حتى لا تنفرد إيران بالتحكم في بترول العراق والسعودية والإمارات جميعا. وأهل السنة في هذا الخضم ليس لهم معين إلا الله سبحانه بعد أن رفعت الحكومات العربية العلمانية يدها عن مساعدتهم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ثم إلى الصومال، حيث الفتنة قائمة بين إخوة الأمس، يعلم الله ما وراء شيخ شريف وما هي حدود "إتفاقاته" مع الغرب، ولكن شباب المجاهدين لم يتيحوا فرصة للرجل ليبين خططه ونواياه، وكان أن إستمرت بحور الدم تماما كأيام الإحتلال الأثيوبيّ. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ثم باكستان، وما أدراك ما باكستان! فالخطة الصليبية الأمريكية تهدف عامة إلى هدم هذا االبلد وتمزيقه، والقضاء على قوته النووية التي ترعب الصهاينة ولا شك، ويساندها في ذلك قادتها العلمانيون ممن لا دين لهم، مشرف من قبل، وزرداري من بعد، وما احدهما بأفضل من صاحبه. وتتربص بهم الهند بإيعاز من الأمريكان. وتتكالب قوى العلمانية الداخلية لتزيد النار أجيجاً ولتعمل على استئصال شأفة الإسلام من هذا البلد الذي ولد باسم الإسلام، ولا يستمد شرعية بقائة وإنفصاله عن الهند إلا بإسلامه. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ثم إن عدنا إلى منطقتنا العربية، فحدث ولا حرج عن البلاء! فمصر قد استسلمت لمصيرها تحت الأسرة المباركية وتنتظر تعيين مبارك الثاني، بمباركة أمريكا، والأسرة المباركية هم طغمة من العلمانيين أعداء الإسلام والدين، وأعداء الحرية والتقدم، لا ولاء لهم إلا لحساباتهم الخاصة واستثماراتهم، ومن ثم لمن يسمون "رجال الأعمال" من منافقين ونصابين قد إمتلأت بأخبارهم الصحف، ولكن المصري العاميّ لا يوجد على خريطة إهتمام هذه الطغمة بأي حال من الأحوال، ومن هذا المنطلق يمكن أن تفسر ما يحدث في نقابة المحامين، والقضاة، وفضيحة رفح التي كشفت ما كان قد بقي من قناع يتلفحون به تحت ستار أسماء مسلمة، وبان كفرهم بالله ورسوله وولائهم المطلق لليهود والنصارى.

ومثل ذلك في بقية ما يسمى بالحكومات العربية، التي لا يفرقها عن الحكومات الغربية إلا "نقطة" فوق العين! نحسبها دمعة مظلوم ألحقتهم باليهود والنصارى. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

<u>لا وقت للخوف .. قبل التنصيب</u>

الظاهر من أمر السياسة المصرية، وإن كان أمراً لا تزال تفزع فيه آمال الكثير منا إلى الكذب والإنكار، أنّ السيد جمال مبارك هو القائد التالي لشعب مصر إلى ما شاء الله لهذا الشعب من مصير، أدركنا بعضه في الثمانية والعشرين عاما السالفة، وسنصل إلى غايته تحت حكم السيد جمال في القريب العاجل. إذ لستُ ممن يتلاعب به خياله أو تصرفه عن الواقع أمانيه وأحلامه، فهذا الأمر، كما هو ظاهر لذي العينين، في رأيى المتواضع، قدر زاحف على أمتنا بما قدمت أيدينا.

والأمر هنا أنّه في اللحظة التي يتولى فيها السيد جمال منصب الرئاسة تنخلع عليه بقدرة قادر حصانة طوطمية وحماية علوية سحرية تجعل القلم يرتعش في يد حامله إن أراد به نقداً فلا يملك إلا أنْ يلقيه من يده مستعيذا بالله من شر ما كاد أن يقترفّ. وتجعل الفكرة الفاحصة المخلصة، بشأن قوله أو فعله، تضطرب في عقل صاحبها حتى تُطرد من عقله بلا رجعة. ولكنه الواقع الذي تعيشه الجماهير العربية المسلمة على كلّ أرض عربية مسلمة. ومن ثم، فإنه يجب على اصحاب الأقلام والكتاب من المخلصين، من القلة الذين تبقوا منهم على أرض الكنانة، أن يهتبلوا هذه الفرصة ويغتنموا فترة ما قبل التنصيب (من النُصُبْ!)، ويظهروا ما للسيد جمال من مساوئ أو حسنات

فجمال مبارك مواطن من بقية مواطني مصر، ليس من عائلة ملكية، ولا شبه ملكية، بل هو إمرؤ عادي من هذا الشعب لا أكثر ولا أقل. من هذه الناحية فإن الحديث عنه لا يجب أن يجد أحد فيه حرج أوعنت. جمال مبارك، وإن

كان من أهل السياسة الذين وصلوا إلى عروشها من أقصر الطرق، يبقي من أهل السياسة الذين يجب أن يكونوا تحت مرقاب الشعب في كافة أحوالهم وأقوالهم، فتصرفاتهم تنعكس مباشرة على مصير الملايين لا على مصير عائلة أو مجموعة من الناس، ومن ثم يجب أن تكون محكومة مراقبة لا تعلو على نقدٍ أو تجريح. أهل السياسة، على وجه الفرض، كتاب مفتوح لكل قارئ يتصفحه ويعلّق علي ما فيه بما شاء وقتما شاء. هكذا يجب أن يكون جمال مبارك إن أراد أن يكون من أهل السياسة.

ولكن، من ناحية أخرى، فإن جمال مبارك هو الإبن المختار لرئيس هذا الشعب، وهذا البعد يلقى بظلاله الثقيلة على صورة جمال مبارك، الإنسان العاديّ العاميّ، أو السياسيّ صاحب الشخصية العامة. جمال مبارك الإبن المختار الذي لم تصعد به قدراته العلمية أو خبرته السياسية الطويلة، بل صعد به نسبُه إلى مكانة لولا هذا النسب لما كان له أن يتطلع إلى القرب منها، بله توليها. وهذه الصورة، وهذا الجانب، يطغى على كلّ جانب آخر حين يريد كاتب أو صاحب قلم أن يتحدث عن جمال مبارك. حرج يمنع أي حديث موضوعيّ عن الرجل وعن إمكانياته الحقيقية التي قد، وقد لا تكون مناسبة لما يهيؤنه له من منصب.

أن يسعى صاحب سلطة في أن يؤهل من ذريته من يصلح أن يتولى من بعده، فليس هذا من قبيل ما لم يتعارف عليه الناس بشكل أو بآخر، في الصورة الملكية المعاصرة التي تملك ولا تحكم، بل ويحدث – من وقت لاخر - في ظل الجمهوريات الديموقراطية ، كما حدث في تزييف نتائج انتخاب بوش الصغير، لكن بشكل عارض طارئ على النظام، وهو ما أدى إلى أن تولى غير كفء فخرب الدنيا بأسرها. لكن هذا الشكل من التوريث في الجمهوريات الدكتاتورية هو ما يمثل خطراً عظيماً لأن هذه النظم أصلا لا ترعى إلا مصالح نخبها ولا تبيع شعوبها إلا كلاماً لا طائل تحته. فلا يمكن أن يكون التوريث فيها إلا استمراراً لفساد قائم وديكتاتورية مهيمنة، كما نرى في مستقبل الإخوة سيف الإسلام القذافيّ وأحمد على عبد الله صالح الذين يسيرون على نهج بشار الأسد.

يجب أن يدرك أصحاب الأقلام أنه لا وقت للخوف، فوقت الخوف قادم سيطول أمده إلى ما شاء الله. عليهم أن ينتهزوا هذه الفرصة، قبل التنصيب، فيبينوا للناس ما يستحق البيان، ويضعوا النقاط على الحروف، قبل فوات الأوان. والكتّاب وأصحاب القلم يفترض فيهم النزاهة والشجاعة والتضحية وحب الحق، والفارق بين الجبن والنفاق الذي يتلبس بخدعة "المصالح" وبين الشجاعة ونصرة الحق والقوة فيه دون تطرف أو مزايدة هو الفارق بين قلم يعيش ويفيد، وبين قلم هزيل يكشف صاحبه. فهم أمناء على فكر ابناء هذه الأمة، إلى حين.

ثم إن الله قادر على أنّ يغير من حالً إلى حال رأفة بهذه الأمة وبمن بقي من صالحيها.

<u>حرب المعلومات .. والعداء الصليبيّ</u>

يظن بعض الطيبين من المسلمين أن العدو الصليبي واقع تحت تأثير خطأ في فهم الإسلام، والحركة الإسلامية بشكل عام، أو جهل بهما، وهو ما يفسر العداء السافر الذي يحملونه لكل ما يمت للإسلام بسبب، فالجاهل عدو ما يجهل، ومن ثمّ فإن البيان والشرح للإسلام لابد وأن يغيّر هذا الواقع وأن يجعل العدو أقلّ عداءاً، بل قد يحوله إلى رفيق درب في هذه الحياة إلى أن يحكم الله بيننا يوم القيامة. إلا أنّ واقع العداء يختلف عن هذه الصورة إختلافاً تاماً شكلاً وموضوعاً.

ولا شكّ أن الشرح والبيان للإسلام ضروريّ لنشر دعوته، ولكن الأمر لا يتعدى أثره العامة من مواطني الغرب، أما مسار الحكومات وعملاء الحكومات من أجهزة أمنية غربية أو شرقية، فلا يزيدهم فهم الإسلام ومعرفة مركباته وتفاصيل حركته إلا عداءاً له وكرهاً لأهله، وصدق الله العظيم.

وفي هذا الصدد، فقد صدر مؤخراً كتاب أحسبه من أكثر الكتب وضوحاً وتتبعاً للحركة الإسلامية الجهادية وأغراضها، وأكثرها خطراً في هذا الشان، تحت عنوان: "Global Jihadism" أو الجهاد العالمي، لمؤلفه Jarett Brachman، جاريت براكمان، مدير مركز مكافحة الإرهاب بالأكاديمية العسكرية الأمريكية في وست بوينت، وأستاذ العلاقات الدولية بجامعة نيويورك، والمحلل ب السي آي أيه CIA سابقاً. وهو يهودي له علاقات عديدة في الشرق الأوسط وخاصة فلسطين. وهو صاحب تعبير "Jihobbyism" *الجهابية* أي الجهادية الوهابية!

والكتاب، كما قسمه صاحبه، يتناول الجهاد نظرية وتطبيقاً، فقد تعرض في الناحية النظرية إلى مفهوم التوحيد والولاء والبراء، ودار الإسلام والحرب، ثم عرّج على مناهج السلفية فنقل عن كتابى الذي اصدرته بالإنجليزية والعربية عام 1425 هـ الموافق 2004، "The Counterfeit Salafis"، والذي أردت به شرح السلفية الشرعية وما يقرب منها وما يشذّ عنها ممن يدعى السلفية منهجاً بشكل عام، فتابعه في التقسيم (ص26-41 من كتابه) وإن بدّل تسمية الأقسام السادسة والسابعة من اهل السنة الوسط إلى القطبية والسرورية! لتفادى قبول تعبير الوسطية في المحيط السلفيّ عامة. والعجب مما قال في هذا القسم حين تعرض لفكر عبد العزيز المقرن، كمثال للفكر الجهاديّ، من أنّ "مثاليته وطهارته في فهم الإسلام، وكراهيته للنفوذ الأمريكيّ اليهوديّ المسيطر على الحكومات والمجتمعات العربية، ...ورغبته الأكيدة في الموت فدءاً لفكره" ص4. وهو ما يدل على فهمه للفكر السلفيّ الجهاديّ، ورفضه لفكرة التحرر العربي الإسلاميّ من الخضوع للغرب الصهيوني الصليبيّ، وهو كذلك ما يعارض كلّ ما تروج له ماكينة الدعاية الأمريكية من رغبة في نشر الديموقراطية! والعجب كذلك أنه حين تحدث عن الإستراتيجية الجهادية بيّن أن إستراتيجية الجهاديين تقوم على إفتراض أن الولايات المتحدة هي محور المؤامرة العالمية الغربية للقضاء على الإسلام (ص 82-83) لكنه لم يكذب هذا الفرض ولم يحاول حتى إنكاره.

ثم عرّج على الناحية العملية فقام بمسح واسع للمواقع السلفية وكل من يمت لها بصلة وتعرض للشخصيات المعروفة في هذه الأوساط ناقلا أقوالهم، فنقل عن أبو محمد المقدسيّ وابو عمر البغداديّ، وحمود بن عقلة الشيبانيّ وغيرهم.

ثم انتهى الكتاب بخلاصة أنه "طالما ان هناك مفكرين وقواد يدفعون هذه الحركة فستجد دائما منبعاً لا ينفد من اتباع *الجهابية*"، وأنه مهما كانت التضحيات التي يقدمها الغرب من مال وارواح لوقف هذا المدّ الإسلاميّ فإنها رخيصة في مقابل الهدف.

وهذا الكتاب، مع إقرارنا بالخلاف مع بعض ما تقرره هذه الجماعات الجهادية، يبيّن أن فكرة التعرف على الإسلام لدى الغرب لا تخدم فكر التقارب أو الإصلاح، والرجل، وإن كانت محاولته للفهم أعمق كثيراً حتى مما تحاوله منظمات "الأمن القومي" العربيّ، بل وهو أقل منها شراسة في الهجوم لما يمثله من أكاديمية علمية تقوم على الدراسة والتمحيص، لكنه يقدم المادة الخام لقوى القهر الصليبي الصهيونيّ من باب إعرف عدوك. فعلينا عامة، وعلى مفكرينا خاصة، أن يتنبهوا إلى هذا البعد من الخطر الأكاديميّ، إذ هو الوقود للحرب الدائرة على الإسلام بالسيف والقلم.

دول الخليج.. بين الإسلام والحداثة

أوردت الجزيرة أنّه قد "اختتم أمس في أبو ظبي بالإمارات العربية المتحدة مؤتمر"الخليج العربي بين المحافظة والتغيير" الذي تناول حرية الإعلام الخليجي وتحديد مفهوم المواطنة بدول الخليج، ومدى اعتبار العلمنة شرطا لتحقيق الحداثة"[15].

ومما شدّ الإنتباه فيما تحاور فيه المؤتمرون في الجلسة الختامية عما إذا كانت العلمنة شرطا لتحقيق الحداثة!ومع تأكيدهم على عدم تغييب الدين!، فقد أكدواعلى مبدأ المدنية في شكل الدولة!

كما أفصح وزير سابق عن أن النموذج الدينيّ للحكم "مناقضٌ لمواد الدستور الناصة على مساواة الجميع، كما أن الدول الدينية "لا تعترف بالتداول السلمي للسلطة" على حدّ ما نقلت عنه الوكالة!

ولا أدرى والله ما الذي دهى القوم بهذه الدواهي العقلية؟ إن ما يردده هؤلاء ليثير الحيرة والإستغراب ثم الحسرة والإستياء ثم اليأس وفقد الرجاء في أمثال هؤلاء، فماذا يقصد القوم بالتغيير؟ تغيير ماذا؟ إلى ماذا؟ أيكون المقصود بتعبير المحافظة هو التخلق بأخلاق الشرع والتحاكم لكتاب الله أفراداً وجماعات، والتغيير هو الإنخلاع كلية عن كتاب الله سبحانه والإنفضاض من حول سنة نبيه صلى الله عليه وسلم؟ أيكون مفهوم المواطنة التي يدعون لها دائر حول أن الأرض هي الجامع المؤسس لحقوق الفرد لا الدين الذي قرر فقهاؤنا بلا خلاف بينهم أنّه وحده الذي يحدد المواطنة وأن المسلم مواطن في الأرض التي تجرى عليها أحكام الإسلام، مع مراعاة حقوق الأقليات غير المسلمة حسب ما شرع الله تعالى من عدم خفر ذمتهم أو العدوان عليهم أو سلبهم حقهم في العيش والحياة الكريمة بين المسلمين على أرض الإسلام، كما حدث على مدار تاريخنا خلافاً لتاريخ الصليبية المتوحشة التي قتلت اليهود أو الرومانية الملحدة التي قتلت النصارى من قبل؟

وما لنا نضرب أخماساً في أسداس، والوزير السابق قد تكفّل بالإجابة أنّ "نعم" هذا عين ما قصد اليه المؤتمرون، إذ إن النموذج الديني – هكذا! – للحكم يناقض الدستور على مساواة الناس! فسبحان الله، والله الذي لا إله إلا هو إن هذا إلا قول مرتد خلع الربقة، وهل الدستور هو الحاكم على دين الناس أم أنّ الإسلام هو الحاكم على الدستور؟! وهل الإسلام لا يسوّى بين الناس بما يرضى عنه بوش وأتباعه؟! ألهذا الكلام أي محمل آخر ينفي عنه هذه الهرطقة المكشوفة؟! ثم يقول الزير – أقصد الوزير – السابق أن الدولة الدينية - يعنى التي تحكم بما أنزل الله – لا تعترف بالتداول السلمي للسلطة! أي تداول يقصد هذا الزير – أقصد الوزير – السابق، أهو تداول للسلطة بين من التزم بالإسلام دينا وبحكم الله حكماً واختلفت رؤيته فيما هو من قبيل المصالح المرسلة للناس فيما فيه محلّ للإجتهاد؟ وهذا التداول لا يرى به الإسلام بأساً وأمره إلى أهل الحلّ والعقد، يحلون عقداً ويعقدون غيره، أم أنه يقصد تداول السلطة بين المسلمين وبين من خرج عن شرع الله الحكيم وأرادها علمانية لادينية تعادى أولياء الرحمن وتوالى أعداء الإسلام وتتمحك بالإسلام خوفاً من غضب الناس وتفعل خلافه في كلّ خطوة وكلّ قرار؟

التحرر – أيها السادة المؤتمرون – يكمن في حرية القرار بأن يكون نابعاً من عقائد الشعب وموروثاته، لا مما يُسْتَورد من قيم وعادات لا يعرفها الناس ولا يعيشون بها، والتغيير ليس مقصوداً لذاته، وإنما يكون حين يكون هناك

[15] http://www.aljazeera.net/NR/exeres/89749ABB-55D6-49F9-8C44-5FA5FC10AA2A.htm

حاجة اليه، وأي حاجة لنا في تغيير ما حكم به الله سبحانه من حدود وعقود ومعاملات، ما صالحنا في تبني الربا المحرّم بديلا عما وجّه له القرآن من سُبل البيع الحلال؟ لصالح من نبتذل نساءنا وأخواتنا وأمهاتنا فنقتن سفورهن ونفخر بعريهن حتى وإن أبت العفيفات منهن ذلك؟ لصالح من ننشر الفاحشة بين الناس لمجرد أن نخرج عليهم بأن قد "غيّرنا" والحمد لله؟ أهو التقليد الأعمى للغرب فيما ليس فيه صالح للمسلمين؟ أي والله نعم إنه هو بعينه.

ثم لماذا لا نغيّر في مجال الصناعة مثلا بأن نُعنى بإنشاء صناعات ثقيلة تحرر إقتصادنا من ربقة الحماية الأنجلوأمريكية؟ أيكون معيار التغيير هو علوّ البنيان وإتساع ساحات الملاعب الرياضية ومدى "الخدمات" الترفيهية التي تقدمها الفنادق لروادها صباحاً و"مساءاً"؟ ألا يصحّ أن يوجه هؤلاء المؤتمرون جهدهم لإنشاء صناعات ونشر جامعات ومراكز بحوث تنفق عليها الأموال لتقدم لشعوبنا خلاصة العلم في مجالات الطب والهندسة والزراعة والتقنية بلغتنا العربية فنكون راعين لهذا العلم كما كنّا من قبل بدلا من أن نظلّ عالة عليه؟

إنها والله لحسرة تتفاقم في صدر المسلم يوماً بعد يوم فيمتلأ حزنا وغمّاً، حين يرى بعين أن بلاد الإسلام تمتلك أكثر من 60% من أغلى سلع الدنيا – البترول – ثم يرى بعينه الأخرى مدى التخلف الفكريّ الذي يعيشه هؤلاء التائهون عن أنفسهم وعمن حولهم، وعن منهج الله سبحانه، سادرين في أحاديث لا يعلمون لها مبدأ ولا منتهى إلا كلاماً خائباً لن يجلب على أهله إلا الذلّ والصغار.

"وتلك الأيام نداولها بين الناس" - بين الشِّــرَّة والفِـتْرة

وصلتني رسالة على الموقع من أخ كريم "محب لأهل السنة" يتساءل فيها عن سبب تراجع معدل الكتابة في الموقع وعدم نشر كلمة الأسبوع بشكل مستديم كما تعّود منا قراؤنا الكرام.

والحق مع الأخ الكريم "محب أهل السنة" فيما لاحظ، والشكر له على إهتمامه وتوجيهه، وإنه لأمر جدير بالتفاؤل والبشر أن أعرف أن لنا قراء يحرصون على حمل هدفنا كما نحرص عليه سواء بسواءن وكفى بهذا نجاح ولله المنة والفضل.

ثم، إن أمر الكتابة أمر عجيب، فهي كالإنسان في تقلب أحواله وتبدل شؤونه، مرة هي إلى شِرّة ونشاط واندفاع وحيوية ، تستجيب إلى كلّ نبضة من نبض الواقع بما يبين موقعها ويحدد مجراها ويستنبط مرساها، ومرة هي إلى فِتْرة وتكاسل وتثاؤب، لا يكاد يوقظها إلى هز الزلازل ونزول الصواعق. والكاتب يتردد بين هذين الموقفين يغلب عليه النشاط تارة وتهزمه الفِترة تارة أخرى. والسعيد من استكثر من الأولي وتخفف من الأخرى.

هذه واحدة، والثانية، أني قد عاهدت الله سبحانه، وعوّدت نفسي منذ حملت قلم الدعوة في السبعينيات من القرن السالف، أن لا أكتب إلا إن حزمني أمر رأيت أن لي فيه قول جديد مفيد، وإلا إن كنت أبّين حقاً وأوضح سبله أو أن أكشف باطلاً وأفضح عواره، إذ إنى لست بالكاتب المحترف الذي يتخذ من المقال وسيلة للعيش، ولن أكونه بإذن الله تعالى وفضله، فالكتابة بالنسبة لي هي أداة الدعوة التي مهدها لي الله سبحانه، ولا أرى أن تكون إحترافاً وأن أكتب لغرض الكتابة وإن لم يحزمنى أمر ولم يكن عندى جديد مفيد لسبب من الأسباب التي ذكرت طرفاً منها. ولا يعنى هذا بطبيعة الحال أن الجديد المفيد قد نضب معينه وقلت موارده، بل إنه لا زال الجديد المفيد كثير ينتظر من يرد موارده، كذلك فإن الحق لا ينتهى بينانه والباطل لا يخمد صوته، ولكن الأمر مرجعه إلى الكاتب وإلى ما يمر به من ظروف خاصة أو عامة يتقدم فيها أمر مهم على أمر أهم، إلى حين.

ثم بعد هذا وذاك، الإخوة الأحباب من محبي أهل السنة، ولا أكذبكم القول، فوالله إن النفس قد إعترتها حالة من اليأس المضنى إذ وجدنا أن الأمة تراوح في مكانها بعد طول الرصراع، بل وإن الباطل، كما هو شأنه على الدوام، يظهر وكأنه قد علت شِرَعَه، وتسارعت مراكبه، وأن قوى الحق قد توارت بين الحجب وتخاسفت بين طيات الأرض، فالحكم قد وقع أسير الكفر، والسلطان لا يذيع إلى ما يزيغ القلوب ويقدح الشهوات، والشيطان قد أُطلِق سراحه يرتع كما يشاء بين أبناء الأمة بعون سفراء السوء في كافة مجالات الحياة، وظهر غضب الله سبحانه بما ضُربت به الأمة من نكبات أخيرة متوالية، بين حريق وغرق وهدم، فغفرانك اللهم.

لكنى أعلم، أحبائي، أنّ الأيام كما قال تعالى "نداولها بين الناس"، وهو حقّ في حياة الأفراد والأمم على السواءن وأنّه كما أنّ دولة الكفر والظلم والفسق لن تدوم، فإن أيام الفترة لن تدوم إن شاء الله تعالى.ر

طبيعة العدوان

العدوان، أي عدوان كان، سواء على أرضٍ أو عرضٍ أو مالٍ أو حق جيرةٍ أو حق نسبٍ أو رحمٍ، سيئ بطبيعته، تشمئز منه النفوس ويتأذي منه الحسّ، وتحاول النفس أن تنحرف بصاحبه إلى غير حقيقة العدوان ليمكن له، سواء كان فردا أو كياناً أو نظاماً، أن يرفع رأسه بين الناس وأن يظل يحتفظ بشئ من الكرامة وإن كانت بغير حقّ، وإن كان الناس يعرفون أنها ظلّ كرامة مهدرة لا حقيقة لها.

والحياة مليئة بما يطابق هذا المعنى ويعضده، فأمريكا استباحت الدم العراقيّ والأفغانيّ بلا مروءة أو شرف، بل هو عدوان صرف وتعد على الحق لا مراء فيه، لكنها راحت تبرر هذا العدوان والتعدى بأنه ردّ للعدوان "الغاشم!" الذي شنته عليها "قوى الإرهاب" الإسلاميّ في سبتمبر 11. ونحن لا نقيس بمقياسين ولا نكيل بمكيالين، فإن من وقع عليه عدوان يجب أن يردّ عليه بمثله، ولكن هذا العدوان المزعوم مشكوك في أمره أولا، وفي دوافعه ثانياً، ثم كيف يكون هجوماً مثل هذا مبرر لقتل مئات الآلاف من الأبرياء! ولكن الجريمة البشعة والعدوان المحض يأبي إلا أن يجد مبرراً له ولو كان وهماً بارداً وسخافة رديئة.

والكيان الصهيونيً، لما أراد أن يبرر الحقد الصهيونيّ وإغتصاب أرض فلسطين، راح يتبجح بحق العودة لليهود إلى أرضهم المقدسة بعد أن طُردوا منها بزعمهم منذ آلاف السنين، بينما أنكر على عرب فلسطين هذا الحق بعد سنوات من نزوحهم من الأرض! القياس بمقياسين والكيل بمكيالين، ولكن الأمر أن الصهاينة، حتى الصهاينة، لم يجدوا مندوحة من زعم أن العدوان ليس بعدوان، بل هو مجرد ردّ حق ضائع منذ آلاف السنين! هي طبيعة العدوان تأبي أن تقدم نفسها في ثوبها المجرد وصدق الله العظيم "أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً".

ثم كيف بالحكام الذين يقبعون على صدور شعوبهم عقوداً متطاولة، بلا مؤهل للحكم ولا قدرة عليه، يستبيحون المال والأنفس والثمرات، بدعوى واحدة، هي أنهم أوصياء على الأمة، يحمون الأمة من نفسها، من أراذلها الذين يقبعون في الظلام يتربصون بها الدوائر! ووالله لا نعلم غيرهم ممن يتربص بهذه الأمة الدوائر، ولكنها طبيعة العدوان أن يقدم نفسه وكأنه صاحب حقٍ منزوع، ووجودٍ مشروع!

بل وعلى مستوى الأفراد، تجد هذا المعنى متحقق على التمام والكمال، فكم من صديقٍ رفيق أو أخٍ شقيق أو جارٍ دارٍ أو زميلِ عملٍ، قد جار على حق صديقه أو رفيقه أو حق رحمه أو جاره، وبرر هذا التعدى بما شاء له مما يراه حسنا في حق نفسه، بأن يدعى إما أنه هو من وقع عليه التعدى، أو أنه ما فعل إلا ما له في فعله حق، وأنه إن ردّ عليه صديقه أو زميله أو شقيقه أو جاره أو ما شئت ممن له به صلة، هذا العدوان فإنه هو المظلوم المهان! ولينظر إحدنا إلى نفسه وإلى من حوله فسيجد مصداق هذا أقرب اليه من حبل الوريد.

المهم أنك دائما ما تجد مبرراً للتعدى ولإرتكاب الجرائم الإنسانية سواء المادية أو المعنوية فإن هذه هي طبيعة الشرً، والعدوان من الشر، والتعدى على الحقوق أمر ممنوع في الشرائع والعقول، ولكن صاحب العقل والشرع هو الذي له من العين المبصرة والنفس الشفافة والنظر المحقق ما يجعله يرى مصدر الشر والبادئ بالعدوان، فلا يغتر بحديث عن حق العودة للصهاينة أو بدعوى الصليبيين أنهم إنما يدافعون عن بلادهم ضد من إعتدى عليها، أو بتلك القوى الخفية التي يُرعب بها الحكام رعاياهم، وكأنهم إن تولوا أمر أنفسهم بشورى أو ديموقراطية أو ما شئت مما يجعل حق تقرير مصائرهم في أيديهم وبشرع ربهم ، فسوف تقوم تلك القوى بسحق كلّ ما هو غال وثمين في حياتهم! هراء وتزيين للباطل وتحسين للعدوان على الأمة وعلى حقها.

التعرف على اصل العدوان أمر عزيز دقيق، لذلك فإن من مهام القاضي في الشريعة أن يحدد موضع النزاع أولا ثم من هو صاحب الحق في الدعوى ثانياً، قبل النظر في الدعوى. ودون هذا التحديد والتمييز فإن ما نراه من ضياع الحقوق واستشراء العدوان لن تكون له نهاية أو حدّ يقف عنده. بل يظل الإنسان على تلك العادة الكريهة التي محصلتها تلبيس الحق بالباطل، وتزييف الحق، وتبرير العدوان واستحسانه.

<u>طريق العودة إلى الكرامة</u>

"وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم.." صدق الله العظيم

مرة اخرى.. نعود إلى الكلمات نلوح بها في وجه القنابل والمدافع والطائرات، بعد أن بدأ الصهاينة الأنذال عملية السحق المنظم لإخواننا الفلسطينيين في غزة تحت شعار "الدفاع عن النفس" ضد هذه الألعاب النارية التي يدعون قذفها على أماكن مهجورة في فلسطين المحتلة. ونكرر ونؤكد ما قلنا سابقا من أن للكلمة pدود يقف عن[ها أثرها ليبدأ العمل الذي تشير له هذه الكلمات، ومهما كانت قوة هذه الكلمات فلن تغيّر قائماً إلا إن استتبعها العمل، لذلك قال تعالى "وقل إعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله" ولذلك فإن العمل صنو الإيمان ونطق الكلمة لا يدل إلا على النية الحسنة للإلتزام بالعمل بها لا غير.

الله الله على الكفرة الموالين للصهاينة، والله الله على معاونيهم من أعمدة النظم الفاجرة، والله الله على كلّ متخاذل عميل في ما يسمونها مجالس "الشعب" و"البرلمانات" ومن لا يزال يمشي في الأرض مطية للفجرة الموالين للصهاينة، والله الله على أولئك الذين يجدون الراحة والدعة ويستمرؤون اللقمة ويستطيبون الشربة وهم يعلمون أن أهلينا وأبنائنا في غزة يموتون تحت وابل السلاح الصليبيّ الصهيونيّ على بعد كيلومترات عدة من قلب مصر! سابقة ليس لها سابقة، نسال الله أن لا يكون لها لاحقة، وإلا فهو عار الزمن والتاريخ والأبد على رؤوس من تركوا الفجرة من الأنظمة الحاكمة يتآمرون دون خجل أو استحياء على حياة أهلينا وأبنائنا في غزة، والله إن حياءهم لا يمثل شعرة من حياء الزانية الأجيرة، وإن كرامتهم دون كرامة قواد الزانية الأجيرة درجات ودرجات، قاتلهم الله أني يؤفكون.

اليوم يوم الخروج عن المألوف، إذ تجرد العدو من الأنظمة الفاجرة الكافرة، وتجرد ممثليهم من وزراء وحقراء من أمثال المجرم أبو الغيط عن كلّ ما ألفناه من أقل درجات التجاوب مع أهلينا وأبنائنا في غزة حتى الشجب والمقاطعة، إلى التآمر وتشديد الحصار. اليوم يوم الخروج إلى الشارع والوقوف في وجه ما يسمونه بقوات "حفظ الأمن" التي لا دور لها إلا التمثيل بأبناء الشعب وسحق كرامته، وهم ليسوا إلا مرتزقة لا دين لهم إلا دين أسيادهم، ولا عليك من أنهم مجرد جهلة مغرورون، فالجهل لا يغني عن الجق شيئا، وقد قال تعالي على لسان موس عليه السلام عن اليهود حين طلبوا منه أن يجعل لهم إلها صنما "بل انتم قوم تجهلون"، فلم يمنع جهلهم من أن يكونوا كفاراً فاسقين.

ما يجب أن تفهمه هذه القوات المخدوعة عن دينها أن ولاء المسلم لربه اولا ثم لنبيه ثم لأبناء دين الإسلام في كلّ مكان، فإن تجول هذا الولاء إلى ولاء للوظيفة أو القيادة أو الراتب الشهريّ، فليس إلا الخروج عن حظيرة الإسلام "ومن يتولهم منكم فإنه منهم".

اليوم يوم تقذف الجماهير بأحذيتها المنتظرية في وجه النظام، ورؤوسه، وممثليه ومسؤوليه، وتسحقهم تحت أقدامها، فالموت بحثا عن الكرامة خير ألف مرة من العيش بهذه الذلة والمهانة.

اللهم شتت أعداءك أعداء الإسلام من الحكام الكفرة الطواغيت المتآمرين على دينك، الحاكمين بغير ما أنزلت، المبدلين لشرائعك وأحكامك، الموالين للصهاينة والصليبيين ولاء مناصرة ومظاهرة ضد المسلمين، إنك قادر عليهم أجمعين.

عارٌ على الصرح عظيم!

حين جرت الأنباء بما كان من شأن سيد وشأن الفتاة العفيفة المنتقبة، لم أتمالك إلا أن رجّعت قول أبي العلاء:

إذا عاير الطائــيُّ بالبخل مادرٌ وعايَــر قَسّ بالفهامـــــة وائــلُ

وقال السهى للشمس أنت خفية   وقال الدجى للصبح: لونك حائلُ

فيا موت زر إنّ الحياة ذميمة   ويا نفسُ جدى إن غيرَك هازلُ

الأمر ليس أن سيداً قد خرق إجماع المسلمين، سلفهم وخلفهم، على أن مسألة حجاب المرأة أو إنتقابها هو من مسائل الإجتهاد التي تفترق فيها آراء المجتهدين، وتتباين فيه آنظار المحققين ممن هم أهل للإجتهاد والنظر، منهم من يصحح أنه فرضٌ مؤكد على المؤمنات كابن تيمية وغيره، ويستدل على ذلك بما ورد في السيرة من روايات تؤكد هذا الرأي وتدعمه، ومنهم من رأي أن الحجاب هو الفرض على المرأة لما ورد كذلك من روايات تقوى هذا الرأي وتسانده، وأن فوق ذلك إنما هو من قبيل النفل والتعفف والتطوع، كما أنّ الصلاة فرضُها خمس، ونوافلها ما شاء للعبد أن يزيد، وليس لأحد أن ينهى رجلاً أو إمرأة يراه متنفلا في الصلاة، أن يتوقف عن الصلاة، لأن فرضها قد أداه!

الأمر ليس أنّ سيداً قد تعدى على حرية شخصية، بصفته الرسمية، إذ إنه لو لم لم يكن "يحتلّ" هذا المنصب نائبا عن السلطة، لعرفت الفتاة، وغير الفتاة من المسلمين، كيف يردون هذا العدوان، وليس حادث منتظر الزيدي ببعيد!، وهذا التعدى على الحرية الشخصية لا يصح في الدولة المدنية العلمانية التي يروّج لها كلّ ناعق في هذه الأيام، بل إنه عملٌ مُجرّم في مثل هذه الدول يؤاخذ صاحبه ويعاقب عليه.

الأمر ليس أنّ سيداً قد ترك مظاهر الخلاعة والإستهتار وملابس العرى والتهتك التي باتت مما يراه المسلم في مصر عياناً أو على شاشات التلفاز ليل نهار، فلم يحرك لهذا الفجور ساكناً، الا ما تتحرك له النفس الخبيثة حين ترى الفاحشة تشيع بين المؤمنين، فلم يتوجه إلى متكشفة متبرجة بقول أن: ألا تستحين وأنت في الحرم الجامعيّ الإسلامي أن تسيرى بين الناس متكشفة متبرجة، وأن تكون غضبته لله لا للشيطان.

الأمر ليس أن سيداً قد احتل مساحة في الصحافة والإذاعات الغربية، أمس واليوم، تشيد به وبما فعل، وتدعو أن يكون هذا "الشجاع" مثلا لغيره في بلادنا المتخلفة التي لا تزال فيها عفة المرأة وعزريتها مما تتمسك به النساء وتتفاخر به الرجال!

الأمر ليس هذا ولا ذاك، الأمر أمر فريق كامل ممن يعادون الإسلام، ويكرهونه، ويحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، فريق تقلد مقاليد الأمور وانتخب من النخب أراذلها لتكون له اليد العابثة التي تدمر ما أراد الله له أن يقوم، وأن تبدل ما شاء الله أن لا يحول، فكانت له أيدى تعبث في العلن بعدما كانت لا تجرؤ إلا على العبث في الخفاء، والأزهر، كصرح مهيب، كان ولابد أن يُدسّ فيه سيداً ليقوم بهذا الدور على أفضل ما يقدر عليه من ترك الفاحشة عابثة لاهية، وتوجه إلى الفضيلة والعفة ينتقدها ويأمر بخلافها!

عار على الأزهر، عار على الصرح عظيم.

<u>عتاب رفيق للمستشار طارق البشرى</u>

تربطني بالأخ الأكبر المستشار الجليل طارق البشرى، أكثر من صلة تجعله قريباً من القلب والعقل، فصلة رحمٍ ترجع به وبي إلى جدنا الشيخ سليم البشري، وما يأتي مع تلك الرحم من ذكريات قديمة تعود إلى السبعينيات حيث كنا نتحاور حول الإسلام ومشكلاته، ثم صلة الإهتمام المشترك بالعمل الإسلاميّ وبهموم الأمة. ولا أشك في أن

المستشار البشرى قد أجاد في جلّ ما دوّن منذ أن إتخذ سبيل الله سبيلاً، ولا يحتاج احد لأن أعرّف بقدر البشري في تاريخنا الحديث كاتبا ومؤرخاً ومفكراً.

ولكن الأمر هنا أجلّ من أن يمر مرّ الكرام، وأقصد به ما كتبه المستشار مؤخرا بصدد الفريّة الرافضية بحق الشيخ القرضاوى. وليس من المستغرب من أبو المجد أن يكتب ما كتب، وليس من المستهجن أن يصدر من سليم العوا أو من هويدي ما صدر من "نصائح" خائبة لا تصدر إلا عن جهل بطباع الرافضة وبتاريخهم وحاضرهم على السواء، ولكن أن يختط الأخ الكبير البشري هذا الخطّ من النظر إلى هذه القضية فهو ما لم أفهمه على الإطلاق.

فالمسألة الأولي التي طرحها المستشار تحدث فيها عن "المذهب الجعفريّ" وأنه مذهب معتبر بين المذاهب الفقهية الإسلامية، وفات المستشار البشري أن الحديث هنا حديثُ عن فرقة من الفرق البدعية لا عن مذهب من المذاهب الفقهية، ولهذا فإن الأمر أمر خلاف في العقيدة لا أمر خلاف في الفقه، خلاف في الأصول لا خلاف في الفروع، وشتّان بين الأمرين. ولا أعرف أين يقع تكفير الصحابة وسبّ عائشة أم المؤمنين ووصفها بأنها "البقرة" ولعن الشيخان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وإدعاء تحريف كتاب الله تعالي[16]، وإدعاء مقام الإمامة لأئمتهم الإثني عشرة وأنهم يعلمون الغيب ولا يموتون إلا بعلمهم ورضاهم[17]، أين يقع هذا في مذهب الجعفرية "الفقهيّ"!؟ ولا شك أنّ هذه الإدعاءات تُخرج الرافضة من دائرة الجماعة الإسلامية التي يتحدث عنها المستشار البشري إذ هم يخالفون ثوابت دينية ركينة عند المسلمين من أهل السنة المحمدية، ولا دخل له بتعدد الإجتهادات بحال من الأحوال، واين يقع ما ذكرنا من منكرات الرافضة من "الإجتهادات وتنوع النظر في الشؤون الجارية" التي أشار اليها المستشار البشري؟

ثم الأعجب هو ما ورد في المسألة الثالثة التي، وإن لم يقصد البشري إلى ذلك بالطبع، تكرّس مبدأ الفصل بين الدين والسياسة! إذ مؤداها أنه لأجل الظرف السياسيّ الحاليّ فإنه يجب أن نتغاضى عن هذه الثوابت العقدية الفاصلة، والتي لم يتغاضى عنها الرافضة لحظة واحدة في تاريخهم الأسود، بل كانوا ولا زالوا عوناً للمستعمر الغازى في كلّ زمان، ولا أظن أن المستشار البشرى، بل ومن هم أقل منه كثيرا في العلم بالتاريخ، ينكر دور الرافضة في سقوط بغداد الأول زمن التتار، وقتل الألوف المؤلفة من أهل السنة بسببهم وبعون منهم، ثم ما يحدث اليوم في العراق من اسئصال للسنة على أيدى المليشيات الرافضية الصفوية المدربة والمدعومة من إيران المجوس، بل حتى الصليبيين الأمريكيين يعرفون ذلك ويحاولون مقاومته! أفلا نعرف نحن ما يراد بنا، بل ألا نشعر بما يُفعل بنا على أرض الواقع؟

وأسأل الأخ الأكبر المستشار البشرى، هلا عَرَفَتْ الرافضة هذه الحقائق والمسائل فوقفت عند حدها، ألا تضع إعتباراً للشيخ القرضاوى الذي قربهم وكان فارس "التقريب" المزعوم على مرّ العقود الماضية، رغم خلافنا معه فيه منذ أول الطريق، فالرافضة لا أيمان لهم ولا ذمة بل هم كما وصفهم الإمام مالك "يكذبون" وبخاصة عندما يكون الأمر متعلقاً بالسنة وأهلها تحت درع التقية التي رموا بها الإمام علي رضى الله عنه وهو منها براء. ولا أدرى ما هو موقع الأقلية والأغلبية في هذا الأمر؟ أيكون سبّ الصحابة أهون علينا لأننا أغلبية؟ متى كان هذا المعيار مبرراً للتهاون في العقيدة، وهل كان بن تيمية "قصير النظر" حين كتب كتابه "منهاج السنة" الذي فضح فيه دين الرافضة ومذاهبهم العقدية، رغم أنّهم كانوا أقلية حينذاك كذلك، وكان العالم السنيّ واقع تخت الإحتلال التتريّ كذلك؟ والرافضة يستغلون الجهل الأمريكي بالواقع الإسلاميّ لتعزيز مواقفهم ونشر مذاهبهم والسيطرة على العالم السنيّ وهم لا يخفون هذا الأمر بل يتحدثون عنه في إذاعاتهم وصحفهم ولا عليهم من السنة فهم ماضون في خططهم لا يلوون على شيء. ألم يلاحظ الأمستشاؤ البشري وجود بؤر رافضية في عدد من الأحياء المصرية بالفعل؟ أيسمح النظام الصفوي في إيران المجوس أن ينشط السنة في بلادهم وأن ينشروا مذهبهم؟ وقد زرت طهران في عام 1996 وأقمت فيها ثلاثة شهور بتكليف من شركة إستشارية كندية تعمل في مجال الهندسة النووية، ورأيت بعيني

[16] كما زعم عالمهم النوري الطبرسيّ في كتابه "فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب"
[17] كما نقل محدثهم الكلينيّ في "الكافي" الذي يعتبره الرافضة كالبخارى عند أهل السنة.

رأسي ما يكتبون على جدران مبانيهم من لعن الشيخين وسبّ عائشة رضى الله عنها، فهل هذا ماضٍ غابر أم إنه حاضر سافر؟

وأخيراً، فإنني على ثقة من أن ما نشره المستشار البشرى لن يكون كلمته الأخيرة في هذا الشأن فأنا اعلمه رجّاعاً إلى الحق بإذن الله تعالى.

<u>عداء الإسلام وعبرة التاريخ</u>

لا بد للباحث في أمر البشر والحضارات أن ينظر إلى التاريخ، قديمه وحديثه، ليربط بين الظواهر المتشابهة وينظمها في منظومة واحدة ثم يستنبط منها قانونا إجتماعياً عاماً، وينظر إلى الظواهر المتباينة ليعرف سبب تباينها في

الأسباب والنتائج، ويؤكد من خلال التباين قانون التوافق ومن ملامح الإختلاف معالم الإتفاق، ثم ليأخذ العبرة من هذه الظواهر وتلك لتعينه وقومه على فهم ماضيهم وإنارة حاضرهم وبناء مستقبلهم.

وقد أمضّتني تلك الأحداث المتتالية المتسارعة منذ أحداث سبتمبر 2001 إلى غزو العراق وأفغانستان، ثم ما جاء إثرها من سيطرة أمريكية شبه تامة على مصائر العالم الإسلامي خاصة، ومحاولة السيطرة على بقية العالم عامة.

وكان أن عدت إلى التاريخ الحديث منذ بدايات القرن العشرين، وسرت مع أحداثه سيراً بطيئاً أستلهمها معنى يهدي في هذا الواقع المتسارع بالشرّ. ثم كان أن تفطنت لأمر أحسبه يلقي ضوءاً على بعض الأحداث الحاضرة، وإن إحتاج إلى نظر المؤرخين والباحثين لتقويته بالدليل وترسيخه بالبرهان، إذ إن الظواهر الإجتماعية كما ذكرنا تحتاج إلى مبررات الربط بينها، ودور المفكر أن يستنبط الظاهرة ثم يتركها للباحث المتخصص يصوغ منها القانون الإجتماعيّ ويدعمه بالبرهان والدليل.

وتلك الظاهرة تتعلق بالهجوم على الإسلام في العصر الحديث، فإن الباحث يعلم أن السبب الرئيس وراء الحرب العالمية الأولى كان هو القضاء على الخلافة الإسلامية عام 1922 وتقسيم تركتها ومن ثم القضاء على الإسلام كقوة مؤثرة في العالم تمهيداً لإنهاء وجوده على الأرض – أو هكذا مكروا. وبعد إنتهاء الحرب بثمانية أعوام، في عام 1930 تحديداً، وقع الغرب فريسة االركود الإقتصادي الهائل "The great depression" الذي أكل الأخضر واليابس، ثم في عام 2001، وهو العام الذي دبّرت فيه القوى الصليبيّة بقيادة بوش ذلك الهجوم العام على الإسلام فاحتلت العراق وأفغانستان، وأقامت القواعد في بلاد العرب شرقاً وغرباً وهددت مصر واستذلت السودان. ثم، إذا بالإقتصاد الأمريكيّ، بعد سبعة اعوام وبقدرة قادر، يجد نفسه على شفا جرف هار، كأقرب ما يكون من ذلك الركود الجارف الذي وقع في الثلاثينيات من القرن الماضي! إنهارت سوق الأموال وكاد أن يتوقف التعامل في البورصة، وفقد المستهلك الثقة في الوضع الإقتصاديّ مما جعلها دائرة مفرغة تنذر بالثبور.

كذلك فإن الحرب العالمية الأولي قد خلّفت من ورائها أشلاء قوة عظمي هي بريطانيا "العظمى"، وبشّرت ببزوغ قوى جديدة في الشرق وهي روسيا وفي الغرب وهي الولايات المتحدة. وفي الحرب العالمية الجديدة على الإسلام، فإن أشلاء الإمبراطورية الأمريكية قد بدأت تتناثر وإن لم يظهر بعد من سيخلفها على عرش القوى العظمى.

ولوقال قائل إن الإنهيار الإقتصادي سببه الحروب وكلفتها، قلنا، ولِمَ لَمْ يحدث هذا في أعقاب الحرب العالمية الثانية، بل حدث العكس إذ إزدهر الإقتصاد العالميّ نتيجة الحاجة إلى بناء ما دمرته الحرب، ومرّ نصف قرن من الإزدهار والتقدم التكنولوجي حتى تولي بوش وقاد المعركة ضد الإسلام. ولو قال آخر أن العدوان الثلاثي على مصر لم يعقبه مثل تلك النتائج التي ذكرتها، قلنا لإنما ذلك يؤكد ما لاحظنا من أنّ الهجمة العامة على الإسلام رغبة في استئصاله هي التي يتعلق بها مثل هذه النتيجة التي تكررت تكرراً متطابقاً في قرن واحد، والعدوان الثلاثي لم يكن يستهدف استئصال الإسلام، ولكن كان يهدف إلى اضعاف أهله واستمرار السيطرة الغربية على مقدرات الشعب المصري المتمثلة في القناة، وتعزيز التواجد الصهيوني في المنطقة.

ولا أريد أن أبرر تلك الظاهرة بالبعد الغيبيّ وحده وإن كانت يد الله تعمل من وراء الحجب لنصرة دينه، ولكن لا شكّ أن الحرب العالمية الأولى نشبت لغرض عدائي وضيع مضادٍ لسنن الله في الكون، ومعاداة لمناهجه، كذلك كان الهجوم الظالم على العالم الإسلاميّ إلى درجة أن تطاول الغرب على مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم جهرة ودون مواربة، هجوماً ظالماً سفاحاً لا تسانده سنة من سنن الله في الأرض. والظلم والعدوان يعملان ضدّ الظالم والمعتدى دون أن يدرى، كما قال تعالى *"وأملى لهم إن كيدى متين"*.

على كلّ حال، هي ظاهرة لا شك فيها، تحتاج إلى النظر والتدقيق والتحقيق، أدعها بين أيدى مؤرخينا وباحثينا علهم يهدونا بها سبيلاً.

فلا نامت أعين الجبناء...

كلّ ما نملك من سلاح هو الكلمة، وكلّ ما نملك من عتاد فهو المداد والورق، وكلّ ما نملك من عون فهو الألم والدموع، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا.

ووالله لقد جفّ القلم وشُلّت اليد ونضب المداد ونفذ الورق من الحديث عن الظلم الصهيونيّ المبين الواقع على إخواننا في فلسطين، والتي يتعامى عنه العالم بأسره بما فيه جبناء العرب، بلا استثناء جبان واحد منهم.

حاصرهم الصهاينة وقطعوا عنهم الكهرباء والطاقة والدواء والغذاء، يموت مريضهم ويبرد وليدهم وتجوع نساؤهم ولا تطرف عين لأدعياء حقوق الإنسان من كلاب الغرب النصرانيّ. ولكن إن وجدنا العذر لهؤلاء بأنهم ممن قال الله تعالى فيهم "إنهم إن يظهروا عليكم لا يرقبون فيكم إلاّ وذمّة"، فما هو عذر هؤلاء الجبناء من حكام المسلمين ممن سكتوا عن هذه المجاذر الجماعية بل واستقبلوا رئيس الصليبيين بوش يتبسمون في وجهه ويقتسمون معه الطعام الذي أنكره حلفاؤه على أهلنا في غزة من الفلسطينيين، لا لسبب إلا إنتمائهم إلى الإسلام ديناً ورفضهم الخضوع للبهائي العميل عباس ميرزا.

عار ما بعده عار، وذلّ ما وراءه ذلّ، خروج عن الإسلام وولاء مكشوف للكفر وأهله، وعداء صريح للإسلام وأهله، فما هو عذر هؤلاء في إغلاق معبر رفح عن الأهل الأشقاء، إلا عون للصهاينة على قتل الأخوة في فلسطين؟ وماذا بَحَثَ الملوك والرؤساء العملاء مع بوش في زيارته المشبوهة من أمر غزة؟ ترى هل تحدثوا اليه عن هذه المجزرة الجماعية التي لا يتحدث عنها أحد في الدنيا رغم أنهم يقيمون الدنيا ويقعدونها على ما يزعمونه من ظلم في دارفور؟ أم أصدر لهم الأمر بلإغماض أعينهم والتظاهر بأنّ شيئاً لا يحدث على أرض عربية مسلمة؟ أعرف التاريخ الإسلاميّ أخسّ وأكفر وأنجس من هذه الطغمة الحاكمة على أرضنا المسلمة في كلّ مكان؟ هؤلاء هم ولاة أمورك يا مدخليّ! هؤلاء هم أولياؤك وصحبتك في الآخرة إن شاء الله تعالى.

أما من مجير لهؤلاء الضعفاء؟ أرضى الناس أن يقتل المسلمون بهذا الحصار وهم يقفون موقف المتفرج الذي لا حول له ولا قوة؟ أين جيوش العرب التي تنفق عليها أموالهم؟ اين الصفقات البليونية التي تشترى بها دول البترول أسلحة من الغرب؟ إلى من توجه هذه الأسلحة إذن؟ أهي مجرد وسيلة لإنعاش الإقتصاد الغربيّ ليس إلا؟

والله ما من كلمة تقال تكفى أن تشفى غليل المسلم الغيور على إخوانه في فلسطين، فإنه محض الإجرام الغربيّ والعربيّ في الحق الفلسطينيّ

وأنت يا فلسطين...ليس لك إلا ربّ العالمين...

القرار المشين – وسحب القرآن الكريم

القرار الذى نُسب الى مجمع البحوث الإسلامية بسحب كتاب الدكتور محمد عمارة، ليس في حقيقته إلا رمزاً، بل مقدمة، لسحب القرآن من الأسواق. ولا ادعى هذا لمجرد الإثارة، بل إن الحقائق تكشف عن هذا التوجه لمن كان له أدنى بصيرة، والإعلان عنها واجب لمن لديه أقل إحساس بالضمير تجاه هذا الدين وبالمسؤلية تجاه هذا الوطن.

إن ما قرره الدكتور عمارة في كتابه، وهو ما نُسب إلى المجمع سحبه، لا يعدو ما قرر القرآن الكريم مثقال ذرة، ما يجعلنا نتساءل: هل أصبحت أولّيات هذه العقيدة محل مساومة وسياسة؟ هل أصبحت مقرراتها الأساسية محل تشكيك ومحاورة؟ هل أصبحت أولّيات هذه العقيدة مما يعتذر عنه المعتذرون، ويتبرأ منه المتبرؤون؟ إرضاءاً لقلة مهما عظم شأنها وامتد نفوذها؟ هذا والله خزى الحياة الدنيا والآخرة على من أمر بهذا القرار، ومن وقع عليه، ومن رضي به وبتمريره.

ونذكّر من إتخذ هذا القرار أن القرآن الكريم يقرر وحدانية الله سبحانه في ألوهيته وربوبيته، وأن من قال بتثليث الإله فقد أشرك في ربوبيته، وأنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وأنّ من خالف ذلك فقد أشرك به سبحانه.

إن العقيدة النصرانية السائدة في هذا الزمن هي هي التي كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي هي التي تحدث عنها القرآن فدحض صحتها، وأثبت تحريف كتابها، ولكن إلتزم بأنه "لا إكراه في الدين" بعد أن "تبين الرشد من الغي"، بل وجعل خصوصية لأهل الكتب السابقة من اليهود والنصارى فأحل طعامهم والزواج من نسائهم، وبرهم والإحسان اليهم. يعرف هذا القدر تلميذ السنة الثانية الإبتدائى في بلادنا، حين كان الإسلام هو دين الدولة التي يحترمه مسؤوليها وقادتها. أما الآن في عهد الخلط والخبط والتحريف والتبديل، يصل الأمر إلى نسبة مثل هذا التحريف والتخريف إلى إصدار هذا القرار باسم مجمع البحوث الإسلامية!

المسلمون ليسوا على إستعداد للإعتذار عن توحيدهم ولبّ عقيدتهم والإعتذار عنها وسحب ما يؤيدها ويوضحها، بل هم ثابتون عليها رغم محاولات المستهترين بها الرازئين لها. القرآن بين ايدينا نحتكم اليه في هذه الجزئية، بل وفي كلّ جزئية من حياتنا العامة والخاصة، ذلك هو مقتضى توحيد الوهيته سبحانه.

ثم، أليس التأذي من بحث الدكتور عمارة – سلمت يداه في هذا البحث - يعنى الخجل ضمنا من العقيدة النصرانية؟ أليس القول بالآلهة الثلاثة شرك بالله الواحد لغة وشرعاً؟

المسيحيون أحرار فيما يعتقدوا، لا نجبرهم على تغييره، لهم في هذه الحياة الدنيا ما لنا وعليهم ما علينا، ما احترموا دين الغالبية وعاشوا بقواعده وتوجيهاته التي تضمن لهم أموالهم وأنفسهم. هذا ما نحن عليه في مصرنا خلال الأربعه عشر قرناً السالفة، ولكن العجب كلّ العجب من صانع القرار الذي يهين الغالبية المتسامحة المتفهمة لحساب الأقلية المتجبرة المتمردة!

لسنا في حرب مع النصارى في مصرنا. لا نريد حربا ولا نعمل عليها، ولكن صانع هذا القرار الخائب الوضيع هو الذي يؤجج مشاعر الغالبية المسلمة ويدفع بالأمور إلى هاوية ليست في صالح الأقلية في شيئ.

ونتساءل، هل سحب القرآن الكريم الذي يقرر العقيدة الإسلامية التوحيدية الصحيحة، ويبين ما – ومن – خالفها بأوضح بيان عربيّ، هو الخطوة التالية لمن صنع هذا القرار المشين؟

حياة المعاني .. ومعنى الحياة

حين يتحدث القرآن الكريم عن معنى من المعاني التي يتوجه بها إلى النفس الإنسانية لينشأ فيها خصلة من خصال الخير فإنما يقصد إلى أكثر من أن يقرأها الناس وأن يتفهموا معاني كلماتها، بل يقصد القرآن إلى أن يعيش المرء هذا المعنى وأن يكون جزءاً من حياته وطبيعة سارية في نفسه قبل أن يقرر أنه قد فهم واستوعب هذا المعنى. فحين يقول المولي عز وجلّ :"وآتي المال على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءا ولا

شكورا"، حين يؤتي المرء من ماله الذي يحبه، ويود أن يحوز منه ما استطاع، من يحتاجَه أكثر مما يحتاجُه، مسكيناً أو يتيما أو اسيرا، ثم لا ينتظر كلمة شكر أو إيماءة عرفان، حتى وإن بذلها الآخر، فإنه يعرف ساعتها المعنى الحق لهذه الآيات ويقف على معنى من معاني الحياة التي أراد الله سبحانه أن يحياها المسلم. حين قال الله سبحانه "وفي السماء رزقكم وما توعدون" فإنما قصد إلى أن يُحيِ المسلم هذا المعنى فيحيا به، لا قلق ولا ندم ولا حسرة على فرصة ضاعت أو مال فُقد، حين يمارس المرء هذا الشعور لا بكلام وتشدق بل بممارسة فعلية حين يفقد مالا أوتضيع منه فرصة يظنها سنحت، ساعتها يعي المرء هذا المعنى حقيقة حين يحياه لا حين يقرأه ويتأمل معناه. فإحياء المعاني يكشف معنى الحياة ويجعلها صفحة مكشوفة لا لغز فيها ولا أسرار. لذلك كان الصحابة رضى الله عنهم يقرؤون آيات معدودات من القرآن ثم يقفون عندها يفقهون معناها قبل أن ينتقلوا إلى عشرة بعدها، وما هذا إلا لأنهم كانوا يحيون ما في الآيات العشر، حياة حقيقية لا نظرية، ويمارسونها شعورياً وعملياً.

والمرء يدرك معاني عديدة في الحياة من خلال ما يمر به من مشكلات وما يواجه من تحديات في حياته الشخصية، فمثلا حين يبتلى المرء في ابن من ابنائه بمرض أو أسر فإنه يعرف، ولم يكن له أن يعرف من قبل، معنى الصبر على البلاء ومعنى فقد الصلة بالولد والإبتلاء به، وهو أمر لا يعرفه، حق المعرفة ويقينها، إلا من عاشه.

هذا ما قصدنا اليه من أنّ الله سبحانه إنما أراد أن نحيا حياة قد أقام معناها مكتوبة في القرآن ثم حيـّة في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم. لذلك فإن قراءة التفسير ليست إلا خطوة أولي في سبيل فهم معنى من معاني القرآن، يجب أن تتلوها خطوة أهم وأعسر، وهي إحياء هذا المعنى وبعثه في الحياة، حينها ينكشف معنى جديداً من معاني الحياة، وعلى قدر ما يحيا إمرء من هذه المعاني، على قدر ما يتيسر له فهم معنى الحياة التي يعيشها على ظهر الأرض، فإن أُغلقت عليه كلّ هذه المعاني، فلا حياة له، بل يصبح كالحيوان الذي يسعى ببدنه دون عقل أو شعور.

الأمر إذن، لمن أراد أن يفهم معنى الحياة يكمن في إحياء المعاني القرآنية، أي إن معنى الحياة هو في حياة المعاني.

أمراض النفس وعلل العقل

من أهم أسباب النصر، قبل إعداد العدة من الناس والعتاد والمال، التغلب على تلك الأمراض النفسية والعلل العقلية التي تمنع الناس من أن يروا الحق حَقا والباطل باطلاً. فإنه من الواضح أن من رأى الحق باطل لم يتقدم لنصره، وأن من رأي الباطل حق اصطف لجانبه ودعمه. وكم هؤلاء الذين انحرفت بهم فطرُهم فخلطوا الحق بالباطل، أو

زُيف لهم الواقع فرأوه منكوساً. وإن إعداد القوة يعتمد أولا على إعداد الناس، فلا عدة بغير بشر يحملون العتاد، ويتوجهون للجهاد. وإذن، إصلاح النفوس هو أول الطريق إلى إعداد العدة.

وإصلاح النفوس لا ينتهى عند الدعوة إلى المحافظة على الصلوات أو دفع الزكوات أو ذكر الله في الخلوات، وإنما قد رأينا الكثير ممن يفعل ذلك وبهم ما بهم من مرض نفسي او علة عقلية تأبي على صاحبها أن تعتدل نفسه وأن يصح عقله، والمرض مرض لا يبرأ منه صاحبه ببراءته مما عداه من الأمراض. كما قد رأينا أكثر من هؤلاء ممن استهتر بالصلوات والصدقات، واشاع الفساد واستباح الكذب والغش و"الفهلوة" بأنواعها! فصار هذا الخلق هو الشائع الأعم في الأمة بأسرها، ممااستبشر به حكامها ورضى عنه أعداؤها.

هؤلاء وأولئك لن يكون لهم دور فعّال في إصلاح أو تقدم ما لم تُصحّح هذه العلل وتبرأ هذه الأمراض، والسبيل إلى ذلك هو أولا كشفها والإعلان عنها وبيان مصادرها ومواردها، فإن العلل النفسية والعقلية كالعلل المادية والجسدية، لا بد من تشخيصها وبيان حقيقتها قبل الشروع في علاجها. بل إن العلل العقلية والنفسية هي أوغل في طبيعة الناس من تلك الأمراض المادية والجسدية وأحوج منها إلى البيان والإيضاح والتعرف عليها من قريب. ولذلك فإن عمل الطبيب النفسيّ لا يخرج عن الحديث عن المعضلة مع صاحبها، لبين له جوانبها وزواياها المختلفة فيكون اسهل علي المريض حينذاك التعامل معها والتغلب عليها.

لا يزال الحصار الثلاثي ألصليبي الصهيونيّ المصريّ مضروباً على أهل غزّة للشهر التاسع على التوالي، إلا من أنفاس التقطوها غصباً رغم أنف النظام المصريّ العميل الذي زعم وقتها أنه "لن يسمح أن يجوّع الفلسطينيون!" لحفظ ماء وجهه المُهدر.

لا يزال الحصار مستمراً، ولا يزال القصف والقتل اليوميّ مستمراً، ولا يزال أطفال المسلمين يغتالون بيد الصليبية الأثيمة ومباركة النظامين الأمريكيّ الأفنجليكانيّ والمصريّ العلمانيّ سواءاً بسواء.

وليس العجب من الصهاينة أو من الصليبيين، فهم عدو دائم لا مجال للتعامل معه تحت أي فرض أو تأويل، ولكن العجب للنظام المصري الذي أعلن وزير خارجيته العميل "أبو الغيط" أنه سيقطع قدم من يتخطى الحدود المصرية من الفلسطينيين! وصدق الشاعر :

أسدٌ عليّ وفي الحروبِ نعامةٌ رَبداء تَجْفُلُ من صَفيرِ الصَافرِ

العجب أن هذا النظام لا يعلم أنّ صالحه في مصالحة شعبه المسلم لا في عدائه والعدوان عليه، ووالله الذي لا إله إلا هو إن شعبنا المسلم في مصر وفي خارجها لا يفارق خياله صورة البطل الذي يقف في وجه العدو الصهيوني الصليبيّ ويعيد له بعض عزته المفقودة وكرامته الموؤدة، ولو أن مبارك أراد أن يكون هذا البطل لكانت هذه فرصته السانحة، فالعدوان على غزة لا يجرؤ أحد أن يباركه، إلا بالصمت الرهيب، والساحة السياسية الإسلامية حبلى باليأس في إنتظار الفرج، وكلّ القوى إسلامية وعلمانية تريد أن تضع يدها في يد من يرفع بالكرامة رأساً، وليس مثل جمال عبد الناصر ببعيد، فالرجل رغم عدائه للمسلمين وقتله لهم، قد اكتسب حبّ ملايين الناس الذين لا يفرقون بين خير وشرّ أو غثّ وثمين، وأصبح أسطورة القومية العربية في هذا العصر، وهو وإن عرفه المسلمون على حقيقته دكتاتوراً قاتلاً محباً للذات، إلا أنه استطاع أن يمثل دور القوميّ العربيّ ويكتسب حب هذا القطاع العريض من الدهماء. فليس على مبارك أن يظل على كراهيته للإسلام والمسلمين، ولكن النخوة التي تفرّق بين الرجل وبين الكلب الأجرب هي التي تنقص هؤلاء الزعماء، ولو أنه وجدها يوماً لإصطفت وراءه كلّ القوى بلا استثناء، لو أنه كال للصهاينة بالتهديد والوعيد، ولو أنه طلب عون القوى المصرية والعربية ليقف أمام هذه المجازر الوحشية التي ترتكب ضدّ أبناء جلدته، ولو أنه أظهر رجولة من تخطى الثمانين وأصبح قاب قوسين من قبره، لوجد الناس يموتون في سبيله، بدلا من أن يموتون في سبيل موته! ولكن عمى القلب والبصيرة والشره لمال الدنيا ومتاعها حتى في هذا العمر الأرذل لا يبدله إلا

معجزة من الله سبحانه، ولا نراها قادمة!

<u>الإرجاء والمرجئة</u>

إن من الصفات اللصيقة ببني الإنسان: العجلة في الأمور، وكيف لا؛ وقد قال فاطر الناس جل وعلا: ((وكَانَ الإنسَانُ عَجُولاً)) ، ثم منَّ تعالى على المؤمنين بأن وجّه تلك الفطرة العجولة لديهم إلى معنى قُدّ من العجلة ، إلا أن جالب للبر والخير ، وهو (المسارعة) إلى الخيرات ، وقد قدمت بهذه المقدمة لأستميح القارئ عذراً

لمسارعتي بالكتابة في موضوع هذه المقالة عن الإرجاء والمرجئة ، رغم أنه يدخل ضمن مجموعة الكتب التي اعتزمت - وأخ لي - أن نصدرها تباعاً - بعون الله تعالى - عن الفرق الإسلامية ، والتي صدر منها بالفعل مقدمتها عن أسباب التفرق والاختلاف ، وما فعلت ذلك إلا بعد أن قدرت مدى الحاجة إلى إظهار عوار تلك الفئة التي ما زالت جرثومتها خافية تارة ، وظاهرة تارات بين صفوف المسلمين - بل وعجباً! بين صفوف الإسلاميين منهم - فتصيب ذلك الكيان الإسلامي بالضعف والوهن وفقدان القدرة على تمييز الخبيث من الطيب ، ومعرفة المفسد من المصلح ، وبالتالي أثرها البالغ السوء في الواقع الإسلامي أخلاقياً وسياسياً.

ونحن لا نعتزم الخوض في هذه العجالة في تفاصيل مذهب (الإرجاء) ومناقشة أصحابه فيما ذهبوا إليه ، أو الإتيان على ذكر كافة فروع المرجئة التي انقسمت إليها ، إلا أننا سنذكر اختصاراً ما ذهبت إليه المرجئة بشكل عام في بدعتهم ، ثم نعرّج بنقض تلك الأقوال وبيان وجه الحق فيها كما اختطّه أهل السنة والجماعة ، ثم نلقي نظرة على الواقع الإسـلامي لنرى مدى تأثره بتلك الجرثومة الإرجائية التي لازالت تنتقل في الجسد الإسلامي، لتنخر فيه نخراً يفسد عليه قوته ، ويجعله عرضة للتفكك والانهيار. بعد أن يفسد المحكوم ويطغى الحاكم ويمهد لكليهما سبل الزيغ والانحراف.

الإرجاء: مصدر أرجأ بمعنى أخر ، يقال: أرجأ الأمر أي أخره. وقد أطلق هذا الاسم على طائفة المرجئة لما قالوا بتأخير العمل عن الإيمان، أي فصله عنه وتأخير مرتبته في الأهمية كذلك لعدم حكمهم على الفاسق أو الكافر بما هو أهلٌ له ، وادعاء إرجاء ذلك إلى يوم الحساب وتدور عقائد المرجئة حول الإيمان ، إذا ذهب أكثرهم إلى أنه التصديق بالقلب والإقرار باللسان - عدا بعضهم ممن زعم أنه تصديق القلب ولم يشترط أنه النطق بالشهادتين مع القدرة عليهما - ولم يُدخلوا العمل في مسمى الإيمان ، فالإيمان عند هؤلاء متحقق كاملاً لمن صدق بالرسالة ونطق بالشهادتين ، وإن لم يأتي بعمل من أعمال الطاعات!.

وقد دخلت عليهم تلك البدع من أصل تصورهم للإيمان ، وأنه واحد لا يتجزأ ولا يتبعض(1) ، أي لا يزيد ولا ينقص.

وقد تمسكت المرجئة في أقوالهم تلك بما ادعوه من أن معنى الإيمان في اللغة: التصديق، كما في قوله تعالى: ((وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا)) ، أي: مصدق لنا.

كذلك بظواهر الأحاديث ، كما في قوله - صلى الله عليه وسلم - ، فيما رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: »أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله« ، وفيما رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- له: »فمن لقيتَ من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة«.

وقالوا: إن تلك الأحاديث تدل على أن الإيمان هو: تصديق القلب والتلفظ بالشهادتين، وهما كافيان لإثبات الإيمان ودخول الجنة دون العمل!.

وقد تجاوز بعض من ابتلاهم الله بشبه الإرجاء ؛ فلم يكتفوا بإخراج أعمال الطاعات من الواجبات والمستحبات من مسمى الإيمان بل كذلك الأعمال اللازمة لتحقيق التوحيد، كالحكم بما أنزل الله من الشرائع - والذي هو من معاني الشهادتين والمتعلق بتوحيد ألوهية الله عز وجل - ولم لا؟! والإيمان محله القلب والتصديق متحقق؟! وما يضر من يترك التحاكم بغير إثم أو ذنب يقترفه مثله كمثل سارق البرتقالة ، أو من يؤذي جاره؟!.

فأتوا بذلك بما لم يأتِ به الأولون من أسلاف المرجئة ، ومهدوا لما سنلقي عليه نظرة عاجلة في واقع المجتمع الإسلامي.

ونقض مذهب الإرجاء يكون بطريقتين: أحدهما: عام ، يتناول نقض مبادئهم في النظر إلى الشريعة - وهو ما اشتركت فيه معهم سائر أهل البدع والأهواء - ، والآخر: خاص ، يتناول الرد على أقوالهم قولاً قولاً ، وبيان فسادها بالأدلة الشرعية.

وسنتناول كل طريق منهما بشكل موجز ، يتناسب مع ما قدرناه لهذا المقال من إيجاز.

أولاً - الرد العام:

سلك أهل البدع والأهواء طرقاً معينة في دراستهم للنصوص الشرعية ، أدت بهم إلى النتائج التي وصلوا إليها ، نجملها فيما يلي:

1- عدم الجمع بين أطراف الأدلة ، وذلك باتباعهم أول دليل يرونه دالاً - من جهة معينة - على ما أرادوه ، فإذا صادفوا دليلاً آخر لم يجمعوا بينه وبين الأول ، بل أولوه أو ضعفوه أو أخفوه! بينما (مأخذ الأدلة عند الأئمة الراسخين إنما هو على أن تؤخذ الشريعة كالصورة الواحدة بحسب ما ثبت من كلياتها وجزئياتها المترتبة عليها ، وعامها المترتب على خاصها ، ومطلقها المحمول على مقيدها ، ومجملها المفسر بمبينها ، إلى ما سوى ذلك من مناحيها).

2- الاحتجاج بالأحاديث الضعيفة أو الموضوعة، مع ترك الأحاديث الصحيحة وإغفالها، بينما مسلك أهل السنة هو في اتباع الحديث الصحيح وما يصح الاحتجاج به في الأحكام الشرعية ، سواء ما صح أو حسن حسب قواعدهم في ذلك.

3- التعويل على جزيئات الشريعة دون ربطها بالقواعد الكلية التي تحكمها وتنتظمها.

4 - تحريف الأدلة عن مواضعها ، وهو نوع من تحريف الكلم عن مواضعه الذي ذمه الله تعالى في كتابه ، وذلك بإيراد الدليل المقصود به مناط معين أو واقعة محددة لتطبيقه على مناط آخر - أو واقعة أخرى - وهي العملية التي تسمى عند الأصوليين: (تحقيق المناط) ، ولا شك أن (من أقر بالإسلام ويذم تحريف الكلام عن مواضعه لا يلجأ إليه صراحاً إلا مع اشتباه يعرض له وجهل يصده عن الحق ، مع هوى يعميه عن أخذ الدليل مأخذه فيكون بذلك السبب مبتدعاً) .

فإطلاق الدليل وتوهم أنه يعم كافة الحالات الداخلة تحته دون تقييد فهو من جملة من حرف الكلم عن مواضعه وصار إلى الابتداع بدلاً من الاتباع. [الاعتصام 223/1].

ثانياً - النقض الخاص:

إن ما استدلت به المرجئة من أن الإيمان هو التصديق فليس بصحيح ، والحق أن الإيمان اسم شرعي استعمله الشارع ليدل به على معاني محددة في الشرع ، هي مجموعة الأقوال والأفعال التي يتركب منها ، فلا مدخل للمعنى اللغوي إذ (مما ينبغي أن يعلم أن الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث إذا عُرِف تفسيرها وما أُريد بها من جهة النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة وغيرهم).

[الإيمان لابن تيمية : 245].

هذا إلا أن الإيمان لا يعني لغة التصديق من وجوه عدّة (فإنه يقال للمخبر إذا صدقته: صدقه ، ولا يقال: آمنه وآمن به ، بل يقال: آمن له ، كما قال: ((فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ)) ، وقال: ((فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ)) »فإن تعدى باللام كقوله: آمن له ، كان تصديقاً وإن تعدى بالباء كان الإيمان الشرعي المتضمن للعمل.

[الإيمان : 248].

كذلك فإن قسيم الإيمان ليس التكذيب بل الكفر ، فيقال لمن لم يصدق: قد كذب ، ومن لم يؤمن: قد كفر.

ووجه آخر في لفظ التصديق والتكذيب: يطلق على ما هو غائب أو مشاهد ، أما لفظ الإيمان فلا يستعمل إلا في الخبر عن الغيب [الإيمان : 249] .

والإسلام والإيمان اسمان يدلان على معنى واحد إن انفردا ، وهو الاستسلام لله والعبودية له سبحانه ظاهراً وباطناً ، لكنهما إن اجتمعا دل كل منهما على معنى غير الآخر ، فدلّ الإسلام على الأعمال الظاهرة من الصلاة والصوم والحج ، ودلّ الإيمان على الأعمال الباطنة ، كالخشية والمحبة والخوف ، من أعمال القلوب.

وقد دلت الآيات والأحاديث على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان - وعليه أجمع الصحابة والتابعون وسلف الأمة - فهو: قول وعمل ، يزيد وينقص ، يزيد بالطاعات ، وينقص بالمعاصي ، قال تعالى: ((لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ)).

وما رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : »الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان«.

كذلك ما رواه مسلم بسنده عن ابن عباس في حديث وفد عبد القيس ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : »وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تؤدي خمساً من المغنم«.

فالإيمان - إذن - قول وعمل ، قول القلب وهو: التصديق ، وعمل القلب: وهو: الإقرار والخضوع المستلزم للمحبة والانقياد ، وقول اللسان: وهو: النطق بالشهادتين ، وعمل اللسان والجوارح ، وهو العمل بالطاعات ، وترك المحظورات من الشريعة ، وهو يزيد وينقص.

ثم ننظر إلى استدلال المرجئة - سلفاً وخلفاً - بأحاديث الشفاعة على أن قول الشهادتين تلفظاً يُثبت لصاحبة الإسلام والإيمان ، وإن أتى عملاً من أعمال الكفر ، كترك التحاكم إلى الشرع ، فنرى أنها هي طرق أهل البدع في عدم جمع أطراف الأدلة ، والنظر في الأحاديث.

قالوا: روى مسلم بسنده عن عمر بن الخطاب في حديث جبريل: قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : »أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً«.

وأغفلوا الرواية التالية لها مباشرة في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : »الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان«.

كذلك حديث أركان الإسلام الذي رواه مسلم بسنده عن عبد الله بن عمر عن أبيه ، قال عبد الله: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : »بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان«.

وأغفلوا رواية مسلم الأخرى: في الباب نفسه عن ابن عمر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: »بُني الإسلام على خمسة: على أن يُوحَّد الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان ، والحج«.

وغير ذلك من الأحاديث التي ذكروا فيها رواية وأسقطوا روايات ، والتي تدل على أن التلفظ بالشهادتين المعتبر شرعاً هو توحيد الله وعبادته ، وترك الشرك ، وأن التلفظ بالشهادتين دلالة على قيام ذلك المعنى في النفس وفي البدن قولاً وعملاً ؛ ما لم يأت بعمل ظاهر يَكْفُر به ، فلا اعتبار حينئذ بتلفظ ، وهو المعنى الذي ذكره ابن القيم في إعلام الموقعين من أن الألفاظ تراد لمعانيها لا لذواتها وما فصله من اعتبار النيات والمقاصد في الألفاظ .[مسلم بشرح النووي 157/1].

وبعد .. فما هي الدوافع التي أدت إلى ظهور المرجئة في التاريخ؟ وما هي عوامل بقائهم واستمرارهم؟ لذلك الأمر تفصيل يضيق عنه نطاق هذا المقال ولكن لا بد من كلمتين توفيان بالغرض في هذا المقال.

أما عن بداية الإرجاء فقد زعم بعض من تناول ذلك الأمر أنها ترجع إلى موقف بعض الصحابة إبان إطلال الفتن برأسها عند إرهاصات قيام الدولة الأموية ، وهم الذين لم يشاركوا في تلك الفتن إلا أننا نرى أن ذلك تزيد معيب على تلك الفترة يحمّلها أكثر مما تطيق ، ويجعلها نواة كل فساد ظهر في تاريخ المسلمين بعدها ، وما اعتزل بعض الصحابة الفتنة إرجاءً بل إن منهم من لاح له وجه الصواب فاتبعه ، ومنهم من غمض عليه جلية الأمر فآثر السلامة وحسب..! وهو موقف معتاد في مثل تلك الظروف أن يشارك البعض ويعتزل البعض الآخر! ، ولعل بعض المفكرين يخرج علينا بأن هؤلاء - كذلك - هم نواة المعتزلة ؛ لاعتزالهم ذلك الأمر!!!.[انظر إعلام الموقعين 105/3] .

وما نرتضيه في هذا المقام إيجازاً أن مذهب الإرجاء يتناسب مع من يتميع في موقفه ويؤثر السلامة على المخاطرة وإن كانت بالباطل ، فإن من تلفظ بالشهادتين مؤمن كإيمان جبريل! والأعمال لا تدل على إيمان وفسق أو حتى كفر ، وليس لنا أن نزيف الباطل ونظهر عوار المفسد وندل على سوءاته ونسير فيه سيرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم- في معادلة الفاسق أو المذنب أو الكافر ، فمن ثم فهو مذهب يتناسب مع الحاكم الظالم - أو الحاكم الكافر حسب الحالة - فلن يثير أرباب هذا المذهب خلافاً مع الحاكم مهما أتى من أفعال، فهو مؤمن على كل حال ، أليس يتلفظ بالشهادتين؟! ثم ما لنا ندخل في سرائر الناس وندعي معرفة مكنونات صدورهم ، مادام العمل الظاهر لا مدخل له في قضية الإيمان ، وأن اعتقاد القلب هو المعوّل عليه في ذلك ، أليس يكفي ما ينطق به الحاكم لنكون معه في صف واحد ومسيرة واحدة نهادنه ونتعذر له المرة تلو المرة لنظل نعيش نتفيأ ضلال حكمه ، وإن ظهرت منا في بعض الأحيان - أو كلها - معاتبة أو معارضة فإنما هي معاتبة التصديق ، ونصح الأخ المؤمن لأخيه ، أو هي معارضة الخاضع ، وتبرم السائر تحت اللواء! .

ثم عامل آخر قد يكون له بعض الأثر في إطلال الإرجاء برأسه ، بل هو إلى عوامل استمراريته أقرب - وهو ظهور طوائف المنتسبين إلى مذهب الخوارج فكراً وعقيدة - وإن لم يكن بالضرورة اسماً - مما يزين لمن لم يتعمق النظر في دراسة العقائد وترجيح الصالح من الفاسد من الآراء - وغالبهم من الشباب على مر التاريخ دون رءوس الفتنة الذين يعون ما هم عليه من البدعة ، بل وبعضهم يقصد إليه قصداً - أن ينتسب إلى فكر الإرجاء قولاً وعملاً - دون تسمية ودون وعي منهم بذلك ولا إدراك لحقيقة مذهب السلف الصالح ، وهذا التصرف كرد فعل غير مدروس للأفكار التي تجنح للتطرف والغلو في فهم العقيدة في الجانب الآخر ، وكلا جناحي الإفراط والتفريط إن هي إلا ردود أفعال سلبية للحكم غير المشروع الذي يسود المجتمعات الإسلامية في أي عصر من عصورها.

فالإرجاء إذن مذهب سياسي - أو قل: موقف سياسي - اتخذ طابع البحث في أوليات العقائد مع استشراء تلك الموجة في بداية عصر الأمويين وظهور علم الكلام - كما بينا عوامل ذلك في مقدمة أسباب الاختلاف - كان موقفاً سياسياً في الحكام الظالمين ، يوم أن كانوا لا يزالون يحكّمون شرع الله ، وإن تجاوزوا الحد وأفرطوا في الظلم ، ثم استمر على ذلك النهج منهجاً للضعاف ممن يريدون مهادنة الظالم وتبرير مواقف الضعف والخزي ، حتى وإن تجاوز الظلم إلى الكفر ، ومن هنا نرى أن المرجئة لم يكونوا هدفاً للسلطة الغاشمة الظالمة في عصر

من العصور ، بل كان منهم شعراء وعمال للحكام ، كثابت قطنة الذي كان والياً ليزيد بن المهلب على بعض الثغور ، بل إنه مذهب يصلح أن يدعيه الحاكم نفسه ليكون برداً وسلاماً على كافة الطوائف المبتدعة.

فالمرجئة - إذن - في صلحٍ خفي ومهادنة غير مكتوبة مع الحاكم يتمتعون بالحرية في الحركة والقول جميعاً ، بينما يُضرب على يد من سواهم من أهل السنة والجماعة ، كما حدث لأئمة الفقه والحديث ، كمالك وأحمد بن حنبل وابن تيمية ، وكثيرين غيرهم ممن اتبعوا منهج السلف الصالح في الفهم عن الكتاب والسنة.

وليست هذه هي الكلمة الأخيرة عن الإرجــاء والمرجئة كما قدمت في أول المقال ، ولكنها نفثة غلت في الصدر وارتجّ بها القِدْرُ ، فلم يكن بُدٍّ من إظهارها**!**.

وقد اتبعت فيها مذهباً أراه يعين الباحث في مثل تلك الأمور ، وهو التحليل النفسي لفهم الدوافع وراء تلك العقائد المنحرفة ، وهو مذهب ارتضيناه في أسباب الاختلاف وسنجعله بعون الله تعالى أحد مصادرنا في دراسة أمثال تلك الفرق التي تحمل معول الهدم والخراب لتهدم به صرح الإسلام من داخله ، عارفةً بذلك أو جاهلةً.

((واللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ)).

الحرية العرجاء

في إحدى قاعات الدراسات.. العليا بجامعة بريطانية عريقة ، ثار نقاش بين جمع من الطلاب الإنجليز حول التركيبة الاجتماعية الحالية للمجتمع في هذه البلاد ، وعلاقتها بالنظم السياسية والاقتصادية. وقد اشترك في بداية النقاش بعض الطلبة العرب ، ثم آثروا ترك المجال لأبناء البلد ليدلي كل منهم بدلوه في ذلك الأمر.

وقد آثرت أن أثبت - بإيجاز - ذلك الحوار لما فيه من صدق وتلقائية.. وكما قيل »من فمه ندينه«.

أبدى أستاذ القسم ملاحظة حول تكوين النقابات العمالية ونشأتها،وما يتعلق بنظام الأجور القومي الذي اتفق عليه بين أرباب العمل، وبين النقابات، وارتباطه بنوعية العمل ، وبيّن أن ذلك يرتبط بعدة أمور - عدا كمية العمل ونوعيته - كعمر العامل وجنسه! أي رجل أم امرأة ..

وعند تلك النقطة تدخّل أحد الطلبة قائلاً: إن ذلك الأمر لمن غرائب هذا المجتمع ، إذ لا يوجد أي سبب يبرر ذلك التمييز في الأجر؟! فالمرأة التي تعمل في وظيفة ما ، تتقاضى أقل من الرجل الذي يشغل الوظيفة نفسها ، ويؤدي الجهد نفسه ، ويقضي ساعات العمل نفسها [حوالى 75% من أجر الرجل].

وأبدى أن ذلك يتناقض مع ما يدعيه المجتمع الإنجليزي من حرية ومساواة ، خاصة في مجال المرأة وحقوقها..

وكان ردّ أحد الطلبة البريطانيين - والذي تجاوز الخمسين من العمر - قائلاً:

إن ذلك يرجع إلى أصل ما كان عليه المجتمع الغربي قبل عدة عقود من تقاليد ومبادئ تتخذ العائلة كوحدة اجتماعية للبناء الاجتماعي ، فالرجل كان هو المسؤول عن العائلة ، بما فيها المرأة والولد ، وهو الذي عليه أن يوفر ما يحتاجه البيت ، والأسرة ، والمرأة محلها داخل البيت كزوجة ، وأم للأولاد ، فيحتفظ المجتمع بتوازنه لاحتفاظ الخلية العائلية بتوازنها ، أما من بعد الثورة الصناعية ، والتطورات الأخيرة في العقلية الأوربية من اختلال للمعايير والموازين ، وبزوغ فكرة الحرية الفردية وعلو شأنها حوالي منتصف القرن الماضي - بما تحمله تلك الكلمة من حق وباطل - فإن الوحدة الرئيسية للمجتمع لم تعد العائلة ، بل صارت »الفرد« رجلاً كان أم امرأة.. ومن ثم.. وبعد أن تبدلت القيم والمفاهيم ، وشاعت الحرية - صارت المرأة لا تعني الزوجة أو الأم للرجل ، بل زميلة العمل أو الصديقة والخليلة ، ولم يعد الرجل بحاجة إلى الزواج وإقامة العائلة كوحدة اجتماعية-في غالب الأحيان - فحاجاته الطبيعية ملباة دون مسؤوليات تلقى على عاتقه ، وهو حر في التنقل بين امرأة وامرأة ، كما أن المرأة حرة في التنقل بين رجل ورجل ، كما تقتضيه دفعة الجسد العمياء ولقد كان من المنطقي ، وليتناسق النظام ، أن تتساوى الأجور ، إلا أن ذلك لم يحدث ، وظل القانون يحتفظ بتلك الصورة القديمة الكامنة في الفطرة الإنسانية ، والتي تجعل من الرجل المسؤول عن تأمين احتياجات العائلة ، ومن المرأة زوجة وأماً..

وساد صمت على القاعة لعدة دقائق راح فيه كل طرف يقلب الأمر على جوانبه بين مؤيد ومعارض. وكنت أعجب من ذلك الحوار الذي أنطق الله فيه أحد عقلاء الإنجليز بالحق ، وأظهر فيه ذلك التعارض القائم بين ادعاء الحرية والمساواة - خاصة في مجال المرأة - وبين ما هو واقع الحال من تفرقة عجيبة لا أساس لها من المنطق العادل بحال - إن حاكمناهم على أصولهم في الحكم على الأمور - تجعل المرأة في الصف الثاني مهما بذلت من جهد وعرق ، مثلما يبذل الرجل..

وإن كان عجبي كبيراً من ذلك المنطق الأعوج ، وانحراف الفطرة عن طبيعتها لمّا تركت الهدي الإلهي ، وزاغت في طريق الضلال.. فإن عجبي لأكبر ممن هم من أبناء جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ، ويدعون إلى تلك الفوضى الاجتماعية التي يلبسونها ثوب الحرية زوراً وبهتاناً ، وينادون في كل ناد أن: اعطوا المرأة المسلمة حقها أسوة بالمرأة الأوربية!! بل ويقف بعض المسلمين الطيبين موقف الدفاع على أساس أن المرأة المسلمة لها حقوق كذلك في الإسلام أسوة بالمرأة الغربية!؟.

ونحن نرد عليهم دعواهم ، وندعي خلافها : أن المرأة الغربية لم تنل حريتها حقاً وصدقاً.. ويالها من حرية تلك التي تشقى بها المرأة في الكد والعمل خارج البيت ، وبالوحدة واحتمال الولد - غير الشرعي - ومسؤولياته ، ومواجهة الحياة دون رفيق يعين على ذلك العناء.. ثم تتقاضى أجراً أقل من مثيلها من الرجال..

والقانون الإنجليزي لم يحتفظ بتلك الصورة ورعاً وتقوى! إنما احتفظ بها لأنها تخدم أصحاب رؤوس الأموال ، في مجتمع رأسمالي يؤمن بالنفعية كأساس للتعامل ، فالمرأة تحتاج إلى العمل بعد أن تخلق عن دورها الطبيعي ، وبعد أن تخلى عنها الرجل ، ولا بأس إذن من تحقيق فائض من الربح عن طريقها.

ونحن - وإن كنا لا ندعي أن حضارة الغرب شر كلها لا يشوبه خير ؛ قط إذ أن ذلك لا يكون في أمر من أمور الدنيا التي خلقها الله سبحانه على امتزاج الأمرين معاً ، فخير غالب يشوبه بعض الأذى ، أو شر غالب يسري فيه بعض الخير - قد قصدنا إلى بيان أحد أوجه النقص وأكثرها أهمية في المجتمعات الغربية وغيرها ، التي ارتضت طريقة عيشها ليعلم المسلمون أي خير هم عليه ، وأي حق هيأ لهم.. ويا ليتهم يعلمون فيعملون.

قراءات حول العقل العربي

منذ بداية السبعينات ، وعقيب هزيمة1967 تزايدت تلك الدراسات والكتب التي تتحدث عن العقل العربي ، ماضيه المنصرم ، وحاضره المشهود ، ومستقبله المنشود ، وينتمي أغلب أصحاب تلك الدراسات إلى اتجاهين رئيسيين :

أولهما: المنتمون لما يسمى التيار القومي الداعون إلى وحدة العرب على أساس القومية المشتركة .

ثانيهما: المنتمون إلى الاتجاه التغريبي ، بشكل عام ، والذي يستقي نظرياته وآراءه من الغرب ، وفي إطار ذلك الفكر الغربي .

والطرفان وإن اختلفا في الأفكار والنظرات ، وفي الأهداف والمشارب إلا أنهما اتفقا على ضرورة الحديث عن "العقل العربي" كل من زاويته الخاصة ، في تلك الآونة التي أعقبت انحسار الفكر القومي بهزيمة 67 من ناحية ، وفقدان الثقة في المعطيات الفكرية الغربيـــة من ناحية أخرى ، وما ألجئوا إلى ذلك إلا نتيجة لتصاعد التيار الإسلامي بشكل عام . . فكانت المصلحة الجامعة بينهما هي الحديث عن العقل العربي والذي يقصد به العقل الإسلامي ، وإن عبر عنه "بالعربي" تحاشيًا للصدام المباشر مع "الإسلام" من ناحية ، ودسًا للسم في الدسم من ناحية أخرى .

وإنك لتعجب عجبًا لا يكاد ينقضي حين تقرأ كتابًا كاملاً لواحد من هؤلاء الكتاب ، يتناول فيه الفكر العربي ، والعقلية العربية ، وصلة واقع الأمة بماضيها . . إلى آخر تلك الموضوعات التي يدندنون حولها فلا تكاد تجد ،

ولو مرة واحدة ، كلمة "الإسلام" في طول الكتاب وعرضه! إنما هي كلمات مثل "التراث" ، "الماضي" ، "الدين" ، "السلف " ليس إلا!

وإذن أمر يشتم منه رائحة الهوى ، ولو كان بحثًا عن الحقيقة خالصاً لوجه الحق . ، لكان ذلك الحديث من أهم ما تتناوله الأقلام في هذه الآونة ، فمما لاشك فيه أن "العقل العربي" يحتاج إلى الدرس والتحليل من زاوية إسلامية أولاً ، ومن زاوية عربية ثانيًا ، إلا أن ذلك الإخلاص يظهر ناقصًا في تلك الدراسات من حيث ألبست أهدافها لباسًا عربيًا لتقف موقفًا وسطًا يكفل لها أعينًا تقرأ وآذانًا تسمع ، وعقولاً تخدع .

من تلك الدراسات كتب ثلاث سنتناولها في هذه المراجعات كمثال دال على ما وراءه :

بنية العقل العربي: د . محمد عابد الجابري.

خطاب إلى العقل العربي: د . فؤاد زكريا.

قصة عقل: د . زكي نجيب محمود .

-1-

تذهب تلك الدراسة التي قدمها الدكتور المغربي محمد عابد الجابري كمحاولة لتحليل بنية العقل العربي ، إلى تحديد طرق الفهم المختلفة التي استطاع العقل العربي خلال مرحلة نموه ونهضته أن يؤسس عليها معارفه ، والتي تتلخص في ثلاثة طرق مختلفة المنهج ، تعتمد: إما على تحليل "الخطاب"(13) واستنباط الألفاظ من المعاني ، كما سلك أهل اللغة والبيان أو علماء الأصول والمتكلمون بمختلف اتجاهاتهم ، أو على "الإشراق" والفهم الباطني للألفاظ ، كما فعلت الصوفية من ناحية أو الشيعة والباطنية من ناحية أخرى (251) ، وآخرها الاتجاه الفلسفي الذي ينطلق فيه العقل من التصورات الذهنية البحتة لإقامة بناء نظري ثم محاولة إقامة البرهان عليه ، كما فعل الفلاسفة المنتسبون للإسلام .

وبشكل عام ـ وبرغم جدية الموضوع وأهميته ـ يمكن القول بأن الدراسة لم تقدم جديدًا في مجال فهم العقل العربي ، بل كانت مجرد إعادة تصنيف لتلك الفرق المختلفة التي سلكت مسالك عقلية مختلفة ، لأسباب عديدة ، محاولة أن تجد في الإسلام ما يؤيد مذاهبها ، دون التفات إلى حقيقة الإسلام كما فهمه أهل السنة والجماعة ، الذين يعي المؤلف تمامًا الفرق بينهم وبين سائر الفرق التي تحدث عنها(205 ، 66) بينما لم يقدم تحليلاً لمذهبهم البتة ، ولا نملك إلا أن نسجل على المؤلف تحيزًا ظاهرًا لبعض الاتجاهات التي توافق منحاه العقلي بشكل عام ، فالمعتزلة في رأيه ، " كانوا وظلوا دائمًا ، الممثلين الرسميين والمخلصين للبيان والنظام المعرفي البياني" (54) ، كما أنهم الرواد الأوائل لما عرف "بعلم البلاغة" (64) وهم أصحاب "الرؤية العالمية " في الفكر الإسلامي (177) ، بينما أهل السنة الأوائل ـ يعني الصحابة والتابعين ـ هم "النصيون" الملتزمون بحرفية النصوص ، فالعقل عند أهل السنة "يعني استشعار النص وهو ما يسمونه بالاجتهاد"! (53) وهم ، ـ أي أهل السنة ـ يتعاملون مع النصوص على أساس من "مجرد التقليد والاتباع وليس على أساس من التنظيم والتنظير كما فعل المعتزلة" (66).

والكتاب ـ بعد ـ مليء بالتناقضات ، وضعف التحقيق ، فالمؤلف ـ في تعاطفه مع المعتزلة ـ يذهب إلى أن المعتزلة كانوا أشد وطأة على الشيعة من أهل السنة (66) بينما تجاهل حقيقة أن الاعتزال نفسه قد ذاب في مذهب الشيعة ، بلى إنه حين أراد تقرير وجهة نظر المعتزلة الأوائل في العقيدة ، اعتمد على القاسم الرسي الشيعي الزيدي لبيان ذلك المذهب (177). ذلك التعاطف هو ما يوضح أسباب هجومه على "سلطة السلف"(133 ، 562) التي قرنها بسلطة "الماضي" "والعادة" ، كذلك موقفه من الإجماع سواء في اللغة والنحو (127) أو في الفقه والتشريع ، بل اعتباره أن أصل الإجماع هو مصدر القهر السياسي الذي عانت منه الأمة الإسلامية في

تاريخها (134)! ويذهب لإثبات مذهبه ذاك إلى أن خبر الواحد إنما يستمد قوته من إجماع الصحابة (125) وسلطة السلف ليس إلا! ويهاجم القياس كأصل شرعي ، كما يتبين من طريقة مناقشته عند الأصوليين (137) مقارنة بما يقابلها من تعاطف مع ظاهرية ابن حزم التي يصورها على أنها تحرر من سلطة السلف ، ومن القياس ، وأنها دعوة للاجتهاد المبني على العقل! والتعامل المباشر مع النفر (515 ، 569) دون وساطة السلف - الصحابة والتابعين - أو غيرهم من العلماء والأئمة.

والحق أن الكاتب قد دخل مدخلاً وعرًا في مناقشة مسائل فقهية وأصولية متخصصة ، تخرج عن مجال تخصصه كباحث في "الفلسفة" ، أما عن مفهوم السببية كما تقرره عقلية العربي - حسب رأي المؤلف - فإن البيئة العربية الصحراوية توجه العقل إلى عدم ربط السبب بالنتيجة!(243) ، وأنها تنشيء تلقائيًا ذلك المفهوم الذي ظهر لدى الأشاعرة في تفسير ارتباط السبب بالنتيجة على أنه حكم العادة الجارية بل إنه جعل المعتزلة كذلك من دعاة مذهب "العادة" - كالأشاعرة تمامًا - ليكتمل مفهوم النظرة الجزئية التي تولدها البيئة الصحراوية . . وهي نتيجة تؤكد خطورة تبني قوالب فكرية مسبقة ، وإخضاع الأفكار والوقائع لمقرراتها مهما استلزم ذلك من اعتساف التحليل واضطراب النتائج ، إلى جانب تجاهله لمفهوم السببية عند أهل السنة بشكل تام (1).

ثم يقدم المؤلف للعقلية العربية حلاً مبنيًا على ضرورة القضاء على سلطة السلف في حياة الأمة ، والخروج من قيد اللفظ والنص ، وإسقاط القياس كمسلك عقلي للاستنباط واعتماد "العقل" وحده بديلاً ، من خلال عصر تدوين جديد يقوم على فكر الرباعي "المغربي" الأندلسي (ابن حزم - ابن رشد - ابن خلدون - الشاطبي).

-2-

أما الكتاب الثاني ، فهو عبارة عن عدة مقالات مجموعة ، صدرت في مجلة العربي للكاتب د. فؤاد زكريا ، في الفترة ما بين 1976-1987 تحت عنوان "خطاب إلى العقل العربي". وتناول هذه المجموعة من المقالات عدة موضوعات ، قسمها صاحبها إلى ثلاثة أقسام :

1- : دافع الثقافة العربية.

2-:الفكر والممارسة في الوطن العربي .

3-: أضواء على العالم المعاصر .

والكاتب يعكس بشكل واضح خلطًا وقصورًا في فهم الإسلام ، وتصور طبيعة العلاقات التي يجب أن ينبني عليها المجتمع المسلم.

فعلى الرغم من أن الكاتب قد تعرض لبعض الأسباب الرئيسية التي نشأ عنها الخلل الحالي في المجتمعات الإسلامية ، كالحكم الفردي المطلق ، والسلطة الإرهابية والوصاية على الشعوب بدعوى الجهل والتخلف ، إلا أن التناقض يبدو في تحليلاته حين تنتقل من مجال الممارسة إلى مجال الفكر والثقافة .

والكاتب - كغيره من أصحاب الاتجاه اليساري المادي - يتوهم صراعًا دائرًا بين العلم والدين (64) في المجتمع الإسلامي ، على غرار الصراع بين الكنيسة والعلم في أوربا القرون الوسطى ، ويعزو لتلك المشكلة الموهومة أسباب التخلف والانحطاط (22)!.

كذلك فهو يرى أن أسس الدين الإسلامي ، التي تقوم على أن القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأن "كلمة الله الحرفية التي لا يتناولها التغيير ولا التبديل" (74) ، يجعل من الصعب على المسلمين أن يتقبلوا تغييرًا في طبيعة العلاقة بين الله - عز وجل - وبين الناس على غرار ما تقبلته أوربا حين قدمت إلهًا يحكم العالم

بالرياضيات ، في فكر ديكارت ، أو غير ذلك من صور العلاقة بين الخالق والمخلوق ، التي تنحى فيها سلطة الخالق وسيطرته الفعلية على البشر بشكل تام وحاسم .

والحق أن إثارة مثل تلك المشاكل المفتعلة ، وتقديم مثل تلك التحليلات الواهية إنما يعكس أمرين :

أولهما:ضحالة المعرفة وقصور الفهم بطيعة الدين الإسلامي ، الذي يعرف الصغير الجاهل قبل الكبير العالم أنه لا تعارض بين التمسك بتعاليمه وقيمه وأحكامه الشرعية ، وبين ارتياد الفضاء ، أو استخدام الكمبيوتر ، أو تحليل المواد إلى عناصرها للاستفادة منها .

وثانيهما: هو الرغبة الدفينة في تصوير العقبات أمام الأخذ بشرائع الإسلام كما أنزلها الله سبحانه دون تبديلها أو تغييرها ، تحت شعار البحث الثقافي المنصف ، أو الرغبة في الإصلاح .

كما حاول الكتاب في قسمه الثالث إلقاء الأضواء على فساد المجتمع الرأسمالي وتناقضه ، لحساب المجتمع الاشتراكي الذي يحمل - في رأي الكاتب - الحل الأمثل للأزمات الحالية ، مع أن المنصف يعلم فساد النظم الرأسمالية وفشل التجارب الاشتراكية .

-3-

وفي سلسلة الحديث عن العقل العربي ، قدم الدكتور: زكي نجيب محمود كتابه "قصة عقل (1983) الذي نحا فيه منحى السيرة الذاتية العقلية ، مؤرخًا لرحلته الثقافية منذ اشتراكه في مجلة لسلامة موسى ، بمقالات عن وحدة الوجود (18) إلى أن اتجه إلى الثقافة الغربية اتجاهًا تاماً ، يصوغ من خلالها اتجاهه الفكري ، وليتخير منها مذهبًا فلسفيًا يجعله له "هاديًا ونبراسًا"(93) هو مذهب "الوضعية المنطقية" لفتجنشتين ، وخلاصته: أن الكلمات التي يستعملها الإنسان (اللغة) نوعان:

نوع يمكن أن يعاين معناه مباشرة بالحس أو التجربة العلمية ، وهو يحمل دليل صدقه ، إذ ينطبق على موجود خارجي .

ونوع آخر يتناول ما وراء المحسوس ، وهو لغو لا معنى له. فاللغة غرضها الأساسي هو أن تشير إلى موجودات فعلية تعاين بالحس لتكون مدلولاتها صادقة (92و115) وهذا النوع الأخير من اللغة هو من قبيل التعبيرات الوجدانية التي تقاس بمقاييس "الشعر أو ما إلى الشعر من وسائل التعبير"(116).

ولما كان الإيمان من قبيل الوجدانيات كما يراه المؤلف ، وألفاظه تعبر عن معان ذاتية لذلك فهو "تصديق بغير برهان ، وأما منطق العقل فطريقه البراهين"!(111). لذلك فالتعبيرات التي تتناول موضوعات كالإيمان أو غيره "هي تعبير ذاتي عما يخالج المتكلم من مشاعر.. وهاهنا لا منطق ولا قضايا تقاس بمقاييس موضوعية لتفرقة بين حق وباطل"(175). وبناء على ذلك فإنه ليس من حق أي جماعة "أن تتهم أنصار فكرة بعينها أنصار فكرة أخرى بالضلال إذا كان كل من الجماعتين مستندًا إلى مبادئ غير المبادئ التي تستند إليها الجماعة الأخرى"(100). فالحق - إذن -في رأيه نسبي حين يختص بمسائل لا تخضع للتجارب المعملية ، وأنصار كل فكرة أو دين هم على حق من وجهة نظرهم ، ولا يحق لأحدهم أن ينظر للغير على أنه ضال أو منحرف! ولا يخفى ما وراء تلك الأفكار من ضلال وخطورة والتواء .

والكتاب جاء بعد محاولات سابقة للكاتب تهدف إلى نشر هذا المذهب من خلال الحديث عن الفكر العربي ، وإحياء التراث ، الذي تعرف عليه المؤلف منذ سنوات قليلة بعد أن تشرب الثقافة الغربية حتى النخاع ، ولم يتمكن من التعرف على الفكر الإسلامي إلا من خلال (إحياء علوم الدين) للغزالي ، أو (تهافت التهافت) لابن رشد ، فجاءت محاولاته خالية من الإخلاص ، عارية عن الخبرة ، هادفة لهدم التراث من حيث تبدو محاولة لإحيائه!*

الهوامش:

(1) راجع مفهوم السببية عند أهل السنة ، البيان ، العدد الرابع / 38 .

* الأرقام بين القوسين هي أرقام الصفحات التي يرجع إليها في المصدر الأصلي .

حديث عن المنهج

محرم 1411 – يوليو 1991

الحديث (**حول**) منهج أهل السنة والجماعة حديث تطمئن إليه قلوب المؤمنين وتنشرح له صدورهم ؛ فهذا المنهج هو طريقهم السوي إلى بر الأمان في خضم تلك البدع والأهواء والفتن المتلاطمة التي يجر بعضها بعضاً للقضاء على زمرة أهل الحق .

لكن الحديث (**حول**) المنهج أمر ، والحديث (**عن**) المنهج أمر آخر... فالحديث حول المنهج ، الذي اطمأنت به نفوس المؤمنين في السنوات الماضية قام على الدعوة للرجوع إلى هذا المنهج القديم وتحبيب الناس فيه ، والتركيز على أنه لا منهج سوي سواه ، ولا منجى مما يحيق من فتن إلا به .. فهو المنهج الذي أسسه محمد- صلى الله عليه وسلم- ، وهو الذي سار عليه أعلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين من أهل السنة والجماعة إلى يومنا هذا ، ما انحرف عنه أحد إلا دخلته بدعة وفارقته سُنة ، وبعد عن القصد ، وقرب مما ليس فيه مصلحة .

أما الحديث (عن) المنهج فهو يعني : بيان أسس ذلك المنهج .. تقعيد قواعده وتفريع فروعه .. بيان مبادئه وتفصيلاته ، وشرح كلياته وجزئياته .. وهو ما يحتاجه مسلمو اليوم ممن اطمأنوا إلى ضرورة اتباع هذا المنهج والسير على خطاه ..

إن (منهج) أهل السنة والجماعة ليس هو (فتاوى) أهل السنة والجماعة أو (مذهب) أهل السنة والجماعة الفقهي أو الحركي .. إنه (أسلوب) في النظر إلى الأمور الثلاثة التي تشكل مسار الدنيا ، والتي يختلف عليها الناس في كل آن ومكان : الأفكار ، والأشخاص ، والأحداث .

المنهج هو : (طريقة) في البحث والتحري عن الحقيقة - أو بالأحرى : عن الحق - تضيّق نطاق الخلاف حول تلك الأمور الثلاثة التي ما فتىء الخلاف حولها يهدد كيان المسلمين ويزعزع بنيانهم ، وأهم من ذلك أنه الوسيلة التي تجعل النية والقول والعمل موافقاً لسنة رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ، أو قل إن شئت :

(هو تلك الأسس والقواعد الشرعية والعقلية التي يدرب عليها عقل المسلم ؛ فتكون

قالباً تُصاغ من خلاله حركاته وسكناته .. أقواله وأفعاله .. إقدامه وإحجامه في كافة شؤون حياته) .

إذن ، ما هو ذلك المنهج أو الأسلوب أو الطريقة التي ما زلنا نتحدث عنها وندعو إليها ؟

سؤال يحتاج أن تتجرد له عزائم الرجال ، وتتفرغ له أوقاتهم ، وتشحذ عقولهم لوضع تفاصيل ذلك المنهج وحدِّ حدوده ورسم معالمه ، فما أظن أنه قد تجردت له العزائم بعد، بل حامت حول حماه ثم جنحت إلى جوانبه راضية من الغنيمة بالإياب!

أنواع المناهج :

نوعان من المناهج يتبعها الباحثون في المجالات العلمية أو النظرية ، تجدر الإشارة إليها كأحد المعالم الهادية إلى تحديد نوعية المنهج المراد ؛ وهما :

أولاً : تلك المناهج التي توضع تفصيلاتها وتحدد معالمها قبل البحث المقصود إليه أو المراد إنشاؤه ، ويطلق عليها (أسلوب البحث) إن تعلقت بمبحث علمي ، أو (خطة البحث) إن تعلقت بأمر عملي فيزيقي ، أو (خطوات البحث) إن تعلقت بأمر عمليّ في مجال الأعمال والتجارة وغيرها . هذه المناهج غالباً ما تكون مقصورة على البحث الذي وضعت لأجله .

ثانياً : تلك المناهج التي تستشف معالمها وتستنبط مبادئها من واقع حالٍ وظروف قائمة وأحداث واقعة - سواء في الماضي أو الحاضر - لتكون هيكلاً في البحث وطريقة في النظر ؛ تتبع فيما يستحدث من وقائع أو ظروف أو أحداث في المستقبل ، وهو ما نرمي إليه في الحديث عن منهج أهل السنة والجماعة . وأقرب ما وجدناه من معنى يعبر عن ذلك في معجم المباحث الغربية هو كلمة Sceme .

هذا النوع من المناهج هو ما استعمله (ديكارت) في كتيبه الشهير الموسوم بـ : (مقال في المنهج) ، وهو الذي نبتت أفكاره من بذور الفكر الذي ساد تلك الحقبة من الزمن ، والذي قامت على أساس هدم الفكر الديني الكاثوليكي ، وفصل الدين عن السياسة ، والوقوف في وجه طغيان الكنيسة وسيطرتها على مصائر الناس ، مما أشاع فكر (التحرر) وضرورة (الشك) في المسلمات السائدة . ذلك المنهج الديكارتي هو الذي سيطر فمما بعد على مجالات الفكر النظري والعملي الغربي ، وأنشأ قواعد الفكر الغربي الحديث .

بين المنهج والقانون :

ومما يجب أن نلفت إليه النظر هو : ضرورة التفريق بين القانون أو النظرية وبين المنهج ، إذ أن الخلط بينهما يؤدي إلى أخطاء كثيرة في البحث والتطبيق جميعاً .

فالقانون أو النظرية مع اختلافهما في درجة التوثيق هما قالب تفسر فيه أحداث واقعة ، سواء في الماضي أو الحاضر ، تحت ظروف محددة خاصة ، وتنطبق أوصافهما وتتحقق نتائجهما كل مرة تتحقق فيها تلك الظروف أو الشروط ، كما في النظريات والقوانين العلمية بشكل عام . فهي قوالب كلية استنبطت من جزئياتها [1] من جهة ، ثم فسرت بها الجزئيات المستحدثة ، بعد ذلك من جهة أخرى .

أما المنهج فهو وإن كان قالباً أو هيكلاً للبحث يقوم على أحداث ووقائع كما ذكرنا ، إلا أنه أسبق في الوجود الذهني وأعلى في الدرجة من الكليات والقوانين ؛ إذ على أساس منه وفي حدوده ومن خلاله تستنبط تلك الكليات والقوانين التي تفسر من خلالها الوقائع وتقدم الحلول والنتائج ، أو الأحكام الشرعية والفتاوى في التعبير الشرعي . فهو إذن

مصدر الكليات والقوانين ، لا بأعيانها وذواتها ، وإنما بذلك التحديد الذي تضعه فرضياته ومبادئه لتحكم به مسار الفكر واتجاه البحث الموصل إلى تلك

القوانين والكليات .

ولنضرب مثالاً على ما نقول :

فإن القاعدة الكلية - أو القانون إن شئت - (رفع الضرر) قد استنبطت من جزئيات عديدة تكررت في مواضع عديدة من الشريعة مؤدية لذلك المعنى .

فقد قال تعالى : ﴿لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا ﴾، وقال : ﴿ولا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً

لِّتَعْتَدُوا ﴾، وقال-صلى الله عليه وسلم -في الحديث : (الجار أولى بالشفعة) أي : أن الشريك أو الجار أولى بالشراء من الغريب عند رغبة البيع ، حتى لا يأتي من يضر المالك في ملكه أو جواره .

كذلك الرد بالعيب في البيوع ، وحكم الحجر على السفيه ، وشرع القصاص ؛ فإن فيه رفع الضرر عن العباد بكف أذى المعتدين . بذلك جاء في الحديث : « لا ضرر ولا ضرار » ، وهو مروي في (الموطأ) مرسلاً ، كذلك أخرجه الحاكم في (المستدرك) والبيهقي والدارقطني من حديث أبي سعيد الخدري ، وابن ماجه من حديث ابن عباس ، وهو وإن كان ضعيفاً إلا أن معناه صحيح مقرر في أماكن عديدة من الشريعة .

كل ما سبق هي جزئيات أدت إلى استنباط قانون عام كلي هو (رفع الضرر) . والمنهج الذي أدى إلى استنباط تلك القاعدة من جزئياتها ففرضياته المتعلقة بها عديدة ، منها العقلية ومنها الشرعية ، نذكر منها :

فرضية عقلية : أن الوقائع المتكررة في معنى واحد تؤكد ذلك المعنى وتقرره .

فرضية شرعية :

- أن الأحكام الشرعية إنما قصد بها جلب مصالح العباد ودرء المفاسد عنهم .
- أن مقصود الشرع هو تحقيق (أفضل) الحلول الممكنة حسب الواقع لا الخيال .
- تساوي الناس في حق تحصيل المنفعة ودفع المضرة .

وماذا بعد ؟

في إطار ما قدمنا يحق للقارئ أن يتساءل : إذن ما هي مصادر منهج أهل السنة والجماعة ؟ ، ما هي معالمه ومبادئه ؟ وما هي حدوده ؟ ثم ما هي قواعده وتفاصيله ؟ أيطابق منهج أهل السنة في النظر والاستدلال منهجهم الحركي أم يغايره في بعض تفصيلاته ؟ إلى آخر تلك التساؤلات التي آن لها أن تجد أُذُناً صاغية وعقولاً واعية

ولأن الغرض الأساسي من حديثنا هذا عن المنهج هو إلى شحذ الفكر، وتوجيه العقل وطرح السؤال أكثر منه إلى إملاء الفروض وتقرير الجواب، فإننا نكتفي بهذا القدر، وندعو إلى المشاركة في وضع تلك المعالم والتفصيلات . فقد آن لنا أن نفعل ، والمسلمون بحاجة شديدة إلى مثل هذا العمل ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

---

(1) ونعني بالجزئيات : الوقائع والأحداث التفصيلية التي تشكل بمجموعها قانوناً عاماً أو كلية كما يعبر عنها في أصول الفقه .

حركة الفكر.. وفكر الحركة

لعل من مواضع الاتفاق بين العديد من المهتمين بشؤون العالم الإسالمي اليوم أن الأزمة المعاصرة التي يمر بها العالم الاسلامي هي أزمة فكر بالدرجة الأولى ، قبل أن تكون أي صنف آخر من الأزمات التي تعتور حياة الناس ومجتمعاتهم وحضاراتهم ، فتلقي بهم خارج دائرة التاريخ تارة ، أو تجعلهم ذنباً في مؤخرة الركب تارة أخرى. فحياة الحضارة – إن صح التعبير – مرهونة بحياة الفكر فيها ، ومدى حيوية وجديته ، وملاءمته للواقع ، ومواكبته للمتغيرات ، مع احتفاظه بكينونته وهويته التي تميزه عن غيره من أنماط الفكر.

وأين المسلمون – ويا حسرة على العباد! – قد خفُت فيهم ضياء الفكر ، وخبا شعاعه منذ فترة ، قد يختلف على تحديدها المؤرخون ، من زاعم أنها بدأت منذ عصر اضمحلال الخلافة العثمانية ، وممن يمتد بها إلى العصر الحديث ، الذي انهارت فيه دولة الخلافة انهياراً قاضياً ، وتفتت شمل الأمة المسلمة إلى أمم تعرف من الإسلام ما تعرف ، وينكر منها الإسلام ما ينكر ، ولكن لا يختلف المؤرخون - في النتيجة النهائية – أن العالم الإسلامي قد ضحّى بما أُرثه من قدرة على إنماء الفكر وصياغته في صورة حركة دافقة دافعة ، وركن إلى التقليد و "الاستيراد" ، تقليد الأفكار واستيراد المنتجات!. وكلنا يعرف أن هذا المناخ لا يتولد إلا عن مناخ تغيب فيه الحريات ، ويكبل فيه العقل ، فيركن إلى التقليد والاستيراد.

من هذا المنطلق ، فإن أية "حركة" إصلاحية تقصد إلى إعادة الأمور إلى نصابها – ورد الحقوق إلى أهلها – يجب أن تدرك أن حركة الفكر هي المنطلق الحقيقي والوحيد لبلوغ الغاية المقصودة.

حين تنعزل الحركة عن الفكر فإنها تصبح شبيهة بالتشنج العصبي ، الذي لا يحكمه عقل ، ولا يوجهه منطق ، وحين ينعزل الفكر عن الحركة فإنه يصبح أشبه ما يكون بأماني الأسير في الحرية ، وجود خيالي لا يدعمه واقع ، ولا يتجاوز عقل صاحبه ، فالفكر والحركة – إذن – هما وجهان لعملة واحدة ، نتاجها الإنجاز الإيجابي.

إن الفكر هو حركة العقل التي ينبني عليها تفاعل الأحداث وحركة المشخصات لتحقيق أهداف مرسومة. والحركة هي تجسيد الفكر في وقائع وأحداث تجري على ما رسمه الفكر وحدده.

والحركة بلا فكر لا ينشأ عنها إلا الفوضى ، التي لا تقضي أمراً ، ولا تصيب نجاحاً ، بـُلَهَ مجافاتها للمقاصد الشرعية التي تبني اجتهادات المسلم على غالب الظن ، وما هو إلا نتيجة النظر الفاحص الذي يدرك أن غالب الظن متحقق في نفس الأمر.

والفكر بلا حركة لا ينشأ عنه مجتمع حقيقي واقعي ، يعالج مشاكل الناس ، ويدفعهم لحيازة نصيبهم من الدنيا ، وابتغاء الدار الآخرة ، بل هو أقرب إلى "اليوتوبيا" – أو هكذا سموها – حيث يتخفف المفكرون من عبء الواقع ومعالجته ، ويركنون إلى وهم الخيال ووهنه.

فالفكر والحركة متلازمان ، لا ينفك أحدهما عن الآخر إلا في فترات الهبوط الحضاريّ ، حين يغشى على أعين المخلصين ما يغشى ، فتتوه عنهم تلك العلاقة الوثيقة التي تجعل الانفصال بينهما بداية الانحطاط ووسطه ونهايته.

والغرب قد احتفظ بهذا الوقود الحضاري الذي يذكِّي القوة الدافعة البناءة ، فأنتج تقدماً فاق به المسلمين ، وتغلب عليهم على الرغم مما هو فيه من خراب عقائدي ، وانهيار خلقي. ولعله من الجدير بالذكر هنا – مما يعين على تقدير أهمية ما نرمي إليه – هو ما نلاحظه من أن نسبة منْ تفوق في مجال الإنتاج الإسلامي من مجموع المسلمين الجدد من أهل أوروبا أو أمريكا هي أعلى بشكل واضح من نسبة من برز من أهل العلم والفكر من أهل الإسلام الناشئين في الشرق ، بل ومستوى الفرد العاميّ المسلم الذي تحول حديثاً إلى اعتناق الإسلام من أهل الغرب أعلى من نظيره من عوام مسلمي الشرق ، ممن ينتسب إلى أهل السنة والجماعة في الحالين. و ما هو – كما نرى – إلا نتيجة للمناخ الفكري الأساسي الذي يتمتع به الغربيون ، فيحملونه معهم حين التحول إلى الدين الجديد. وصحيح أن الآفاق التي يحلق فيها من تحقق بالعلم من أهل الشرق لا تزال أعلى بكثير من نظرائهم من إخواننا من المسليمن الجدد ، ولكن النسبة العددية هي ما نرمي إليه لإثبات تأثير المناخ الذي يتحرك فيه الفكر على مستوى الفرد وعلى مستوى المجتمع.

كذلك لا يظن ظان أن ما نقصد إليه بالفكر هو بالضرورة مذهب أهل السنة والجماعة بذاته – أي الأسس العقائدية لمذهب الحق الذي ندين به – إنما هذا المذهب هو من خيوط الفكر ومن جزئيات مادته ، فإن مذهب أهل السنة والجماعة – في معناه الواسع – يقدم القالب الإجمالي الذي يجب أن تدور من حوله عملية الفكر الجماعي والفردي ، بحيث يكون ضابطاً لهما ، ومانعاً من انحرافهما ، ومن ثم ما يترتب عليهما من نتائج في حياة الفرد والجماعة على السواء. وهذا القالب إنما نعني به منهج النظر والاستدلال الذي ينبني على معطيات أصول الفقه ، وعلى مقررات القواعد العامة الكلية في الشريعة. هذا المنهج الذي لم نر– حتى يومنا هذا – من تناوله بالدرس والتمحيص ليخلص منه بأصول للمنهج تشابه – على سبيل المثال لا المقارنة – ما وضعه ديكارت إبَّان حركة التنوير الأوروبية تحت عنوان "مقال في المنهج". وقد أشار كاتب هذه السطور إلى هذا الأمر من قبل – في مقال نُشر في منتصف الثمانينيات بمجلة "البيان" اللندنية تحت عنوان "حديث عن المنهج" - توجه فيه إلى مفكري المسلمين بشكل عام ، ومنظّري الحركات الإسلامية بشكل خاص ، إلى أن يولوا هذا الأمر انتباههم ، وأن يهيئوا المناخ لمثل هذه الإفرازت الفكرية أن تنشأ ، وتترعرع ، فينشأ بها جيل من المفكرين ، يوجه الحركة ، ويصحح مسارها من حين إلى حين.

فإذا فرغنا من تحقيق هذه الأولية ، ووجهنا النظر إلى الحركات الإسلامية المعاصرة – التي هي نتاج المجتمع الإسلامي المعاصر – رأينا فيها ما نرى فيه من سلبيات وإيجابيات ، إذ نشأ رجاله في أحضانه ، وتربوا على أفكاره ، فكانت صورة منه. فلا غَرْوَ إن انعكس في هذه الحركات نفس الداء الذي أوقف نمو الحضارة ، وعاق تقدمها في القرون الماضية ، ونقصد به داء الركود الفكري.

فالحركات الإسلامية المعاصرة إذن تعاني ضعفاً فكرياً يعوقها عن تكوين قاعدة فكر أصيل ، تبني عليه اتجاهها ، وتوجه – من خلال حركته – حركتها ، فيكون عملها منتجاً. ولا نحتاج إلى أن ندلل على ما نقول ، إذ إنه منذ أن سقطت الخلافة إلى يوم الناس هذا – أي منذ أكثر من خمس وسبعين سنة – لم نر لهذه الحركات نتاجاً عملياً مثمراً ، يشار إليه بالبنان ، ويظهر أمام أعين الناس كالعنوان. وما هذا – فيما نحسب – إلا لغياب الفكر المحقق المدقق الذي يعقبه عمل متقن محكم. ونحن لا ننكر ما قدّمه الرعيل الأول من أبناء هذه الأمة في هذا القرن من فكر راقٍ أصيل ، نتج عنه وجود الحركة الإسلامية ذاتها ، من أمثال حسن البنا وسيد قطب ومالك بن نبي والمودودي – رحمة الله

عليهم جميعاً – إلا أن هذا الفكر لم يتابع بما يسمح له بالنمو من ناحية ، وبالتغيير والتعديل إن لزم الأمر من ناحية أخرى.

إن الفكر الذي نقصده ليس هو ما عبر عنه بعض كُتّابنا الأفاضل "بفقه الدعوة" أو "فقه الحركة" أو "فقه الاقلاع" ، إذ هو يتعلق بمرحلة ما بعد الفكر البنائي الأساسي. فقه الدعوة أو فقه الحركة هو أقرب ما يكون إلى التنظيم والترتيب لا التأسيس والتنظير ، ما نقصد بالفكر هنا إلا ذلك العمل العقلي الأساسي الذي تبني عليه الحركة ، فكر التحليل ثم التركيب ، فكر الجزئيات ثم الكليات ، الفكر الذي يرى المشكلات في مبادئها الأولية ، وما تنشأ عنه قبل أن يبدأ العلاج ، ويقترح الحلول. عن هذا الفكر نتحدث ، وهو ما نقصد إلى تحريكه من سكونه وركوده ، وهو العمل الأول الذي يجب أن تضطلع به الحركات الإسلامية. هذه القدرة الفكرية هي ما يجب أن تربي عليها الحركات الإسلامية أبناءها ومنتسبيها ، حتى يكون صفة عامة لهم ، ينشأ عنها حسن التحليل والتوجيه ودقة الفهم والتأصيل ، وهو ما يُنتج – بالضرورة – قيادات تتسم بدقة التخطيط ، وأتباعاً يتصفون بحسن الأداء. حين ينتظم هذا الفكر ، ويصبح صفة ملازمة لأبنائها ، ينشأ حينئذ فكر الحركة ، وفكر الحياة كلها. ففكر الحركة هو المبررات التي تجعل اتجاه الحركة في طريق معين اتجاهاً سائغاً له ما يبرره.

وإذا نظرنا إلى كبرى الحركات الإسلامية في هذا العصر – ونقصد بها حركة "الشهيد" البنا (رحمة الله عليه) – فإننا نجد مصداقاً لما قرّرنا من أن الفكر الحركي يعاني أزمة حادة نتجت عن الأزمة الأعم في جمود الحركة الفكرية في الأمة بشكل عام. فإن "الإخوان المسلمون" بعد أن فقدوا زعيم الحركة ومنظرها في نهاية الأربعينيات قد فشلوا في إعمال الفكر التحليلي ، وردّ جزئيات الواقع المحيك بما تجدد فيه بعد عصر البنا – رحمة الله عليه – إلى أصولها ، بحيث ينشأ عن هذه الحركة الفكرية الواعية فكر حركي يلائم معطيات الواقع الجديد ، فيثمر العمل ، وتتوج الجهود بالنجاح – أليس غريباً أن تظفر دعوة البنا بهذا النجاح الهائل في فترة حياتها الأولى ، وحتى وفاة مؤسسها ، ثم إذا بها تضمحل من بعده ، ويقل حصادها ، حتى يصبح جُل ما تعيش عليه هو ذكريات الماضي؟. ولو كانت الحركة الفكرية شابة فتية – تسري في أبناء هذه الدعوة من خلال ما تربى عليه أفرادها في مجتمعهم الكبير ، ثم في جماعتهم – لاستطاعت أن تواجه الواقع الجديد بما يناسبه من فكر حركي ، يوحد الجهود ، وينظّم الصفوف. وحتى لا نتجاوز حد الإنصاف ، فإننا يجب أن نذكر أن التحدي الجديد – الذي واجه الدعوة بعد فقد مؤسسها – كان تحدياً تاريخياً هائلاً ، إذ انتقلت فيه المواجهة إلى آفاق جديدة لم تكن بهذا السفور والوضوح في العصر الأول من حياتها ، ولكن أليس هذا هو دور المفكرين من أبنائها ومن أبناء الأمة كلها أن يتحرك فيهم الفكر ، ويعمل العقل لإيجاد ما يلائم الواقع من أشكال عملية منتجة؟ّ!

وحتى لا نظلم حركة "الإخوان المسلمين" – في مرحلة ما بعد البنا – فإن سائر الحركات الإسلامية قد عانى مثل ما عنته هذه الحركة – بشكل أو بآخر – على درجات متفاوتة ، وإن اشتركت كلها في أنها لم تغذّ هذه القدرة لدى أبنائها ، ولم تنمّها بالقدر الكافي ، بل إننا نحسب أنه في غالب الأحوال عملت قيادات العديد من هذه الجماعات على كبت ما يظهر من براعم فكرية ، وذلك حرساً على مكانتها القيادية ، وتبنت مبدأ "الولاء قبل الكفاءة" ، فأبعدت من يستحق لحساب من يوالي. فانزوت البراعم الفكرية ، ورضي القادة من الغنيمة بالاتباع! ، ثم ما نراه حاصلاً في واقع بعض الحركات الإسلامية الأخرى من أنها تربي أبناءها على منهاج يدفع إلى تحقير الفكر لحساب العمل ، فإن لم يكن ما تقدمه للدعوة عملاً حركياً في التو واللحظة كنت من المخذلين المتقاعدين. وما ينشأ هذا الاتجاه إلا حين تضعف القدرة الجماعية على التوجيه الفكري الذي يسبق الحركة ، ويوجّه عملها ، أو نتيجة الرغبة الشخصية في دخول معترك العمل الإسلامي من أي باب كان ، حين تجتمع في الفرد الرغبة المخلصة في العمل مع العجز عن التوجه الصحيح المبني على الفكر الواعي.

والمحزن في هذا الأمر أن نرى الحركات الإسلامية – التي تنعي على الأنظمة السياسية الكثير من ممارساتها مع مواطنيها – تكاد تتبع نفس سنن هذه الأنظمة في ممارساتها مع أتباعها من ناحية ، ومع مخالفيها من ناحية أخرى ، حتى أننا سمعنا من يردد القول: أن يتعامل أفراد حركته مع الأنظمة السياسية القائمة أفضل من أن تتعامل مع

الحركات الإسلامية الأخرىَ ، وحين نحلل هذا الموقف إلى عناصره الأولية نجد فيه مصداق ما ذهبنا إليه من أن أبناء هذه الحركات الإسلامية وموجهيها ليسوا إلا نتاج هذا المناخ الفكري الراكد ، وأن جرثومة الإحباط الفكري قد سرت في الجسد كله ، بما فيه من انتمى إلى الحركات الإسلامية.

ولسنا – يعلم الله سبحانه – بذاهبين إلى هذا القول ، وآخذين بهذا التحليل تقليلاً لقيمة العمل الإسلامي المعاصر ، فإنه – على ما يحتاجه من توجيه وتقويم – أملُ الأمة الذي تعيش عليه ، لعل الله – سبحانه - يُحدث من خلاله أمراً. وإنما قصدنا توجيه النظر إلى حقيقة أن الحركة الفكرية التي تباطأت في أبناء الأمة بوجه عام قد أحدثت آثارها التلقائية في أبناء الحركات الإسلامية بشكل خاص ، وأن تصحيح الفكر الحركي لا بد أن يبدأ بإذكاء حركة الفكر بشكل عام ، إذ هما صنوان لا يفترقان.

و حتى نسبغ على دعوانا هذه شرعية البرهان وقوة الحجة والدليل ، فسنتناول بعض ما كان من نتاج الحركة الفكرية من جهة ، ومن خراج الفكر الحركي من جهة أخرى ، لنرى بأنفسنا مدى ما نعانيه من نقص لا يسده إلا جهد مخلص جبار واع.

وأول – بل خير – ما نبدأ به ذلك العمل الفذ الذي أخرجته قريحة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيما عُرف بكتاب التوحيد ، فإن الأثر الذي تركه هذا العمل الفكري الديني التجديدي قد فاق أثر كل ما تركه عمل أجيال قبله أو بعده منذ تدهور الخلافة العثمانية ، وبداية تفكك عُرى دولتها. والكتاب على أنه لم يقدم جديداً من ناحية ما طرح من العقيدة – إذ هو مجرد جمع لما تفرق في شرح عقيدة أهل السنة والجماعة – ولكن مصدر قوته يرجع إلى مساق ذلك الجمع ، وتلك القوة التي تضاعفت بحشد دلائل التوحيد وعلامات قيامه أو سقوطه ، كما قررها رب العالمين ، وكما بيّنها المصطفى – صلى الله عليه وسلم – صافية نقية قوية ، لا مداهنة فيها ولا مجاملة. هذا العمل الفكري الفذ قد أفرز طاقة حركية هائلة تمثلت في حرة الإخوان (إخوان نجد) ، ثم استمر أثرها في كثير من الأعمال التي أصدرها عدد عديد من العلماء والدعاة ، وعلى رأسهم السيد أبو الأعلى المودودي ، و"الشهيد" سيد قطب ، ثم ما كان من أثر هذا العمل في الحركات الإسلامية المعاصرة ، خلاف حركة "الإخوان المسلمين".

ثم ما كتبه العلامة السيد محمد رشيد رضا – في العدد الأول من مجلة "المنار" في مطلع هذ القرن – حين تناول بالتحليل قوة الحضارة الغربية ، وسبب تفوقها. فقد استطاع هذا العالم الجهبذ أن يرى – بنور عقله وبهداية الله سبحانه له – ما لم ترهُ أجيال من بعده ، أو لنقُل ما فشلت أجيال من بعده أن تستفيد منه في حركتها. فقد قرر السيد رشيد رضا – حين تناول البحث في "منافع الأوروبيين ومضّارهم" – أن ما ساد الغرب من قوة تنظيمية أفرزت ما عُرف "بالمؤسسات" (Organizations) – أو "الجمعيات" كما سماها – وعزا تفوق الغرب على الشرق إلى أن الشرق لا يزال يعمل بروح الفرد لا بروح الجماعة. وما ذكره السيد رشيد رضا هو أمر في غاية الدقة في التحليل وصواب النظر ، فإن الغرب قد عرف نظام المؤسسات في منتصف القرن التاسع عشر ، ثم استفاض استعمال هذا الشكل من التنظيم في بداية القرن العشرين ، وأفردت له دراسات عديدة في مجال الأبحث الإدارية ونفسية الجمعيات وتصرفاتها (Organizational Behavior & Human Performance System) ، وصار استعمال كلمة "النظام" (System) سائداً في كل مجالات العلم سواء الطبيعي أو الاجتماعي. وما أردناه في هذه الإشارة إنما هو التدليل على أن فكر السيد رشيد رضا قد ضرب في أعماق الحضارة الغربية وسبب تقدمها ما سبق به حتى فلاسفة الغرب في إرجاع تقدمهم إلى هذا الشكل من العمل ، وعلى أن حركة الفكر التي قادها السيد رضا – رحمة الله عليه – كان يمكن أن تفرز نتاجاً عملياً حركياً لو قُيّض لها من يحملها ، ويحول طاقتها من الفكر إلى الحركة.

وحين نتحدث عن الأعمال الفكرية المؤثرة في الحركة ، فإننا لا نستطيع أن نتجاوز السيد أبا الأعلى المودودي ، وما كتبه في بيان ما أحاط بعدد من المصطلحات من غبش في المعنى ، قد أدى بدوره إلى اضطراب في الحركة المبنية عليها ، وذلك في كتابه العظيم "المصطلحات الأربعة في القرآن" ، حيث نتاول بالتحليل مصطلحات "الدين" و"الرب" و"العبادة" و"الإله" ، ثم ما قدمه من فكر راق في تحليل النظام الإسلامي وبناء الدولة والدستور الإسلامي

، وقد كان السيد المودودي مواكباً لحركة بناء دولة باكستان ، فكان فكره ونتظيره لأبناء حركته – "الجماعة الإسلامية" – مصدر إشعاع فكري لغيرها من الحركات التي اهتدت بما خطّه أبو الأعلى (رحمة الله عليه).

ثم نصل إلى معلم من معالم الفكر في هذا العصر ، تعدى آثره موطن صاحبه ، وجيل صاحبه ليكون مصدر فكر حركيّ دائم متجدد ، وهو كتاب "معالم في الطريق" للشهيد سيد قطب ، والكتاب – على صغر حجمه – استطاع صاحبه أن يمهد الطريق إلى طلائع مباركة تأتي من بعده ، تهتدي بكتاب الله – سبحانه – وبهدي سيد المرسلين – صلى الله عليه وسلم – ويتمثل فيهم بعضاً من شمائل ذلك الجيل الفريد من صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فإن مادة القرآن لا تزال حية كما أُنزلت ، وسنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) لا تزال محفوظة في الصدور وفي السطور ، فحري بمن يتبعهما أن يرقى إلى قريب مما رقي إليه ذلك الجيل الفريد. وقد هلك في هذا الكتاب أُناس ترجموه إلى التكفير والعزلة الشعورية وغير الشعورية ، وما إلى ذلك مما لم يقصد إليه الكاتب ، ومن الناس من رماه بالغلو والخروج ، بل وبالكفر والمروق ، ثم إن بعض فضلاء الدعاة اعترض على بعض ما كتب الأستاذ سيد من أن جيل الصحابة لا تكرر ، وهو صحيح ، وإن كنا لا نذهب مع هؤلاء الفضلاء إلى ما ذهبوا إليه من تحليل لغرض سيد ومقصده ، فليس هذا موضع الخوض فيه على أي حال. ومحصل القول أن الحركة الإسلامية المعاصرة في جيل الستينيات والسبعينيات ترجع – بشكل أو بآخر – إلى هذا العمل الفذ الذي قُتل صاحبه دونه ، لتحيا كلماته من بعده.

أمثلة مضيئة من حركة الفكر التي توجه وتبني فكر الحركة ، وتقود خطواته. وذلك ما نقصد إليه من أن الحركة بلا فكر لن تؤدي إلا إلى إنتاج أمثال من يلقي بنفسه في معترك الحركة الجهادية دون أن يمر بمرحلة الفكر لعجز فكري أو لسهولة الحل المطروح. والفكر بلا حركة لن ينتج إلا أمثال أولئك القاعدين ممن يحترفون الكتابة ، ثم لا ترى لهم أثراً في واقع حيّ أو عمل قائم.

إن التحدي الذي تواجهه الأمة الإسلامية – في عصرنا هذا – هو تحدٍ عام شامل يهدد كيانها ووجودها ، يأتيها من بين أيديها ومن خلفها ، تتكالب على تغذيتة القوى الشيطانية في الداخل والخارج. وهو تحدٍ يضرب قوى الأمة في الصميم ، إذ ليس أضر على امة من أن تفقد قدرتها على الإنتاج الفكري. هو تحدٍ نفذ من نطاق العامة إلى نطاق الخاصة ، وظهرت آثاره في اللعثمة الفكرية التي تتسم بها الحركة – فهو – من ثم – تحدّ يستحق أن يواجه مواجهة عامة شاملة ، تشحذ لها القلوب والعقول ، ثم تبسط لها الأيدي ، تشمر السواعد حتى تخرج الأمة من المأزق التاريخي الذي يهدد كيانها ووجودها كأمة مستقلة ، لها تاريخ وحضارة وفكر حكم العالم ، وتفاعل معه قروناً متطاولة. وما نحسب هذا متحققاً إلا بتحريك الفكر ودعمه وتقويته ، وتهيئة مناخ يتربى فيه الفرد على "إعمال العقل" ، واحترام الفكر وتقدير دوره في توجيه الحركة.

<u>الطريق إلى إنقاذ الأمة - بين محمود شاكر و سيّد قطب</u>

(1)

سيد قطب ومحمود شاكر – رحمة الله عليهما – عملاقان غنيان عن التعريف، فهما من عمالقة فكرنا الإسلامي الحديث لا يكاد يضاهيهما أحد في مكانتهما في الفكر واللغة والأدب، وإثراء المكتبة الإسلامية وتغذية عقول أبناء الإسلام في عصرنا، لا ينازع في هذا إلا مكابر معاند ركبه الهوى والحسد لمكانتهما أو جاهل غرّير ليس من العلم في كثير أو قليل.

وقد كان السجال بين الرجلين حول أدبيات ذينك الزمن معروفاً في الأربعينيات من القرن الماضي، ولا أظن أنه أفسد ما بينهما إذ إن كلا الرجلين أكبر من أن تفسد نفسه لخلاف أدبي كان من سيماء العصر المنصرم. ولسنا بصدد الحديث عن تلك المعارك الأدبية التي احتدّت بين الرجلين حول العقاد وأدبه وشعره، وإن كان ذلك مما يجب

التصدى له في موضع آخر لأهميته في فهم منطلقات الرجلين وتطورهما الفكري خاصة فيما يخص الأستاذ سيد رحمة الله عليه.

إنما نريد أن نتقصّى في هذا الموضع أمر آخر، إنعكس في كتابات الرجلين ونحسب أنه من أهم ما يمكن أن يرجع اليه المسلمون في عصرنا هذا إذ هو يتعلق برؤية كلا منهما في الطريق الناجع إلى إحياء الأمة وإعادة مجدها والنهوض بأبنائها لتحتل مكان الصدارة كما ينبغي لها في قيادة البشرية.

يذهب الأستاذ محمود شاكر فيما كتب إلى أن الطريق إلى تحقيق ذلك الأمر يكون من خلال انبعاث "رجل" من عامة الناس يعاني معاناتهم ويتفهم مشكلاتهم ليرتفع فوق الواقع ويجدد للأمة مجدها. يقول الأستاذ محمود في نصّ لا يحتاج إلى مزيد بيان في غرضه هذا: "إن هذا الإصلاح الآن موقوف على شيئ واحد، على ظهور "الرجل" الذي ينبعث من زحام الشعب المسكين الفقير المظلوم يحمل في رجولته السراج الوهاج المشتعل من كل نواحيه، الرجل المصبوب في أجلاده من الثورة والعنف والإحساس بآلام الأمة كلها، وآلام الأجيال الصارخة من وراء البنيان الحي المتحرك على هذه الأرض الذي يسمى "الإنسان"[1]. ثم يبين الأستاذ أن "ظهور هذا الرجل ليس بالأمر الهيّن، ولا إعداده بالذي يترك حتى يكون". ثم يبيّن الأستاذ شاكر أن وسيلة ظهور مثل هذا الرجل لا تكون إلا بأن يمهّد الأدباء والعلماء والإصلاحيين في هذه الأمة لهذا الظهور بأن "يرموا بما يكتبون إلى إيقاظ كل كامنة من نار الهداية المحاربة التي لا تخمد، ....فهو يمشى بها في كل عمل ولو في نقل البريد من مكان إلى مكان. إذن فأول الإصلاح الإجتماعي هو إدماج عواطف الفرد في مصالح الجماعة". ثم يخلص إلى أنّ تهيئة هذه الظروف الإجتماعية قمين بأن "يبعث الرجل الذي سوف يضيئ للحياة الإجتماعية سُدَف الجهل والبغي والإستبداد"[2].

فمذهب الأستاذ محمود إذن ينبني على أن الإصلاح موقوف على "رجل" يقود الشعب، وهو مستلهم في هذا للمنهج الرباني في إرسال "رجل" نبي أو رسول إلى قومه ثم إن هذا الرجل لينشأ من براعم ذلك الخليط المتجانس من النخبة العالية التي تتربى على أرفع المبادئ وأقوم الأخلاق.

والأستاذ سيد يذهب في هذا الأمر مذهباً آخر، إذ يرى أن الفرد الملهم ليس بحتمية تاريخية يتوقفُ عليها إنقاذ الأمة، بل على العكس من ذلك، فإن النجاة تتحقق بمجموع الأفراد ذوى المبادئ والأخلاق الذين يقوم علي جهدهم المجتمع المثالي. وفي هذا الصدد يتحدث الأستاذ سيد عن تلك "الفئة" أو "الطليعة" التي تستعلي بالإيمان و"تقود البشرية". يقول الأستاذ سيد: " لقد خرّجت هذه الدعوة جيلا من الناس - جيل الصحابة رضوان الله عليهم - جيلا مميزا في تاريخ الإسلام كله وفى تاريخ البشرية جميعه . ثم لم تعد تخرج هذا الطراز مرة أخرى .. نعم وُجد أفراد من ذلك الطراز على مدار التاريخ . ولكن لم يحدث قط أن تجمع مثل ذلك العدد الضخم ، في مكان واحد ، كما وقع في الفترة الأولى من حياة هذه الدعوة" معالم في الطريق.. وهذا الأمر – أمر هذه الفئة – هوما يجب أن يستلهمه المؤمنون إذ إن هذه الظاهرة " ذات أثر حاسم في منهج الدعوة واتجاهها"المعالم [3]. وحقيقة أن الله سبحانه يرسل إلى البشرية رجلاً فرداً ليقودها من ظلماء الجاهلية إلى ضياء الحق لا دلالة لها على أن هذا هو المنهج الذي تسير عليه حتميات التقدم، فإنه لو كان ذلك هو المنهج لكان وجود رسول الله صلى الله عليه وسلم لازم لإنتشار الدعوة، ولكان هذا أمر خارج عن نطاق القدرة البشرية إذ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم – بأبي هو وأمي ونفسي - بشر يموت كما يموت البشر، والله سبحانه لا يكلف المؤمنين بالنهوض ويأمرهم بالإستعلاء ثم يحرمهم الأداة اللازمة لذلك النهوض. يقول الأستاذ سيد: " لو كان وجود شخص رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتميا لقيام هذه الدعوة ، وإيتائها ثمراتها ، ما جعلها الله دعوة للناس كافة ، وما جعلها آخر رسالة ، وما وكل إليها أمر الناس في هذه الأرض ، إلى آخر الزمان.. " المعالم [4]. إذن فإن أمر النهوض بالأمة موكول إلى الفئة المؤمنة ولا يرتبط بظهور رجل من الرجال ليخرج الناس من الظلام إلى النور.

وللحديث بقية .....

---

1. مجلة الرسالة، السنة الثامنة – عدد 340، 1940،تحت عنوان "الإصلاح الإجتماعي"، عن كتاب "جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر" جمع الدكتور عادل سليمان جمال ، نشر مكتبة الخانجي، ج1ص52
2. المصدر السابق.
3. معالم في الطريق، الفصل الأول
4. ولا نغفل هنا أن نذكر ما كتبه الدكتور جعفر شيخ إدريس مدّ الله في عمره في كتابه "نظرات في منهج العمل الإسلامي" عن هذا الموضوع وقد كان موفقا فيما كتب إلا في بعض النقاط التي تخصّ موضوع تعليقه على الأستاذ سيد في أن الأمة الإسلامية إنقطع وجودها.." فإن هذه النقطة تحتاج إلى مزيد من التحقيق.

الطريق إلى إنقاذ الأمة - بين محمود شاكر و سيّد قطب

(2)

قلنا إن الأستاذ سيد قطب، إذن، يرتقب ظهور تلك الفئة المستعلية بإيمانها، والتي يمكن أن تعلو حتى تقترب من جيل الصحابة الأبرار، وليس هناك ما يمنع ذلك. بينما يرجو الأستاذ محمود شاكر أن يظهر رجلا من بين الناس، يشعر بشعورهم ويألم لألمهم ويكون هو المنقذ المنتظر والأمل المرتقب.

والحق أنّ الشيخ الجليل جعفر شيخ إدريس – أطال الله عمره – لم يأت بدليل على ما إدعاه[1] من أنّ سيدا رحمة الله عليه يرى إمكان أن يأتي جيل مماثل لجيل الصحابة، بل إن كلّ ما ذكره الأستاذ سيد أنّ جيل الصحابة لم يتكرر في الواقع العملي، وأنّ غياب شخص رسول الله صلى الله عليه وسلّم لا يمكن أن يكون هو العنصر الأوحد في هذه الظاهرة، وهذه المقدمات لا يلزم عنها أنه يمكن أن ينشأ جيلا مماثلا للصحابة، وهو مالم يصرّح به الأستاذ سيد، بل أظن أن المقصود هو أن إيمان الصحابة واستعلائهم هو العنصر الحاسم في عدم تكرار جيلهم، ولكن مثل هذا الإيمان لا يمكن أن يتكرر، وبالفعل لم يتكرر، لأنه مرتبط بما استقوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن لا يمتنع أن يخرج جيل قريب من أولئك المصطفين من الناس طالما أنّ الكتاب والسنة محفوظان الى يوم القيامة. ولتقرأ إن شئت فصل "جيل قرآني فريد" فلن تجد فيه كلمة واحدة يدعي فيها المؤلف أن جيل الصحابة، الجيل المميز الفريد على حدّ قوله، يمكن أن يتكرر تكرر المثليّة، وهذا هو مربط الفرس، ***المثلية***، ولكن تكرر الجيل الذي يعلو على الأجيال ويكون من جيلٍ "أمثل" كما في حديث "ثم الأمثل فالأمثل" فهو ما لا يمتنع عقلا ولا شرعاً.

منهاجان ظاهرهما الإختلاف والتضاد، إلا إنهما فيما أحسب، ليسا بهذا القدر من التباعد والتجافي، بل إنهما يتباعدا حتى نظنّ أنهما ضدان لا يلتقيان، ويتقاربا حتى نظن أنهما توأمان لا يكادان يختلفان. وإليك شرح هذه الجملة بما فتح الله سبحانه عند التأمل في كلا المنهاجين، وفي شخصية صاحبيهما، إذ إن المنهج لا ينفصل عن صاحبه.

ومفتاح ذلك الأمر في أن "الرجل" و "الفئة" كما يسميها سيد رحمة الله عليه هما خليط بعضه من بعض، فالرجل الذي يرتقب إمامنا محمود شاكر ظهوره لا يخرج إلا في فئة علت بنفسها وارتفعت بإيمانها حتى تنبت مثل هذا الرجل، ثم إنه يتميز بصفات شخصية كريمة تجعل محله في القلب من تلك الفئة. وهو يعرف مشكلاتها ويعيش ثقافتها ويكتوى بآلامها فهي منه وهو منها. ومن كانت هذه صفاته لا يكون إلا قائدا مقدما في هذه الجماعة، يفخر بها وتفخر به.

ثم إن الفئة التي تتربى على معالى الأخلاق والشرف والتضحية والكرامة وكلّ ما يقدمه الإسلام لأبنائه من علوّ لابد لها من قائد يقود مسيرتها إذ إنه لا جماعة بلا أمير كما إنه لا جسد بلا رأس، فحين تنضج الجماعة وتصل إلى مرتقاها الأعلى فلابد أن تتخذ لها رئيساً مقدماً تسلمه قيادها ليحدوها إلى ما شاء الله لها من قيادة البشرية إلى خيرها

وفلاحها. ولا نحسب أن سيداً قصد إلى أنّ هذه الفئة التي يرتقب ظهورها لا تتخذ لها رئيسا قائداً، فإن هذا مما يخالف قواعد الإجتماع ومبادئ العقل جميعا.

إذن، فإن المنهاجين يلتقيان، وإن ظهر أنهما يبدآن من نقطتين متباينتين. "الرجل" لا يظهر إلا من "فئة" يصلح أن تنبت فيها القيادة، و"الفئة" لا تتقدم دون أن تتخذ "رجلا" قائدا. وإفتعال "الرجل" لا يصلح أن تقوم عليه أمة، ومن هنا فإن أمتنا لا تزال جاهدة في سعيها إلى أن تجد الرجل المناسب لقيادتها، كما أن أمة لا ترتقي بنفسها فتتمخّض عن رجل صالح بكل معاني الصلاح لن يكون من نصيبها أي تقدم أو فلاح، ولهذا فإن أمتنا أمامها طريق شاق لتنشأ فيها فئةٌ ينشأ منها رجل، أو ينشأ فيها رجل يقود الفئة المستعلية، أيهما تختار، فهما أمران متحدان في المبدأ والمنتهى.

ورحم الله سيدا ومحمود فإن الأمة قد فقدتهما في زمن – يعلم الله - هي أشد ما تكون حاجة إليهما.

---

1. "معالم في منهج العمل الإسلامي"، الشيخ الدكتور جعفر شيخ إدريس

نَمَطٌ مُغْرِضٌ ونَمَطٌ خَبيثٌ!

(1)

استميح إمامنا العلامة الجليل محمود شاكر رحمه الله عذراً في استعارة قالب عنوان كتابه الفذّ "نمَطٌ صعبٌ ونمطٌ مخيف" لأصوغ عنوان هذا المقال فإن له بكتابه نسبا وثيقاً يَشْرُف به المقال ويعتزّ. وسأكون أكثر إلحاحا في طلب عونه بأن أنقل عنه فقرة من كتابه هذا لتكون دلالة على ما أريد أن أقرر مما يأتي من مقال. يقول شيخنا الجليل رضى الله عنه: "والمُتمَني تَهْجُمُ به أمَانيُّه على المَعَاطب! فمن البيّن أن ما أتمناه سوف يرمي بنا في اليمّ، يَمّ العروض الذي لا يدرك قعره ولا شطّاه! وهو علم سُلِب النَشْأُ حَقَهم في معرفته كما سُلِبوا حقهم في معرفة كثير من علوم أمتهم، ومن علوم لسانها وتاريخها، بالتحكم والتسلط في برامج التعليم من ناحية، وبالجرأة على حذف علوم كثيرة قديمة بجرّة قلم، وبلا تدبر ولا إعادة نظر، من ناحية أخرى" نَمَطٌ صعب ونَمَطٌ مخيف ص 88. وبيت القصيد هو في تقريره ما سُلب من حقِ الشباب في العلم والمعرفة بتراثهم.

والقصة، يا سادة، أنّي كنت أتدبر بعض المعلقات العشر، معلّقتيْ عمرو بن كُلثوم وطُرَفة بن العبد على وجه الخصوص، إعداداً لدرس في الأدب العربي، وكان أن عاودني فيهما ما لاحظت منذ أكثر من ربع قرن من الزمان، وهو فساد ترتيب أبياتِهما، مما أعاد لذهنى ما كتب شيخنا الجليل في كتابه الآنف الذكر عن صحة نسبة قصيدة تأبّط شرّاً "إن بالشِعْبِ الذي دون سَلْعٍ" وعن خلل ترتيب الأبيات في القصيد العربي بشكل عام، وذلك المنهج السديد الذي اتبعه شيخنا العلامة في ربط القصيدة بالعروض وبحارها الخمسة عشر، وموقعها من دوائره الخمس، بحالة الشاعر النفسية مما يعين على كشف العديد مما خَبُأ من أسرار القصيد أو مما كان من خطأ الترتيب أو النسبة من الرواة المتعاقبين، أو مما لعبت به أيدى العابثين من ناحلي الشعر. ثم أخذني الفكر فيما قرر شيخنا عام 1968 ميلادية من حرمان هذه الأجيال من تراث آبائها من تاريخ ولغة. أليس هذا الغرض الذي يحاوله الغزاة الصليبيون اليوم وما يوافقهم عليه أذنابهم ممن خانوا قومهم وباعوا دينهم بدنياهم ممن بيده سلطة صنع القرار؟ حذف ما هو من صلب ثقافتنا وعلومنا مما يصل حاضرنا بماضينا؟

علم هؤلاء المغرضون وأتباعهم الخبيثون أن قطع صلة الأجيال بعلومها الُلغوية يفصل بينها وبين ما حمله الآباء من قيم وخصائص تجعلهم يتفردون بين الأمم، فاللغة هي قالب الفكر في كلّ أمة، فيها تظهر خصائصها، وتتبلور معادن أخلاقها، خاصة أمة العرب الذين كانت لغتها وعاء فكرها ومصدر ثقافتها، فعُرفوا بشعرهم الذي لا تباريهم في مذاقه وفنونه أمة من الأمم.

وهذا الفصل والبتر ليس وليد هذا العقد من الزمن، وإن كان قد ثقل وطأه واشتد رزحه بما مازجه من مساندة الصليبية الغازية، بل قد أطل على أمتنا منذ أن دخلت الجامعة المصرية ببرامجها التي تدرس العلوم العلمانية الدنيوية، ولا تلقي بالا لعلوم الأمـة التي هي قوام وجودها كعلوم الشريعة والعربية والتاريخ، إلا ما تقدمه في كليات ما يسمى "الآداب" من مناهج تستحي أن تنسب للعربية أو أن تنتج لُغويا. وكان القائمون على هذا ممن تشبعوا بعلوم الغرب وعشقوا مناهجه مثل أحمد لطفي السيد ومن بعده طه حسين الذي خرج على المصريين بكتابه "مستقبل الثقافة في مصر" يريد أن يجرّد الأزهر والجيل من كل رباط يربطه بثقافته وأن يُحكم بدلا من ذلك قبضة الثقافة الغربية، ولا غرو فهو عدو الأزهر الأول، والعجب أنه قد أصبح وزيرا للتعليم! بعد أن أصدر الأزهر فتوى بمروقه عن الدين إثر ما أشاع في كتابه "الأدب الجاهلي" من هجوم على مسلّمات إسلامية راسخة دون علم أو عقل.

والأمر اليوم ما هو إلا امتداد لذاك التوجه الخبيث المقيم، المدعوم بالتوجيه المغرض الوافد، تغيير الثوابت عن طريق تغيير المناهج، وصرف الشباب عن التعرف على علوم أمته ليرقى بها ويعلو، وما علم العَروض إلا مثال على ما خسره الجيل من علوم أمته، فهو علم يصقل الذوق الفني ويرقي الحسّ والشعور ويعلو بالروح على المادة، ولكن إن كان الأزهر نفسه، وشيخه على رأسه، قد أطبق فمه وأغمض عينيه وأصمّ أذنيه وكأنما لا يدرى ما يراد به، فماذا على الشباب أن يضيّعوا مجد أمتهم الأثيل ويفرّطوا في تراثها الأصيل!

<u>مشكلات الأمة الإسلامية بين السياسة والإجتماع</u>

لاشك أن المأزق التاريخي الذي تعاني منه الأمة الإسلامية ومؤشراته من انحطاط في سلم الحضارة وتخلف عن ركبها، وليد عوامل عديدة يجدر بالمهتمين بشؤون هذه الأمة أن يتعرفوا عليها وأن يتدارسوها ليتداركوها.

وعلى رأس هذه العوامل ذلك العَطَنَ والعَطَبَ الذي أصاب الحياة السياسية في بلادنا منذ أن فُرضت قوانين الطوارئ لتحمى الفساد وتمهد للطغيان. وفساد الحياة السياسية عامل كافٍ لأن يسلب أمة حيويتها ورغبتها في التقدم وأن يلقي بظلال الركود على عقول ابنائها فيقتل الخيال العلمي ويمحق النظر التجريبي ويجعل ابناء الأمة يخلدون إلى التافه من الأمور إذ يمنعهم يأسهم من التقدم أن يطلبوا المعالي. ثم يتغلغل أثر الدكتاتورية المصحوبة بالفساد إلى كافة مناحي الحياة الإجتماعية في الأمة، فترى أبناؤها يتناحرون ويتصايحون، وكأن تحقيق المراد موكول بنبرة الصوت الأعلى، لا منطق ولا إقناع، بل مهاترة وتشدق، ثم تراهم فقدوا إهتمامهم بالزمن والوقت، فلا إحترام لموعد ولا حفاظ على عهد، ولا دقة في التنفيذ أو مهارة في الأداء، تجرأ الكثير منهم على السرقة والرشوة والتعدى، وبدت الكراهية في تصرفاتهم تجاه أحدهم الآخر، أسوة بما يرونه من كراهية حكامهم لهم وتعدّيهم عليهم وسطوتهم على أرزاقهم واستهتارهم بمستقبلهم.

الخراب السياسي لا ينشأ عنه إلا أمة لا أمل لها في المستقبل، إذ إن المستقبل لا يملكه إلا من له حقّ التطلع الحرّ والترقب الطليق، والطير المأسور لا يغنى إلا نواحاً! والحرية السياسية، أو حرية الكلمة – إن شئت – هي الهواء الذي يتنفسه الأحرار، وهي النور الذي يضيئ طريقهم وهي الدافع الذي يحركهم للأمام في طريق الرقي.

ولا يتوقف أثر الخراب السياسي على ما تقدم، بل إنه يتعدى الحياة الإجتماعية إلى الحياة الإقتصادية، ولا ندري ألالخراب الإقتصادي وليد الإنحطاط الإجتماعي أم هو مسؤول عنه؟ ولكن المؤكد أن كليهما نتيجة مباشرة للخراب

السياسي وفساد النظام. والحياة الإقتصادية، والنظام الإقتصادي العالمي أصبح لا يقبل تلك الأمم التي تتكاسل وتتقاعد، وينصرف أبناؤها عن الإنتاج المميّز إلى إنتاج من الدرجة الرابعة، فالمنافسة العالمية شديدة لا يفوز فيها إلا الأفضل. وكما رأينا، فإن انعدام الدافع للتقدم يجعل ابناء الأمة ينحصر إهتمامهم في تحقيق الكسب السريع بغير جهد ولا مشقة، فهم يرون حكامهم يكسبون الملايين أو البلايين دون جهد أو تعب، وصدق الشاعر:

إذا كان ربُّ البيتِ بالدفِ ضارباً فشيمةُ أهلِ البيتِ كلُّهُمُ الرقصُ

ولكن فضلَ الله عظيم، فإن الأمة، على الرغم من الطفيليات السياسية التي عشّشت على مسرحها السياسي زمناً متطاولاً، وما أفرزته تلك الطفيليات من جراثيم إجتماعية وإقتصادية، لا تزالُ تحمِل بين جُنُبَاتها إيمانٌ لا يخبو، إن قُدِّر أن ترفع عنه القيود لرَفَعَ هذه الأمة إلى مكانتها التي تليق بها بين الناس، وإنه لواقع إن شاء الله.

تساؤلات مصرية على هامش الإنتخابات البرلمانية

ما حدث، ولا يزال، في مسلسل الإنتخابات البرلمانية يبعث على إثارة الكثير من التساؤلات التي لا أجد لها إجابة عندى، إلا ان أطرحها على المصريين لعل منهم من هو أسدّ مني عقلا وأرشد رأيا أن يهدى إلى إجابة شافية لها.

ورد مؤخرا على لسان عدد من ممثلي النظام الحاكم، مثل أحمد "نظيف!" وأسامة الباز، في بيان السبب الذي يجعل الحكومة المصرية تقف بالمرصاد لإي إتجاه إسلامي يريد الإصلاح، فتعتقل دعاته وتشرد عائلاته، أن "الدستور المصري لا يسمح بإقامة أي حزب على أساس ديني" ولو كان إسلاميا، بل بالذات إن كان إسلاميا! وأتساءل: ما هذا الدستور؟ ومن هو واضعه؟ وعلى أساس وضعه؟ ومن الذي صدّق عليه؟ هل إرتضته الغالبية المصرية؟ أم إنه رضاء الإذعان والإكراه؟ أليست غالبية المصريين يدينون بالإسلام، حتى إن صدّقنا ما اختلقه الباز من أن النصارى يمثلون 10% من الشعب، فأين حق ال90%؟ وإن فرضنا جدلا أن هناك في هذه النسبة من يقبل بتنحية دين الله من أن يحكم في حياة المسلمين، فلتكن 10% كذلك، فإين حق ال80%؟ هذا الدستور قرآنا لا يبدل ولا يحرّف وإن كان مخالفا لراي الغالبية؟ وإن كانت هناك نداءات بحذف آيات وسور من القرآن إرضاءا لأمريكا ومن لفّ لفهاّ ودان بدينها، وأصبحت تلاوة آيات معينة جريمة يعاقب عليها القانون، أفلا يتساوى القرآن والدستور في إمكانية تجاوز مثل هذه البنود التي تخالف ديننا وشرعنا وعقيدة غالبيتنا؟ كيف يمكن لهؤلاء المدّعين أن يكنوا الإحترام والتبجيل للدستور ويتخذونه ذريعة لتجاوز المطلب الديموقراطي الأول والأهم للغالبية ويسهل عليهم وعلى أمثالهم أن يتجاوزوا القرآن، كلام الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟ أيكون فعلهم هذا هو الباطل الذي يسعى بين أيديهم ومن خلفهم؟

ما هي حقيقة هذه الديموقراطية إذن؟ لماذا يلجأ النظام الحاكم إلى الإستعانة بالبلطجية وأرباب السوابق لضرب الناخبين والمرشحين على حدّ سواء؟ وكيف يمكن أن تمنع الشرطة التي هي قوة رادعة للغصب والبلطجة أن تحمى البلطجة والغصب؟ وما المانع من أن تكون الحكومة عادلة فتسمح للغالبية أن تكون ممثلة في أجهزتها التي هى اجهزة الشعب وهيئات الشعب؟ أقدر المصريين أن تحكمهم الأقلية المتدثرة برداء الأغلبية؟

ثم، ما هي شرعية هذه الحكومة إذن؟ وكيف تكون الحكومة ممثلة للشعب وهي تحارب الشعب بضرب ممثليه الحقيقيين وإرغامهم على الخروج من حلبة الإنتخابات رأسا؟ كيف تؤتمن على مصائر المصريين وثرواتهم ومستقبل أبنائهم وقد نزعت عن وجهها قناع الشرعية ولبست قناع التجبر والعربدة؟

أيمكن أن تكون المؤسسة السياسية تعمل إذن ضد مصلحة الغالبية؟ أيكون هذا سبب انتشار الفقر وتفشى المرض وسيطرة الجهل، والأطعمة المسرطنة، والمياه الملوثة والمعلبات المسممة والسحابة السوداء، وبقية ما يعرفه المصريون عن الصفقات المشبوهة مع ألدّ اعدائها إقتصاديا وسياسيا؟

اسئلة لا حصر دارت بخلدى لا اعرف جوابا لها ولا أهتدى إلى تفسير لحل الغازها فهل مجيب؟

الشكل السياسي وإمكانية التغيير

عرف العالم عددا من الأنظمة السياسية المختلفة التي تحدد طبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم وشكلها وموضوعها. هذه الأنظمة، بإختصار، الملكية والجمهورية والخلافة الإسلامية، وكلّ من هذه الأشكال يختلف عن الآخر إختلافا بيّنا ويفارقه في أصله وفروعه. والملكية، التي أصلها أن الشعب مملوك لعائلة معينة نتيجة اسباب مختلفة، إما أن تكون ملكية استبدادية، الملك فيها هو الحاكم المطلق الذي لا يُردّ له قول، إذ يستمدُ قوته من قوة أعلى سواء بحق إلهي أو بخضوع شعبي لسلطة العائلة المطلقة، مثل كثير من الملكيات الأوروبية في العصور الوسطى أو ملكيات الشرق الأوسط. ثم الملكية الرمزية والتي تملك فيها العائلة المالكة ولا تحكم، كما هو الحال في إنجلترا وعدد من الملكيات الأوروبية الحاضرة. وأما الشكل الجمهوري فهو، كما يشتق من اسمه، يرجع، افتراضيا، إلى الجمهور أو الشعب. والجمهوريات إما يتمتع رئيسها بسلطات واسعة تعلو على سلطة الحكومة ولا يحدّها إلا المجالس النيابية، كما هو الحال في الولايات المتحدة الأمريكية (جمهورية فيدرالية) ، وبعض بلدان أوروبا كفرنسا، أو أن تكون سلطات رئيس الجمهورية سلطات رمزية، إذ يكون رمزا للدولة يمثلها في المناسبات الدولية غير السياسية، مثل نظام الكيان السرطاني الصهيوني في فلسطين.

فالملك في النظام الملكي يتربع على عرش السلطة سواء أكان كفئً أم غير كفئٍ، إذ أن السلطة تنحدر اليه بالسلالة لا بالكفاءةن مما أدى إلى مولد الملكية الرمزية بعدما عانت الدول الأوروبية من الملكيات الإستبدادية. ورئيس الجمهورية، حال توليه السلطة، غالبا ما لا توجد وسيلة تردعه عن الإستبداد باسم الشعب بأن يزوّر إرادته مستخدما

كافة الطرق سواء بتزييف الحقائق كما هو الحال في الإدارة الحالية لأمريكا، أو بأساليب القمع والعنف والبلطجة والتزوير كما هو الحال في دولنا العربية.

أما نظام الخلافة الإسلامية فهو مختلف عن كلا النظامين السابقين في شكله وطريقة عمله، فالخليفة لا يختاره الشعب على أساس الأغلبية المطلقة، فالأغلبية المطلقة قد تكون مغرر بها وقد تكون على غير الحق، إن انتشر الفساد وعمّت البدع، إنما تختاره النخبة الإسلامية ممن يتقيد بالشريعة وأحكامها علما وعملا، ويكون مؤهلا لحمل مسؤليات المنصب بما يستلزمه من علوم الدنيا، ويحمل الخليفة مسؤليات منصبه بما هو قريب من النظام الأمريكي، إذ يستشير مجالس نيابية أعضاؤها من العلماء والمتخصصين سواء في الشريعة أو العلوم الدنيوية، لا مجرد انتخاب الغالبية من العوام. وهذه المجالس إما أن تكون توصياتها معلمة بمعنى أنه ليس من الحتم أن يلتزم بها الخليفة إن رأى في مخالفتها المصلحة، كما حدث في حروب الردة حين خالف أبو بكر الغالبية، وكان معه الحق في ذلك، أو أن تكون هذه الشورى ملزمة أي هو مقيّد باتباعها وكلا الرأيين له سنده من الشريعة، وقد عرفت الدنيا أفضل وأرقي نظام للحكم حين طبقت نظام الخلافة في عصر الراشدين، ثم بدأت العوامل الدنيوية تتدخل في هذا الشكل السياسي، حتى مرّت عصور كان الخليفة فيها لا يقلّ سوءا عن الملك المستبد أو الرئيس الطاغية.

وبعد هذا الإستعراض السريع لنظم الحكم المختلفة، أتساءل، هل من الممكن أن تكون هناك خطوات إيجابية لمصالحة وطنية في بلادنا، بين الحاكم والمحكومين، حيث يصطلح الناس على أن يظل الرئيس الحالي رئيسا شرفيا للدولة مدتين متتاليتين، فيحتفظ بمركزه المرموق، إلا أنه يدع المتخصصين من أهل الثقة والكفاءة والديانة يشكلون الحكومة ويعملون على خدمة الشعب، كبديل لهذه البلطجة والعنف والنهب الصريح، ولسنا في هذا، إن أخذنا به، بأقل من الكيان الصهيوني السرطاني في فلسطين، والعيب أن نكون أقل منهم، وهم أقلّ من على سطح الأرض كرامة وأخسهم طبعا!

حين تفقد أمـة رأسها!

تعتمد الأمم الناهضة في بنيان عمرانها على الجهد المشترك والمنسق بين قطاعيها الحكومي الرسمي والشعبي العامل لتحقيق أفضل النتائج في المجالات المختلفة من ناحية ولضمان الحدّ من الخسارة التي تلحق بالمجتمع من جرّاء التعدى والسرقة والنصب وما إلى ذلك من أمور مضرّة بالعمران وتقدمه. وهذا التنسيق والترابط لا يتم إلا بإشراف الحكومة عليه وتحقيق التوازن بين المؤسسات الوطنية العامة والخاصة، وذلك بسنّ القوانين التي تحكم هذه العلاقة بين هذه المؤسسات، فلا تجور أحدها على الأخرى بل تعمل كلها في صالح الشعب، وما ذلك إلا بجهد التنسيق الذي تقوم به رأس هذه الأمة ومؤسستها السياسية.

والأمم في هذا أشبه بجسد الإنسان، فالجسد فيه الكثير من الأعضاء والأجهزة التي تعمل جزئيا بتنسيق داخلي ذاتي ناشئ من طبيعة تركيبها، وتعمل بتناسق مع بقية الأعضاء والأجهزة لضمان صحة الإنسان الجسدية والعقلية. ودعونا نتصور أن إنسانا فقد رأسه أي عقله المدبر، وإن ظلّت خلاياه وأعضاؤه سليمة عاملة، وأقل ما يحدث في هذه الحالة أن تتحرك هذه الأعضاء بعشوائية أقرب إلى الجنون، ثم يتبعها بعد فترة الأجهزة الداخلية التي وإن كانت أطول أمدا في القدرة على القيام بوظائفها دون جاجة إلى الرأس المدبر، فإنها ولاشك ستفقد ترابطها وتتوقف وظائفها ويتدهور الجدسد الإنساني ليمرض أولا ثم يشتد مرضه وهو في كل هذا مجنون أو أشبه بالمجنون، تتحرك أعضاؤه بلا تنسيق بل كلّ عضو يعمل مفردا ويسعى للقيام بوظائفه دون إعتبار لغيره من الأعضاء.

أليس هذا أشبه بحال أمتنا، بعد أن فقدت رأسها! فالحكومة التي يجب أن تلعب دور المنسق أصبحت لا عمل لها في مجال التنسيق أو الإصلاح أو سنّ القوانين العادلة، بل أصبح همّ أعضائها أن يحقق كلّ منهم الكسب السريع العريض لنفسه، ولهذا تسنّ القوانين ويسحل الناس وتضرب أبشارهم وتسلب حرياتهم، أصبح همّ الرأس أن تبقي على منصبها ولو مات الناس ولو خربت الدنيا، فيعلو من يكذب وينافق، ويسجن ويشرد من يقول الحق ويسعى للصالح! وترى عمل الرأس منحصرا كلية في إبرام الصفقات المشبوهة في مجالات الزراعة والصناعة والتسليح والطاقة، وغير ذلك من المجالات التي تحيا بها الأمة، ولو أدى ذلك إلى هلاك الحرث والنسل وضياع ثروة الأمة المادية والعقية، إذ أن تراث الأمة ودينها أصبح سلعة تباع في السوق الدولي يباع لإرضاء الأسياد ممن لهم القدرة على جزّ هذا الرأس المجنون واستبداله بمن هو أخبث طريقة وأشرّ طوية، إن وجد مثل هذا الرأس الأخبث!

وحين يرى الجسد العمل من أبناء الأمة أن رأسه قد جنّ بنفسه وأصبح لا فائدة منه في تنسيق أو تدبير، سعى كلّ من ابنائه لصالح نفسه دون رعاية للصالح العام أو إعتبار لمصلحة الأمة ككل. وينشأ من هذا جيل أناني بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى. وتظهر على أجهزته علامات المرض والإعتلال، ثم تلاقى الأمة حتفها وتصبح ذكرى في ذاكرة التاريخ.

كلّ هذا لأن الرأس قد جُنّ، جُنّ بحب ذاته ومصلحته، لا يراعي غيرها ولا يعمل إلا لأجلها،سيطرت الأهواء على هذا الجهاز الحاكم فباع ضميره وخان أمانته وخاصم ربّه وألقى دينه وراء ظهره!

والله لا أدرى أي إنسان وأي ضمير يمكن أن يسقط هذا السقوط، ويسمح لنفسه أن يطلق الجسد، جسد الأمة، مجنونا بلا ضابط ولا مدبر، لدنيا يصيبها، وما هو بمخلد فيها!

<u>"إنه كان ظلوما جهولا"</u>

يتحدث الناس عن ظلم الحاكم – أي حاكم - وجبروته وطغيانه وعن القمع الذي يمارسه والإرهاب والفساد الذي يشيعه في حياة الناس وفي مقدراتهم، وأعجب، هل يمكن لرجل فرد يحتل مكان "الحاكم" أن يفعل كل هذا الشر بمفرده؟ كيف يتسنى لرجل فرد أن يقوم بكل هذه الشرور ويبوء بكل هذه الذنوب وحده بلا شريك؟ هذا أمر لا يعقل ... من الذي يقوم بإصدار الأوامر التفصيلية التي تفصّل إرادة الحاكم؟ ثم من الذي يقوم بتنفيذ هذه الأوامر وإخراجها إلى عالم الواقع؟ الحاكم ولا شك لا يخرج في الشوارع ليعتقل الأبرياء ويشرد الأسر ويوقع كافة الأوراق التي تتحول بمقتضاها أموال الناس إلى حسابه الخاص؟

الأمر إذن يتعلق وبشكل شبه كليّ على من هم وراء الحاكم، لو تخيّلنا هذا الجهاز الهائل الذي يتحرك بإرادة الحاكم ويعمل لحسابه لعرفنا من الذي نلوم على ما نحن فيه ولعرفنا لماذا نحن فيما نحن فيه! ومن هم وراء الحاكم، وياللأسف هم من أبناء الشعب نفسه الذي تقع عليه هذه المظالم! دائرة مغلقة لا يبررها منطق ولا يؤيدها عقل!

إن إلقاء اللوم على الحاكم وحده لا يخلى مسؤولية الملايين الذين يساندونه في كل مرفأ من مرافئ الحياة بلا استثناء والذين يقومون بتحقيق ما يشيعه من فساد إن كل خلية من خلايا الشعب قد اصيبت بسرطان الحكم. وإن كنت في ريب مما اقول، فقل لي بالله عليك: من الذي يرتب صناديق الإقتراع المزورة، ومن الذي يحملها إلى مراكز

الإقتراع، من الذي يفرغها ويدوّن النتائج "المضروبة"؟ ثم، من الذي يحاصر المتظاهرين، ويعذب المعتقلين .. إنهم أفراد من هذا الشعب، يعملون ضدّ آبائهم وأبنائهم وأصدقائهم بل وأنفسهم.

ثم أيكفي إدعاء أن هؤلاء الذين يعملون لحساب الحاكم منهم من يعرف ويقصد ومنهم من لا يعرف ولا يقصد؟ أظن والله أعلم، أن هذا الجهل وهذه النية لا تعفي من المسؤولية باي حال من الأحوال مهما كان السبب، فإن اليد التي تسرق قد أمر الله سبحانه بقطعها وهي إنما تعمل لحساب حاملهان دون إرادة مستقلة منها. وهؤلاء الذين يعملون لحساب الحاكم، بعلم أم بجهل إنما هم يد الظلم وقدمه وعقله، ولا أقصد تلك الطغمة التي تحيط بالحاكم من الوزراء والمستشارين، فهؤلاء هم "الحاكم" بشحمه ولحمه، وإنما أقصد أفراد الشعب الذين يحملون تلك الأوامر محمل التنفيذ، ويظنون، ويظن الناس معهم أنهم مجبورون على تلك الأفعال، لا والله الذي لا إله إلا هو ليسوا بمجبرين، بل هم مكلّفون بنفس التكليف الإلهي مغيرهم بأن لا ينصروا ظالما أو يساندوا جباران فكيف وهم أداته ومبراته؟

لقد آن لكل فرد من أفراد الأمة المقهورة أن ينظر فيما يفعل ولما يفعل ما يفعل وما هي نتائج ما يفعل، الموظف والشرطيّ ومدير البنك ونائب الوزير وغيرهم من طبقات الشعب، ولا يظنن أحد أن ما يشارك به في مساندة هذا الحاكم إنما هو مجرد حصوة صغيرة في جدار هائل أو قطرة في محيط الفساد، فماذا يضر إن فعل ما فعل فإن امتناعه لن يغير من الوضع شيئ. هذا خطأ عقلا وحرام شرعا. فإن كل إمرئ محاسب على عمله كبُر أثره أم صَغُر.

إن الحاكم لا يقوى على ظلمه بنفسه، بل بلسلسة من الفساد لا تنتهى إلا مع أصغر ضابط يوقع أمر إعتقال لا سبب له أو سائق يقود سيارة تحمل معتقلين بلا جريرة، وكل صحفي يكتب سطورا يؤيد بها ظلما أو يمجد من يكرّس الظلم. كلهم شريك في الجرم، أمام الله وأمام الناس.

على كل فرد أن يحاسب نفسه ويحدد موقعه فإن الأمانة ثقيلة وعبئ حملها قد ناءت به الجبال من قبل، وحملها الإنسان من قبلن إنه كان ظلوما جهولا.

الهوية المصرية وقانون التغيير

الهوية المصرية تمثل الثابت المطلق في معادلة التغيير الحاضر، إذ إنّها الضامن الأوحد لتلاقي القوى المختلفة العاملة في المجتمع المصرى على هدف واحد ومنطلق واحد. وهذه الهوية، مهما إدعى المدّعون، وتصارخ المرجفون، هي هوية إسلامية شكلا وموضوعا، على ما يشوبها من شوائب تراكمت خلال عقود التخلف وممارسات الجاهلية، وهي إسلامية العقيدة، إسلامية الحضارة، إسلامية الطبع والثقافة والعادة، حتى الأقلية النصرانية تعيش هذه الطباع والعادات والأعراف الإسلامية سواء شاءت أم لم تشأ، يعرف ذلك من عاشر القوم في بلاد الغرب ورأى نفور نصارى مصر من تقاليد الغرب وعاداتهم وممارساتهم الشاذة المنحطة.

وهذه الهوية الإسلامية تتمثل في غالب أبناء مصر سواء من إلتزم بالإسلام كقضية حياة ومصير أو من طحنه الفقر وحطت عليه ظلمات الجهل فما عاد يميّز بين ما هو من حدود الإسلام وضروراته وما هو من قبيل الذنب والتعدى. ومن ثم فإن كل أبناء مصر يجتمعون على مفهوم واحد هو الخضوع لله سبحانه وإلتزام أمره وإن ضعفت النفس حينا أو أحيانا، ولا يقبل أحد من أبناء مصر أن يهان الدين أو أن توضع أوامر الله سبحانه على رفوف النسيان والإهمال. هذه المشاعر المتوحدة هي القاعدة التي يجب أن تبنى عليها قواعد المستقبل فلا قوة في غيرها مهما إدعى المرجفون.

وقوى العلمانية و"التحرر" و"التقدم" و"الليبرالية" وغير ذلك من أسماء ما أنزل الله بها من سلطان، إنما هي قوى تحرك ضئيلا من قوى الشعب لا يحسب النظام لها حسابا. فمن أراد أن يستثمر قوى الشعب الحقيقية فليلجأ إلى الكامن المستقر من هويته الثابته وليخاطب فيها الإسلام عقيدة وحضارة وثقافة وعادات وطباع لا زالت تقطن هذه الأرض وتعيش في قلوب وعقول ساكنيها قرون متطاولة.

والتغيير له قوانين ثابتة راسخة رسوخ القوانين الطبيعية وأشدّ، فلابد من إحترام هذه القوانين ومراعاة ضوابطها ومبادئها وعلى رأسها أن من أراد البقاء حافظ على هويته الحقيقية وعاش بها حاكما ومحكوما، ومن أراد الإنقراض والزوال تمحك في ظلّ ثقافات لا ينتمى إليها ولا يجمعه بها إلا ما يجمع العدو الغالب بضحيته المغلوبة.

فعلى جماهير شعبنا المصرى، وأقصد كل طوائفه، أن يخلصوا لهويتهم التي ارتفعوا بها من حضيض الجاهلية إلى رفعة الحضارة والعلم والتقدم والغلبة أن يلهثوا وراء معان مصطنعة وأسماء ملمّعة زائفة البريق كوعود "الديموقراطية الأمريكية" تلك الديموقراطية التي هي مضحكة العقلاء، والتي يعرف من يعايش الغرب في حاضره أنها لا تعنى أكثر من قيمة الحبر الذي تسطر به على الأوراق، والتي أبدلنا الله خيرا منها قواعد الشورى ونظم ولاية الأمر وسياسة الحكم الشرعية كما عرّفها علماؤنا، فإن فيها هويتنا الحضارية وعليها يبنى نظامنا الحياتي وبها تضمن الأغلبية رفعتها وكرامتها وتضمن الأقليات حقوقها التي شرعها الله لها كاملة غير منقوصة.

وعلى هذا الفهم وبهذا العهد وإلى هذا الغرض فليسع الساعون، ونحن نكون اسبق الناس إلى إتباع حكامنا إن استيقظ منهم الغافل وسار على درب الصواب وعرف أنّ بقاءه مرهون بإحترام هوية شعبه لا بمحقها وسحقها ومسخها بما هو مستورد مرزول.

<u>لا حياة بلا حريــــة</u>

سُلِبَ المصريون الحرية منذ أكثر من نصف قرن، عاشوا فيه تحت ظل الإستبداد والإستعباد، تارة تحت شعار "إرفع رأسك يا أخي!"، وتارة أخرى تحت وهم "الإنفتاح"، ثم تارة ثالثة تحت شعار... يعلم الله أن هذه المرة ليس لها حتى شعار ترفعه! وإنما هو مجرد إستمرارية العذاب والعقاب وسلب الحرية وقوانين الطوارئ .. الطوارئ التي من طبيعة تسميتها أنها "طارئة" اي مؤقتة فإذا هي الأصل المقيم ما أقام السرمدان.

ويقول البعض إن المصريين شعب صبور يتحمل الضيم ويرضى بالظلم إلى حين، ويعالج الإستعباد والإستبداد بالصبر على مرتكبيه حتى ينال منهم الزمن الذي يرحم، وقد يكون هذا العلاج صحيح، إلا أنه جزء من العلاج الشامل، فإنه يجب أن يدرك الناس أن الحرية لا يدق بابها إلا بالتضحية كما أسلفنا، التضحية بالوقت، وبالجهد، وبالمال وبالنفس إن لزم الأمر، فإنه للصبر حدود كما يقال، والكريم يمهل ولا يهمل، والعفو عن الظالم لا يكون إلا بعد القدرة عليه.

والحرية هي أرفع ما يتحلى به الإنسان في حياتنا الدنيا، وأعلاها تحرر الإنسان من عبادة الناس والخضوع للناس إلى عبادة الله وحده والخضوع له وحده، فهي لذلك أغلى القيم وأعلاها ثمنا، ومن ثم كذلك هي لا تمنح وإنما تؤخذ

اخذاً فالسلعة حين يغلو ثمنها، ويستأثر بها من يريد احتكارها يرتفع ثمنها حتى تكون الحياة نفسها ثمنا لها، ويُضَحَى في سبيلها بكل غالٍ ورخيص.

ونضيف أن الحرية التي نقصدها هي ليست التفلت من القيود، والتصرف غير المسؤول أو الإنسياق وراء كل ما تدعو اليه النفس، وما تأباه الفطر السليمة كما يدعو أتباع العلمانية الشاردة الملحدة، بل هي إختيار واع لما يفعل المرء داخل منظومة الجماعة الإنسانية التي يعيش بين ظهرانيها وتبعا لقوانينها التي ترتضيها.

يجب أن يدرك الناس أن الحياة بلا حرية هي ليست الحياة التي يريدها الله سبحانه لبني آدم، وإنما هي أقرب إلى حياة الحيوان، حياةً لا تعرف إلا إرضاء الغريزة، بلا كرامة ولا عزة نفس.

كيف يرضى المصريون أن تمتهن كرامتهم، وتسخف عقولهم وتسلب إرادتهم وتغصب حقوقهم وتنتزع حرياتهم دون أن يتحرك منهم ساكناً؟ أطال عليهم أمد الإستعباد فباتوا لا يعرفون ما هي الحرية ولا يدركون مذاقها؟ أم اشتدت عليهم وطأة الحياة ومتطلباتها فأذهلتهم عن فقد أعز ما يمتلك الإنسان، "الحرية"؟ إن الله سبحانه أعطى الإنسان الحرية كاملة حتى إنه سبحانه قد ترك من يكفر به حيا يرزق، بينما يأبى طغاة البشر أن يتحدث الناس بظلمهم! أفلا يفهم البشر إذن أن الحرية هي نسيج هذه الحياة وقوامها الأصيل؟

إن النهوض بالأمة إقتصاديا وعلميا وإجتماعيا وتحقيق الرخاء لأفرادها مرهون بتحقق الحرية السياسية، حرية الكلمة، حرية الرأي والتعبير، حرية النقد والمساءلة للحاكم، ومرهون برفع الخوف الذي يعيشه المواطنون تحت ظل "الطوارئ" وما استحدث من قوانين "محاربة الإرهاب" التي هي بدعة "بوش" ومن والاه، لتحقيق مخططاتهم في بلاد المسلمين. إن الحياة الامنة من الخوف هي من نعم الله العظيمة وهي مناط الحرية إذ لا حيرة مع الخوف وصدق الله العظيم حين منّ على عباده بتحريرهم من الخوف في قوله تعالى: "وآمنهم من خوف".

العقلية الإسلامية بين الواقع والخيال

يرتبط العلم " الطبيعيّ" □ إن صح التعبير □ في الفكر الإنسانيّ على وجه العموم، وفي الفكر الإسلامي على وجه الخصوص، بالواقعية التجريبية التي تبحث في الموجودات من حيث نشأتها وتطورها في مراحل الحياة، وما ينبني على ذلك من استنباط نظريّ لقواعد تحكم الواقع العمليّ، سواء في الناحية الإنسانية كعلم الاجتماع، أو الناحية الطبيعية كالرياضيات، أو من استخراج نتائج عملية تُسفر عن استخدام للموجودات بطريق أكثر فائدة لبني الإنسان كما في علم البصريات وما تبعه من تصنيع العدسات المقرّبة وخلافها. وقد أذكى هذا المنحى في البحث العلميّ لدى الباحثين المسلمين ما قرره القرآن الكريم من الحث على النظر في الآفاق الكونية وفي الآفاق الذاتية على السواء، قال تعالى:"سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق" فصلت 53. وقال تعالى"قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق" العنكبوت 20. فالواقية العلمية قد دفعت وقادت الباحثين المسلمين على مر العصور لأن ينحوا ذلك المنحى التجريبيّ، وهو ما أملاه عليهم دينهم من رفض للخرافات والأساطير التي شاعت في "الميثولوجيا" الخاصة بشعوب أخرى كاليونان.

إلا أن تلك الواقعية تحتاج إلى قليل من الخيال المبدع، كما يحتاج الطعام إلى القليل من الملح. فالحياة في الواقع ودراسة الواقع والشغل بالواقع أمرٌ محمود، إلا أن ذلك لا يمنع، بل إنه يستدعي، إذكاء الواقع بالخيال الذي يستنفر

من الإنسان طاقاته الدفينة ويستشف ما وراء إمكاناته الظاهرة ليرسم طرقا جديدة في خياله المبدع توطئة لنقل هذا الخيال إلى حيز الواقع وحدود التنفيذ والإمكان. بهذا الخيال ارتقت الحضارة الغربية واستشرفت آفاقا في الكون والحياة لم تكن - في واقعها المجرد لتظن أنها ترقـي إليها، فصعدت إلى القمر بخيال كتابها العلميين قبل أن تطأه بقدمها وغاصت في لُـجِيّ البحار دون أن تفارق شواطئه، وساير الواقعُ الخيالَ فكان التقدم في كل مجال تابعا لخيال أمثال "جول فيرن" و "ه.ج.ويلز".

والعجب كل العجب من العرب، الذين عُرِفَ عن كتّابهم وشعرائهم الخيالَ البديع والقدرةَ على التصورِ الشفافِ مما لم يُعرف لغيرهم من كُتّابِ الأمم، العجب وهم حين حان استنفار ذلك الخيال ليصفوا الكون والحياة وصفا يستنفر الطاقات العلمية ويشحذها، إذا هم يعيشون نوع آخر من الخيال؛ خيال أقرب إلى المخدر العقلي الذي ينبش صاحبه صفحات الماضي لا ليتخذ منه زادا ووقودا للحاضر، بل ليجعل ماضيه مسرحا لخياله يعيد فيه أمجاده كما كانت يوم أن كانت دون أن يتكلف عناء إحياء الحاضر بالعلم والعمل، فعاشوا واقعهم في خيالهم، وباعوا مجد حاضرهم بخيال ماضيهم، وما أتعسه من خيال!.

والمسلمون اليوم، إذ لم يستفيدوا بما دل عليه القرآن من حث على الواقعية العلمية ولا ما سمح به الدين من خيال مبدع، مطالبون بإعادة النظر في منظومة الحياة والكون بعين الواقع المشهود والخيال اللامحدود ليلحقوا بركب الحضارة ثم يتجاوزوها إلى مركز القيادة ومكان الصدارة من قافلة البشرية كما أراد لهم خالقها.

الحقيقة المغيّبة

أثناء مقابلة أجرتها التليفزيونية الشهيرة كريستيانا مانبور، الموالية للعنصرية الصليبية، ، لحساب سى إن إن، يوم السبت الماضى مع عدد من البريطانيين في الشارع البريطاني عقب أحداث التفجيرات اللندنية الأخيرة، وأثناء حديثها مع أحد البريطانيين تقدم منها مواطن بريطاني "أبيض" وتدخل بشكل فجائي في الحوار صارخاً فيها: "يجب أن تتحدثي بالحق، قولي لماذا حدثت هذه الهجمات، إنه الغزو في العراق، لابد وأنّ 50 عراقيا قتلوا اليوم في العراق بسببنا!"، وأُسقط في يد الصحفية ولم تجد ما تقول فحاولت التخلص بأن قالت :"هؤلاء هم المواطنون البريطانيون، على إختلاف آرائهم..."، كلّ هذا مسجّل على الهواء

لقد بدأ مواطنوا الدول الغازية المعتدية، أمريكا وبريطانيا يدركون أن الأمر ليس كما يحاول زعماؤهم خداعهم به من التبريرات الفاسدة غير المنطقية، وقد ظهر توني بلير على التلفاز يخدع الناس بقوله أن هذا العدوان هو عدوان على كل الأمم لا على بريطانيا! وأن هذا لن يثني البريطانيين عن عزيمتهم في الحفاظ على "أسلوب حياتهم الخاص" الذي إرتضوه لأنفسهم!

عجبا يا بلير! ثم عجبا! إن هذا الهجوم تم على بريطانيا وحدها ولم يقع في الدانمرك أو هولندا أو كندا أوغيرهم من الأمم! والتبرير بسيط، أن هذه الدول لا تشارك في الغزو الصليبي الذي تقوده أمريكا وبريطانيا على أرض الإسلام، وهو تكتيك رخيص يهدف إلى توزيع المسؤلية على الغير حتى تشعر بقية الدول بأنها ضحية كذلك.

ثم من الذي قال أن أحدا يريد أن " يثني البريطانيين عن عزيمتهم في الحفاظ على "أسلوب حياتهم الخاص" الذي إرتضوه لأنفسهم"؟ إن أحدا لا يهتم بطريقة حياة هذه الأمم فهم أحرار في الطريقة التي يرونها ملائمة لهم، سواء كان ذلك في إباحتهم للشذوذ الجنسي أو إشاعة الفواحش وتقنينها، ذلك أمر لا يعنى المسلمين في قليل ولا كثير، وإنما هو تكتيك رخيص يلقى في روع رجل الشارع البريطاني الخوف والهلع من المسلمين الذين يريدون أن يفرضوا سيطرتهم على أسلوب الحياة في الغرب!

ولكن إن كان غزو بلاد المسلمين هو مما يعتبره الصليبي بلير من "اسلوب حياتهم" فإن ذلك إذن هو من شأن المسلمين، وهو إذن مما يجب علي المسلمين تغييره بكافة الوسائل المتاحة لهم.

وهذا هو بالضبط ما عناه المواطن البريطتني الذي إعترض الصحفية الصليبية. إن على المسلمين اليوم أن يبذلوا قصارى جهدهم في العمل على بيان حقائق الأمور لرجل الشارع، فإن أكثرهم لا يعلمون شيئا عما يدور حولهم، وهم أسارى لما تبثّه وسائل الإعلام الموالية للصهاينة والصليبية من سموم يجرّعونها مواطنيهم ليل نهار. ويكفى أن تعلم أن 15% من الأمريكيين يحوزون جواز سفر، فهي امة أمية سياسياً وإن ظهر غير ذلك، وهذا لا يقتصر على العوام بل يتخطاه إلى كثير ممن هم في مناصب عليا، ولا أشك البتة في أن أي سائق سيارة أجرة في القاهرة أدرى بمعالم السياسة العالمية أكثر من كوفي عنان!

المخاض السياسيّ! الفائز والخاسرون

كان الله في عون مصر وفي عون أبناء مصر في هذه الفترة العصيبة التي تمر بها وبهم. فإنه بعد عدة ساعات ستبدأ عملية يعجز اللسان عن توصيفها توصيفا صحيحا مطابقا للواقع، فإنه من المفترض أن تكون عملية إنتخابات حرة بين عدة مرشحين مؤهلين سياسيا وقوميا لقيادة هذا البلد العريق في هذه المرحلة التي لا نعرف لها نظيرا في عصرنا الحاضر على اقل تقدير. ولكن حقيقة الأمر تنبؤ أنها ستكون كل شيئ إلا ما وصفنا!

فإن المعارك الإنتخابية كما تعرفها نظم الحكم الحديثة لا يمكن معرفة نتيجتها سلفا، وهي ليست الحالة التي هي قيد البحث! فالفائز معروف سلفاً، وغالب أهل البلد يعرفون ذلك بما فيهم منافسوه! ولا أعرف لمعركة إنتخابية مثل هذه إسما!

ثم هي ليست حرة، فإنها اولا محددة النتيجة سلفا، وهو أمر لا ينبئ عن حرية إلا إن كان المرشح المتوقع فوزه لا يقارن في عبقريته السياسية أو إخلاصه أو تفانيه في حب بلده بأحد من منافسيه، ومرة أخرى، هي ليست الحالة التي هي قيد البحث! فالفائز معروف سلفاً، فإن هذا النظام لم يعرف عنه إلا الخداع والتلاعب والإثراء على حساب الشعب المستضعف.

أما عن التأهيل السياسيّ فإن المرشح الرئيس! أكثر المرشحين خبرة إذا اعتبرنا الخبرة السياسية بطول مدة البقاء في صدارة الصحف وساعات الظهور على شاشات التلفاز! ولكن والحق يقال أن منافسه الرئيس (كذلك) لا أدرى من أين ظهر فجأة على سطح الواقع السياسي المصرى، ما هي خلفيته السياسية؟ ما هي أجندة عمله؟ ما هي القوى التي تمكنت من إعطائه هذه الدفعة الهائلة لينافس المرشح "الرئيس"؟ أهو "كرزاي" أو "علاوى" تم تجنيده لمصر الحديثة

المأمركة؟ أم هو حرّ محب للشعب ولأبنائه؟ ما هي ايديولوجيته تجاه بلد إسلامي الهوية والتاريخ والتقاليد؟ ما هو مفهوم الحرية في قاموس "أيمن"؟ وأنا شخصيا، ولا أعبر إلا عن نفسي، لا أثق كثيرا بتلك الشخصيات التي تظهر على السطح فجأة دون تاريخ سياسي يؤهل لمثل هذا المنصب؟ وهذا لا يعني بالطبع أن المرشح "الرئيس" أفضل أو أولى بالمنصب، فإن امتشاق السلطة على أكتاف الجيش والبوليس لا يقل خيانة عن امتشاقها على أيدى الأمريكان. لها الله بلد الكنانة!

ثم، هل سيتم هذا المخاض ويفوز الفائز "أو يفوز الخاسر"، ثم تعود الحياة الطبيعية، أو أجدر أن أقول "غير الطبيعية" إلى سابق عهدها، يسرق من يسرق ويبيع مصر من يبيعها ويخونها من يخونها دون محاسبة أو رقابة؟ أم سيكون هناك من تدفعه وطنيته أو دينه أو عملاؤه "كلّ حسب دوافعه" إلى أن لا يسكت ويمرر التزوير مرة خامسة لعل الله أن يحدث بعد ذلك أمرا؟ لا ندرى.

كل ما يمكن أن نقول أنه لو كانت هناك بقية حس أو ضمير عند أي من هؤلاء اللاعبين والتلاعبين أن يتقوا الله ربهم في أبناء هذاالبلد الذين استنفذوا في السنوات الخمسين الماضية أسوأ ما يكون الإستنزاف، فحسبهم ما نزل بساحتهم.

مهما كانت النتيجة ولصالح من طبّ الميزان، فإنني أدعو من له في الأمر يدّ أن لا يعرض هذا البلد لأهوال التفرقة والتحطيم والخراب فحسبنا ما نحن فيه من خراب طوال "عهود الحرية" السالفة...

التعددية السياسية والهوية الواحدة

لا شك أنّ ظاهرة تعدد الأحزاب والتجمعات والحركات التي انفتح بابها منذ عهد قريب هي نتيجة كبت طويل وورم متأصل في جسد الأمة وعقلها الواعي وقلبها النابض، جعلها تئن بهذه النبضات الصارخة المتمثلة في التظاهرات وإنشاء هذه الكيانات. وهي ظاهرة صحية "في جملتها" إذ إن التعددية السياسية تعنى صحة الجسد ويقظة العقل وصحوة الروح وما يتبع ذلك من تعدد البرامج الإصلاحية والمذاهب التطبيقية في كافة مجالات الحياة مما ينشأ عنه إختيار الأفضل وتقديم الأولى.

والأمر الذى لا نقاش فيه ولا يحتمل المراجعة أو تعدد الآراء هو أنّ تلك الساحة التي توشك أن تعجّ بهذه التجمعات، لا يجب أن تعكس تعدداً في الأيديولوجية العامة أو في الإتجاهات الكليّة لتلك الأحزاب والتجمعات والحركات، إذ يجب أن تكون كلها ممثِلة لهوية الشعب المصري المسلم وما يحمل ذلك من إلتزامات تجاه دينه ووطنه وأهله – مسلمين وغير مسلمين - فكرياً وإقتصادياً وإجتماعياً. هذا أمر أدعو الله سبحانه أن يكون مجمَعاً عليه من كافة أعلام هذه التجمعات والحركات والأحزاب. فإنه لا يحق البتّة لأى فرد كان أو أي تجمع أو حركة أو حزب أن يكون برنامجه مناهضاً لتلك الهوية بأن يدعو إلى قومية جاهلية – مع إعتزازنا بالوطن والأهل – ولا إلى لا دينية "علمانية" - مع حرصنا على مواطنينا من المنصفين من أهل الكتاب وغيرهم – ولا إلى إصلاحية غربية متفرنجة منسلخة عن هويتنا – مع ترحيبنا بالإنجازات العلمية الحضارية – ولا غير ذلك من دعوات تحمل شعارات الإصلاح ظاهراً وجراثيم الخراب والتعفن باطنا.

ليس من حقّ أي حزب أو تجمع أو حركة أن ينتهز فرصة هذه الموجة من الإنفراج النسبي في التعبير والتحرك فيعمل على مزج هوية هذا الشعب بما هو غريب متغرب أو لا ديني ملحد أو جاهلي منتن "كما وسمها رسول الله

صلى الله عليه وسلم في حديثه عن الدعوة إلى التحزب القومي، قال عليه الصلاة السلام: دعوها فإنها منتنة". لا يصح أن يعبث أحد بمقدرات هذه الأمة التي عاشت قرونا في ظل الإسلام حضارة وعلماً وعادات وتقاليد فأصبح لها كالدم في العروق أو الروح في الجسد. كما أنه لا يحق لأحد، وإن كان ممن يحمل شعاراً إسلامياً ويندرج تحت لواء حزب إسلامي، أن يسعى لتحقيق نجاح سياسي أو كسب برلماني على حساب مقررات ثابتة في دين الأمة ووعيها. الحذر الحذر من هذه المطبّات السياسية فإن نتيجتها مريرة، ولن يقدر أحد على أن يخدع الله سبحانه.

وإني لأدعو كل من دفعه حب وطننا وأهلنا أن يخلص التوجّه لله سبحانه وأن يجعل نصب عينيه الصراط المستقيم الذي يجب علينا إتباعه، كما قال تعالى: "*وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله*" إن أراد أن يكون برنامجه السياسي مقبولا عند الله والناس، وأن يترك السبل التي لا رصيد لها عند الله والناس فإن هذا كمن يسحب من بنك لا رصيد له فيه، فسينفق وقتا وجهدا ومالا ثم يكون عليه حسرات، والشعب المصري يعرف ما يريد ويتربص لمن يحاول أن يسلبه هويته التي هي أعز ما يملك، وقد بدأ بالفعل في التكشير عن أنيابه لا رضاً وارتياحاً! ورحم الله المتنبى إذ يقول:

إذا رأيت نيوب الليثِ بارزةً　　　　فلا تظنّن أن الليثَ يبتسمُ

الحرية المخصخصة!

كذب من إدعى أن لا حرية في مصر، كذب وجهل معنى الحرية وحدودها، فإن مصر تتمتع بحرية واسعة لا تعرفها بلد آخر على سطح الأرض، إلا أنها، يا سادة، حرية من نوع خاص، حرية يتمتع بها أعضاء حزب النظام وأذناب النظام و"براطيش" النظام، حرية لا تعرف حدودا ولا قيودا، إذ أنهم أحرار في أن يلفقوا ما يريدون من التهم، ويعتقلوا من يريدون من العوام، ويسرقون وينهبون ويتلاعبون بمصائر الناس بل ويتعدون على شرفهم وعرض بناتهم، ويمنعونهم من الحياة الكريمة اللائقة التي لا يستحقها إلا من يتمتع بهذه الحرية من طبقة "المخصوصين".

وهذا أمر طبيعي يا سادة، إذ قد غاب عن عقول المصريين الذين يهرفون بأن لا حرية في مصر، أن الحرية سلعة غالية نادرة، فهل رأيتم بلدا في العالم يتمتع أهله بكل غال وثمين! عجبت لكم يا سادة، إن سلعة الحرية هي من نصيب من يستحقونها من أتباع النظام وأذناب النظام وبراطيش النظام، لأنهم هم الذين دقوا الطبول اعوام وأعوام لآلهة النظام ولا يزالون، وهم من ثمّ يدافعون عن حقهم في الحرية، فمالكم تطالبون بما لا تستحقون! أقرعتم طبول الوفاء والفداء للآلهة القابعة على صدور الشعب عقود وعقود لا تريم؟ أاصدرتم فتاوى تبررون بها الخدع والتحايل كما فعل أذناب من الأذناب؟ أأصدرتم أوامر بإعتقال أو تشريد أو إغلاق صحف أو احزاب أو قتل أبرياء في التحقيق.. أو غير ذلك مما يؤهلكم لهذه الحرية المخصوصة؟ عجبت لكم يا سادة؟

الحرية يا سادة، في بلادنا، ليست كالماء والهواء، أو كما هي في أرجاء أخرى من العالم، أو كما كانت على عهد أفاضل البشر، صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذين ذكّروا عمر (وما أدراك ما عمر) بأنهم له بالمرصاد إن تجافى عن الحق، هذا اللون من الحرية يا سادة ليس من حق الإنسان المصرى الذي وصفه سادة مصر بالجهل والتخلف، وكيف نفعل بالحرية ونحن العبيد لا نعرف حدودها ومعناها؟ كيف يتمتع بها من لم يمارسها سنينا طوالا؟

ولماذا تكون من نصيب الإنسان العادي، أن يتحدث بما يشاء ويعبر عن رأيه بلا خوف ويكشف التزييف والخيانة قبل أن تستفحل، ويكون الصغير عونا للكبير والكبير درعا وحماية للصغير؟ ماذا نريد من هذا اللون من الحرية، عجبت لكم يا سادة!

دعونا نلهج بالحرية المخصوصة ونبارك من باركها وندعو الله أن نفهم عن أصحابها ما هم فاعليه في هذه البلد وابناء البلد الذين لا حق لهم في حرية خاصة ولا عامة.

تيسير علّوني .. صبراً

صدر أمس حكم المحكمة الأسبانية على الأخ الصحفي تيسير علّوني بالسجن سبع سنوات... بعد سلسلة من الإحتجازات والإعتقالات التي هددت صحته من قبل. وتيسير ليس غريبا على أي منا، إذ كانت كلماته وتقاريره خلال الهجوم الصليبي على أفغانستان كالبلسم على أسماع المسلمين في أنحاء الأرض، ودخل تيسير من يومها قلوب المسلمين في كل مكان ... تلك كانت جريمته الحقيقية، لا ما أدين به من تهمة إجراء مقابلة مع أسامة بن لادن! إذ كم من الصحفيين العالميين إلتقى بن لادن، ومنهم من هم يعملون لحساب الشبكات العالمية مثل □□□□ وغيرها، ومنهم من يعمل لحساب صحف كبرى كالإندبندنت وغيرها، فلماذا تيسير؟ الجواب واضح ومباشر، لأن تيسير علّوني مسلم محبّ لدينه مخلص لوطنه الإسلامي ومتقن لعمله الصحفيّ. تلك هي جريرته الحقيقية، لا أنه التقي بن لادن أو غيره، فإن العمل الصحفيّ يستدعي تلك المقابلات، وإن التقاء بن لادن كان يعتبر سبقاً صحفياً كبيراً خطيراً، وكانت دور الصحف ووكالات الأنباء العالمية تتسابق على تدبير مثل هذا اللقاء ودفع الغالي والرخيص في سبيل أن تحظى بمثله، وتيسير لم يرتكب خطئا ولا جرما بل فعل ما كان يتمنى كل صحفي أن يفعله وقتها، أن يلتقي بذلك الرجل الذي روّجت وسائل الإعلام الغربية أنه المسؤول عن تدمير تلك البنايات في امريكا، وجاهر بعداء القوى العظمى الوحيدة على وجه الأرض. جريرة تيسير علّوني التي عاقبه عليها القضاء الصليبي الأسباني أنه مسلم، وأنه، لإخلاصه ومحبته لدينه وقومه والحق، قد تفوق على العملاء من الصحفيين، وأثبت للعالم أن المسلم قادر على أن يقدم المادة الصحفية الصادقة أفضل وأثبت مما يقدمه الغرب الذي يتباهى بتكنولوجيته ووسائله، التي تعوزها الروح لتكون إنباءا حقيقيا يمتزج بشخص الصحفي وفكره.

وما يؤلم ألم الحدث ذاته في هذا الصدد أنّ صحافتنا العربية كافة لم تعتني بهذا النبأ ولم تشحذ همم كتابها وصحفييها لإستنكار مثل هذا الإجرام والتعدى، وللدفاع عن هذا الحرّ السجين، ولم يعتنى أحد منهم بالكتابة عن علّوني لا من زاوية ما يمثله الحكم من مأساة للصحافة العربية خاصة والعالمية عامة، ولكن غيرة على أخ مسلم صادق قدّم للمسلمين، وللعالم رؤية صادقة للحرب الصليبية على أرض أفغانستان، وكشف ممارسات العدو الصليبي وأكاذيبه وجرائمه. وقد كنت أتوقع أن تمتلأ صحفنا بما يقيم الدنيا ولا يقعدها ويحرك الرأي العام العربي ويؤلبه ضد الظلم الأسباني الصليبي، فهذا أقل ما يقدمه أبناء المهنة الواحدة لزميل مسلم مخلص متقن.

كان الله في عون علّوني، وفي عون أهله وأبنائه، وكشف الله الغمة عن وسائل إعلامنا الرسمية وغير الرسمية فتقدّر الأولويات وتظهر الحق ليعرفه الناسن فإن حقا مخبوءاً ككنز مفقود يفتقر إلى من يكشفه.

<u>وما خفي كان أعظم!</u>

في أنباء أخيرة، وعلى شاشة قناة فوكس الأمريكية الشهيرة، تحدث جون لوفتس، خبير "الإرهاب"، قائلا أن الرجل الذي الصقت به تهمة التفجيرات الأخيرة في لندن، في 7 يوليو، هارون رشيد، كان معروفا للمخابرات الإنجليزية، بل كان مطلوبا ومطاردا، إلا أن القيادة العليا للمخابرات أمرت أن تكف الأيدى عن القبض عليه، وهو من مجموعة "المهاجرون" التي تكونت عقب خلال الحرب في كوسوفو، ومُوّلت *بشكل غير مباشر* من المخابرات الأمريكية والإنجليزية. ويكمل لوفتس أقواله بأن المخابرات الأمريكية والإنجليزية قد تركت هارون طليقا يترك لندن متى شاء رغم أن اسمه على لائحة المطلوبين، بل إنه توجه في عام 1999 إلى أوريجون، بالولايات المتحدة لإقامة معسكر تدريب، وأن المخابرات الأمريكية قد أمرت المدعى العام هناك أن يتركه حرا طليقاً**!**

ويبين الخبير أن الأخبار المتضاربة عنه تتحدث عن نفسها، إذ هو "اولا قد إختفى فجأة من لندن، ثم لا ندرى أين هو، ثم: الأخبار المتواترة أنه قد قتل، ثم: لا، لا، هو في أفريقيا، ثم: قد شاهده أحد رجال المخابرات البريطانية في أفريقيا، فهو إذن حيّ يرزق، ثم إذا هو قد توجه إلى لندن، ثم إذا هو يغادر لندن قبل عشية الإنفجارات، ثم: تم القبض عليه في باكستان، ثم، وياللعجب، أطلق سراحه بعد 24 ساعة**!** ثم هو توجه إلى زيمبابوى، ثم إلى زامبيا، ثم أبناء متضاربة عن أنه قد إعتقل لا، بل لا يزال طليقاً**!!!**"

يتعجب الرجل، ونتعجب معه، من هذه السياسة الملتوية، ما المقصود منها؟ وهل هذا نوع من الإنتهازية الخفية يستعمل فيها رجال المخابرات بعض هؤلاء الرجال، دون علم ولا إدراك منهم بهذه الوقيعة، لتنفيذ خططهم ليتمكنوا

من شنّ هذه الحرب الضارية على الإسلام والمسلمين بعد أن يمهدوا لهم سبل التنقل، بل والحماية، حتى يقوموا بتنفيذ هذه العمليات التي يستعملها الغرب في تبرير عدوانه؟

والأمر أن هؤلاء الذين يصفهم الخبير بأنهم عملاء مزدوجون، لا علاقة لهم حقيقة بالمخابرات ولا يعملون لحسابها بشكل مباشر، بل ولا يعرفون أنهم متروكون لسبب وهدف، بل هم مخلصون لهدفهم، دون علم بما يحاك حولهم من وسائل تكفل لهم عمل ما يخططون له إلى حين.

وهذه التقارير وأمثالها قد نشرت في صحف ووكالات أنباء عالمية بشكل فردي، إلا أنها لم تكن محل تركيز الصحافة والتليفزيون، إذ أنهما يتبعان السياسات الحكومية الرسمية الغربية كما هو الحال في بلادنا، حذو النعل بالنعل!

لماذا كانت العملية الأولى ناجحة إلى هذه الدرجة، ولم ينجو أحد من فاعليها، ثم تأتي الثانية ضعيفة مقلدة ويتم القبض على منفذيها في أيام معدودة! أيمكن أن تكون العملية الثانية هي التي نفذها بعض من ليس له عند المخابرات قيمة، وإنما حاولوا تقليد ما حدث فجاءت النسخة ضعيفة واهية؟

لا أحد يعلم الحقيقة، فإن الناظر في هذه الأحداث لا يرى دليلا واحدا يشهد بما يقال دون شك في صحته، بل بلا دليل على وجه الإطلاق، إلا ما تطلقه الصحافة العميلة وتنعق به حناجر المذيعين الصهاينة والصليبيين، بدءا بأحداث سبتمبر 11 وإنتهاء بتفجيرات لندن الفاشلة.

ولا شك أن هذه القراءة للأحداث التي قدمها الخبير الأمني الأمريكي، هي التفسير الوحيد لما حدث، بل هناك تفسيرات أخرى تتفق على أمر واحد، أن الحقيقة ليست ما نرى ونسمع، وأن ما خفي كان أعظم!

رياح التغيير وعواصف الواقع

قد يكون من الثوابت المسلمة في ايامنا هذه أنّ رياح التغيير قد هبّت منذرة بخلخلة تلك القواعد الهشة التى يقوم عليها بنيان الفساد والطغيان القائم على أرض مصر الغالية منذ عقود متطاولة، والتي جعل من أرض مصر منبتا للتخلف والفقر والجاهلية بكل ما تحمل من معنى، وجعلت من أبناء مصر أناسا لا يرون إلا لقمة العيش غرضا ولا غير السعي وراء ما يقيم الأود هدفا، وهم في هذا معذورون غير ملومين إلا بقدر تسامحهم مع هذا النظام الذي عصف بحياتهم وقيمهم وثرواتهم ومقدرات أبنائهم.

والتغيير أمر لا يجب أن نخشاه، رغم ما يحمل من عناصر المفاجأة واضطرابات الترقب والتوجس لما هو آت، إنما نريد حسن الإستعداد لهذا التغيير والتخطيط لما يأتي به حتى لا يستبدل طاغية بطاغية وفساد بفساد أشرّ وجاهلية متدسّرة فيها بقية من حياء بجاهلية سافرة لا حياء لها.

وحتى تكون هناك خطة لهذا التغيير، يجب أن تدرس عناصر الواقع والأطراف المشاركة فيه داخليا وخارجيا، نتلمس بهذا المخطط ملامح التغيير المرتقب، ونتعرف على ما عساه يبرز على الساحة المقلقلة المتنازع عليها، فإننا لا نسعى ولا نريد مجرد التغيير، أو "مطلق التغيير" ولكننا نسعى إلى "التغيير المطلق" الذي تعود فيه الأمور إلى نصابها، تعود القيم التي سادت في حياة الناس قرونا إلى الحياة، وتعود الكرامة إلى أبناء الشعب بطوائفه وأطيافه،

ويعود الحاكم محكوما بمن أثبته حاكما من ولاة أمر الأمة، ويعود المحكومون أوصياء على الحاكم إن أصاب شكروه وإن أخطأ قوّموه.

ومن أهم العناصر التي يجب أن يعتبرها المشارك في هذه العملية من الهدم والبناء هو الهوية المصرية الأصيلة ثم التركيبة الإجتماعية، وأطر القيم والمبادئ، ثم الأشكال السياسية التي تتمشى مع هذه العناصر كلها وتجعلها تعمل في صالح المجموع داخل نظام القيم ومن خلال تحقيق الهوية والمحافظة عليها.

هذه العناصر هي ما نحسبه أهم ما يتدارس المهتمون بأمر هذه الأمة وما هي مقبلة عليه حتى لا تمر رياح التغيير فإذا بالبنيان الفاسد المخلخل باق على قواعده، لم يتغير فيه إلا سكانه وشاغليه!

ثم لا ننسى أن هذه الرياح تهبّ ليس على أرض الكنانة فحسب، بل تهب على أرض المسلمين في كل أنحاء البسيطة، فنحن جزء من كلّ والواجب أن نتعرف على ما يحدث في بقية أنحاء العالم الإسلامي من تآمر النظم الحاكمة الخارجة عن الشرعية الإسلامية مع النظام الصهيوني الصليبي الحاكم في أمريكا والذي لم يسيطر على تلك البلاد إلا في غفلة من أهلها كما نحسب. وسنعود إلى هذه القضية مرة أخرى فيما يأتي إن شاء الله تعالى كما سنبحث في تلك العناصر متلمّسين أفضل الخطط لإستثمار تلك الرياح القادمة.

ثم نؤكد ما ألمحنا إليه من أنه مهما كانت هذه الرياح تحمل من المخاطر والقلاقل فهي أنفاس رقيقة حانية إلى جانب تلك العواصف التي عودّنا هذا النظام على أن نعيش في ظلّ هدّها وهديدها عقود متطاولة.

<u>تجاوزات النظام أم نظام التجاوزات</u>

قاعدة مقررة في أصول الفقه تقضى أن" للجمع قوة أكبر من مجموع أفراده" أي إن إجتماع أحداث كثيرة لها دلالة أكبر كثيرا من وقوعها متفرقة أو من وقوع حدث فذٍ منفرد كبير. وحيث قررنا ذلك فدعونا نتأمل تلك "التجاوزات" التي وقعت من النظام – واستغفر الله من قولة "النظام" إذ هو أقرب إلى اللا نظام منه إلى النظام – أقول إذا نظرنا في هذه "التجاوزات المتتالية نجدها تشكل برنامجا يبنى على قواعد الظلم والتنكيل و"استغفال الأمة" عوامها وخواصها والإستهتار بمبادئها وشرعها. ونظرة إلى هذه التجاوزات يثبت أنها ليست محض تجاوز منفرد.

التجاوز في حق الأمة بشأن إعتداءات الأقلية على حقّ المرأتين المسلمتين اللتين أجبرتا على الرجوع عن دينهما بعد اعتناقه. ثم التجاوز عن ضرب المعارضة والتعدى الجنسي على نساء في مسيرة سلمية، ثم التجاوز في قضايا يوسف والي وأمثاله من المخربين والحرص على حمايته، ثم التجاوز عن حق القانون ومقرارات المحاكم بشأن الكثير من المعتقلين بلا جريرة ولا سبب، أو من قضى مدته في الحبس وهو لا يزال محبوسا دون جريرة، ثم التجاوز عن قرارات المحاكم بشأن إيقاف صحف أو أحزاب دون وجه حق، ثم التجاوز في إعتقال الآلاف من أبناء الشعب ممن ينتمى إلى جماعة إسلامية ولو أنها جماعة تعلن البراءة من المواجهة وتنتهج منهج المصالحة مع الحكومة لا لجريرة إلا أنها تنتمى للإسلام وترفع شعاره، والتجاوز في قضايا ضرب الموقوفين أمام النيابة في التحقيق حتى الموت، والتجاوز في انتهاز حاجة الناس المضنية وشراء أصواتهم مقابل حبة "فياجرا" أو "ساندوتش

كباب"! ثم التجاوز عن حق الأمة المسلمة في أن يعبّر نظامها الحاكم حتى ولو بكلمات قليلة عن استيائه للإهانة التي تعرض لها كتاب الله من أولئك القردة والخنازير وعبد الطاغوت من جنود دولة الصهاينة الكبرى في أمريكا الشمالية، والتجاوز في وصف شعب مصر أنه شعب "خسيس لا يستحق إلا ما يجرى عليه"! ....

ولو ذهبنا نستطرد في التجاوزات التي حدثت في الآونة القليلة الماضية لشغلنا من هذه المجلة أعدادا واعداد ولكن فيما تقدم ما يكفى لإثبات ما ذهبنا إليه من ان هذا الأمر مخطط له ومدروس لا يحدث بعشوائية، ثم إنه يثبت عظم الجرم الذي يرتكب في حق شعبنا المصرى فالحكام بشر يخطئون ويصيبون، وليس مطلوب منهم الكمال، ولكن ان يكون الخطأ هو الأصل والتجنى والتعدى والتجاوز هو القاعدة – دون استثناءات! – فهو ما لا يرضى به أحد ممن يعرف حق الله وحق خلق الله اذين خلقهم الله أحرارا دون استعباد.

<u>بين العدل والإيثار</u>

لا شك أنّ حب الذات وإيثار النفس وتقديم المصلحة الشخصية على العامة هي مما غُرِس في نفس بني آدم منذ خلق الله الخلق، وليس أدلّ على ذلك من فعل ابني آدم، حين قتل أحدهما الآخر لتقديم مصلحته إذ تعارضت مع مصلحة أخيه ولو كان ذلك بغير الحقّ. ولهذا، ولأن الله سبحانه لا يكلّف إلا بما هو مستطاع، فقد أمر سبحانه بالعدل، ونهى عن الظلم، قال: "إن الله يأمر بالعدل والإحسان" فبيّن بهذا أنّ العدلَ هو عدم الظلم، وهو يعنى عدم التعدى على حق الآخرين، وفرّق سبحانه بين العدل وبين الإيثار الذي هو أن يقدّم المرء الغير على نفسه، بل جعل هذا الإيثار من أفعال المحسنين دون أن يكون من تكاليف الشريعة ولهذا جاء وصفا للفضلاء وليس أمراً من الأوامر، كما في قوله تعالى: "ويأثرون على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة". وفي الصحيح عن أبي هريرة: **أن رجلا من الأنصار نزل به ضيف فلم يكن عنده إلا قوته وقوت صبيانه , فقال لامرأته : نومي الصبية، وأطفئي السراج، وقربي للضيف ما عندك، فنزلت هذه الآية.**

إذا فإن الله سبحانه قد أمر المسلم بأن يقاوم تلك الغريزة الدفينة في النفس والتي لا تكاد تخلو منها نسمة على الأرض إلا من عصم الله من انبيائه ورسله، بأن يطبق معايير العدل أولا فإن نجح في هذا القدر فلا بأس من أن يعلو إلى أفق

الإيثار والتضحية، ولكن لايقبل منه دون العدل أو، إن شئت، دون الكفّ عن الظلم. ولا يحسبن أحد أن هذا أمر ميسور، فإنه لولا مشقته على النفس لما كان تكليفا، إذ التكليف يحمل معنى المشقة. وانظر إن شئت حولك بل وفي ذات نفسك، إن قدرت على ذلك، لترى مصداق ما نقول. ولكن عليك بالنصفة والتقوى إذ لا يمكن بغيرهما أن يدرك المرء عيب نفسه.

والعجب أن الظالم لا يظلم وهو يعلم أن ما يقوم به ظلم، أو أنه مجانب للعدل، بل غالبا ما ترى الظالم يتمحك بأعذار لا حصر لها يمليها عليه شيطان نفسه، كي يسهّل عليه أمر الظلم، إذ إن مخالفة الفطرة صعب شاق لابد له من غطاء ومن تزيين للمخالفة.

أنظر إن شئت إلى الزوج الذي يظلم أهله بإيذائهم أوسلبهم حقهم في ابداء الرأى أو المشورة في الأمر، ويزين لنفسه ذلك بأنه هو ربّ البيت ولا أحد له حقّ الحديث إلا هو! ويعلم الله أنّه وإن كانت الكلمة الأخيرة هي كلمة الرجل إلا أن هذا لا يعني تقييد حرية أهله في التعبير عما يجيش في صدورهن أو إبداء آرائهن.

ثم انظر يا رعاك الله إلى الشريك الذي يعطى نفسه حقّ البت في الأمور دون شريكه والذي يقتطع لنفسه من عملهما أكثر مما لشريكه بل قد ينكر على شريكه غالب حقه بدعوى أنه هو صاحب الخبرة أو صاحب الفكرة أو صاحب ما شئت من الأوصاف، ثم تراه يقلل من جهد شريكه ويضخّم من جهد نفسه في المقابل، فجهدُه يستحق أكثر من جهد شريكه ولو استطاع لسولت له نفسه أن ماله أفضل من مال شريكه! والنتيجة أنّ الرجل يتعدى على حق شريكه مع أن الله سبحانه أمره بأن يحفظ هذا الحق ويرعاه وإن كانت نسبته واحد إلى مائة، وليست آية "لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه" ببعيد عما نحن فيه.

ثم إنظر إلى الأخ الذي يتعدى على مال أخيه الموروث سواء قلّ أو كثر، فإن حبّ النفس يكبّر الصغير المحتقر من المال، فيجعل الأخ لا يرى أنّ ما يغتصبه من حقّ أخيه لعاعة لا تغنى من جوع ولكن النفس تجعلها ذات قيمة لما ركّب فيها من حبّ الإقتناء ولو ظلماً.

آن الأوان أن يعود المسلمون إلى رشدهم وأن يجعلوا العدل ميزانهم وأن يحرموا الظلم على أنفسهم كما حرمه الله سبحانه على نفسه، فإن أمة تفقد ميزان العدل لجديرة أن يخبو إشعاعها وأن ينطفأ سراجها بين الأمم.

<u>ظاهرة الإستئناس السياسي في حياتنا الصحفية</u>

قال لي صاحبي وهو يحاورني في دور الصحافي وحدوده: إن دور الصحافي المستقل الحرّ في أيامنا هذه هو محاولة صياغة رأي عام يضغط لصالح الحرية ومطاردة الفساد ومستقبل أفضل للأجيال القادمة والسبيل إلى ذلك هو نقل الأخبار بأمانة ودون تمييز، إلا إن هناك حسابات تفرضها الظروف يجب أن تراعي، مما يمنع أن يكون هناك توجّه عقدي أو سياسيّ محدد للصحافيّ قد يخلّ التلوّن به بسلامة العمل و سلامة القائمين عليه.

قلت لصاحبي: كلام طيب ومعقول في ظاهره، إلا إنه يعكس ظاهرة في العمل الصحافي نمت في بلادنا منذ عقود عدة يمكن أن نطلق عليها ظاهرة "الإستئناس السياسي"! بمعنى أن هناك حسابات عديدة تتدخل في عمل الصحافي فتجعله يستأنس فلا يفترق عن الصحافي المأجور إلا في "دخله الشهري"، منها ذلك العقد غير الرسمي بين الجهات "المعنيّة" وبين الصحافيون والكتاب الأحرار يحدد لهم خطوطا حمراء لا يتجاوزونها كالمساس بشخصيات معينة أو تحليل موضوعات محددة أو التعليق على أخبار بعينها، وطالما أن الكاتب أو الصحافي يعمل داخل هذه الدائرة فلا بأس عليه وعلى عمله الصحافي! ذلك هو القيد الأول.

ثم هناك حسابات أخرى تتعلق بالعامة وما يتقبلون من آراء وما يوافق مزاجهم من تصورات تكوّنت من واقع صحافة سيئة موجّهة أو جهل عام بحقيقة ما يجرى على أرض الواقع، فإن الصحافي إن عرض أخباراً تعارض ما استقر في عقول العامة بالباطل تعرّض لفسادِ عمله وازورارِ الناس عن كتابته أو صحيفته، وذلك هو القيد الثاني.

والحقّ، قلت لصاحبي، إنّ محصلة ذلك هو أن يتقيد الصحفيّ الحرّ بتلك القيود المفروضة ويسير وفق هذه الحسابات المدققة فيعرض أنصاف الحقائق، ثم لا يشفعها بما يبيّن طبيعتها من تحليل يضعها موضعها من التصور العام الحقيقي للواقع، بل يترك قارئها ذو العين البصيرة ليقوم بهذا الدور بنفسه دون تدخل من الصحافي حتى لا يخلّ هذا الأخير بتلك الحسابات المفروضة. ولكن الأمر الخطير هنا أن المرء يتعوّد ذكر شطر الحقيقة حتى تصبح بالنسبة له هي كامل الحقيقة فينحرف عن الحقّ إن عاجلا أو آجلا، والصحافي أو الكاتب كذلك، رجل يفترض أنّ له توجّه محدد سواء في العقيدة أو السياسة، وأن يتعود هذا الرجل أن ينحرف بقلمه عن بيان ما تعني تلك الأنباء التي تصنعها الأحداث فالأولى به أن يكسر قلمه، وأن يلزم داره وأن يطبق شفتاه كما عبّر شيخنا العلامة محمود شاكر من قبل، فإن المرء إما أن يقول خيرا أو ليصمت كما قال رسول الله صلة الله عليه وسلم. ثم إن مراعاة توجّهات العامة أمر لا يجب أن يدخل في حساب الكاتب أو الصحافي إلا فيما استقرت عليه الأعراف التي لا تخالف شرعا. أما عن تلك الآراء التي تنشأ بين الناس وتمثل خللا وانحرافا عن التصور السديد للواقع فهذا أمر لا يوافقه صحافي شريف وهو الدور الذي يجب أن تلعبه الصحافة الأمينة لتصحيح فكر العامة وتصوراتهم عن واقعهم ومن ثمّ مستقبل أجيالهم، إذ إن مهمة الكاتب أن يوجّه الجمهور لا أن يوجهه الجمهور، كما عبّر أحد الأصحاب.

ثم كيف يخلع الصحافي توجهه العقدي أو ميوله السياسية حين يكتب في صحيفة من الصحف، ثم يتدثر بهذه العقيدة وهذا التوجه حين يكتب في موضع آخر! أهكذا تملي الصحافة "الحرّة" على ممارسيها أن يبدوا ما في أنفسهم تارة ويخفوه تارات! وهل يساوى علو الذكر أو سعة الإنتشار أن يخلع المسلم رداء عقيدته مراعاة للحسابات، وكيف يفترق الصحافي الحرّ إذن عن عملاء السلطة إلا في أن العملاء فُطروا على ذلك وأنّ الشرفاء استؤنسوا لاحقاً! لا أعتقد أنّ هذا من خلق المسلم جملة واحدة، ومن هنا ذمّ السياسة من علمائنا من ذمّها.

قلت لصاحبي، نعم، لا أشك في أن هناك حسابات يجب مراعاتها، فنحن لا نعيش في عالم المثالية ولكن التحدي الذي يواجه الكاتب والصحافي المستقل الحر هو تحدي تلك الحسابات المفروضة والمغامرة وراء تلك الحدود المرسومة وأن يذكر دائما أن الحسابات التي لا يمكن مغالطتها هي حسابات أخرى من وراء هذه الحياة.

ذكرى الغزو الصليبي والصمت المُثْعَب

نقلت الصحف أنباء تلك التظاهرات التي عمّت أرجاء العالم شرقيه وغربيه في الذكرى الثالثة الغزر الصليبي للعراق، من بريطانيا، إلى الولايات المتحدة وايطاليا وسويسرا في الغرب وفي اليابان وكوريا واندونسيا وباكستان في الشرق. ونقلت التقارير كذلك أنه لم تخرج أية تظاهرات في البلاد العربية في تلك المناسبة!

ترى ما سبب الصمت العربي إزاء تلك المناسبة؟ هل ملّت الشعوب العربية الحديث عن هذا الأمر بله التحرك والتظاهر والخروج إلى الشوارع؟ أم أن هناك اسباب أخرى جعلت الشارع العربي يخلد إلى الصمت حيال تلك المناسبة التي لها ثقل الجبال حين توزن بميزان الأحداث الحالية في وطننا العربي؟

هناك عوامل مشتركة بين الشعوب العربية أدت إلىهذا الصمت حيال المناسبة، منها الشعور باليأس من التغيير لما رأوه من صمت حكوماتهم إزاء الأحداث الجارية صمتا لا يُقْرن إلا بصمت أصحاب القبور! وهو صمت غير مبرر إلا بالضعف إزاء الغطرسة الأمريكية والغوغائية البريطانية.

ثم إن هذه الشعوب لا ترى في العراق إلا صورة نفسها، مهددة بهذا الغزو عاجلا أو آجلا، ولا ترى شعب العراق إلا قطعة من نفسها فحين يقتل العراقي برصاص المحتل فإنما هو مصاب المصرى والسوري والفلسطيني والمغربي على السواء، فكيف يُعزّون والمصاب مصابهم والقتيل من فلذاتهم؟ فالمظاهرات التي خرجت بها جماهير البلاد الشرقية والغربية إنما يشعر بها أبناء تلك البلاد نحو من يعتبرونه غريبا عنهم، أما العرب، فالعراقيون هم أهلهم وعشيرتهم، و التظاهر عن بعد لا يقبل من الأهل والعشير، إنما التضحية بالنفس في أرض المعركة هو ما ينتظره الأهل والعشير

ثم إن المصائب المتتالية التي تتعرض لها العرب جعلتها تصاب بالدوار فلم تعد تدرى ما تفعل، كالمريض الذي تتوالى عليه الأمراض فلا يعرف من أيّها يألم أو يستصرخ، فلسطين المحتلة التي أطبقت الدولة اليهودية على أنفاسها وأوشكت على سلبها سبل الحياة، خاصة بعد فوز حركة حماس الإسلامية في أول تجربة ديموقراطية حقيقية في البلاد العربية، والسودان الذي يتعرض لإنتزاع الجنوب من جرّاء التدخل العنصري الصليبي، إلى الحملات التبشيرية التي تجتاح أرجاء البلاد والتي دفعت الجزائر مؤخرا إلى سنّ قانون يعاقب على الردة، إلى تلك المؤامرات المتواصلة التي تستهدف ثقافتها ودينها وتقاليدها من خلال تغيير مناهجها ومبادئها.

هذا، ثم إن كل بلد عربي له ما يشغله من مشكلات محلية ما لتخرّ منه الجبال، مصر وخيانات بيع القطاع العام، والمسرطنات الغذائية، وانفلونزا الطيور وغرق العبّارة وتأجيل الإنتخابات المحلية ... والقائمة لا نهاية لها، ثم لبنان ودوامة التدخلات الخارجية، ومثلهما بقية البلاد ولا فرق. أيُستغرب ممن هذا حاله أن يَذْهل عن التظاهر وأن يستغرق في محاولة فهم ما يحدث حوله؟

والشعوب العربية عريقة ذات حضارة لا تندثر، وهذا البعد الحضارى هو ما يمدها بقوة البقاء ويمهد لها سبل المقاومة ويقيم في حياتها معاييراً خاصة تواجه بها ذلك العدو الغاشم، وهذا الصمت المُتعب لا يعني الهزيمة بإذن الله ولكن يعني الترقب واستنهاض الهمة، وإن غدا لناظره قريب**!**

<u>الترابي: إسمُ على مُسمّى!</u>

أوردت العربية نت أنه "في إفتاءات جديدة مثيرة للجدل، في ندوة حضرها حشد من السياسيين وعلماء الدين في الخرطوم، أجاز الزعيم الإسلامي**!** السوداني الدكتور حسن الترابي زواج المرأة المسلمة من الرجل الكتابي "مسيحيا كان أو يهوديا"، قبل أن يصف أن القول بحرمة ذلك، "مجرد أقاويل وتخرصات وأوهام وتضليل" الهدف منها جر المرأة الى الوراء وقال الترابي بحسب صحيفة "الشرق الأوسط" اللندنية الأحد 9-4-2006 إن شهادة المرأة تساوي شهادة الرجل تماما وتوازيه بناء على هذا الأمر، بل أحيانا تكون أفضل منه، وأعلم وأقوى منه. ونفى ما يقال من أن شهادة امرأتين تساوي شهادة رجل واحد، وقال "ليس ذلك من الدين أو الإسلام، بل هو مجرد أوهام وأباطيل وتدليس أريد بها تغييب وسجن العقول في الأفكار الظلامية التي لا تمت للإسلام في شيء". واعتبر الترابي "الحجاب" للنساء، يعني الستار وهو الخمار لتغطية الصدر وجزء من محاسن المرأة، "ولا يعني تكميم النساء".!!!

وهذا الهراء الذي يهذي به الترابي ليس بغريب على من عرف ماضى الرجل وحقيقة عقائده التي إن خالت على العامة فإنها مفضوحة لمن رُزق العلم من أهل السنة والجماعة. والرجل يحمل جرثومة الإعتزال منذ أن تصدى للكتابة في هذه العقيدة، وعُبّئتْ آراؤه بهذه البدعة في كل ما شذّ به من آراء[18]، ولكن ما خرج به على الناس من هذا الهراء أنّ شهادة الرجل كشهادة المرأة سواء بسواء وأن للمرأة المسلمة أن تتزوج من مسيحي أو يهودي هو القشة التي قصمت ظهر البعير، فالرجل معروف بالتطاول على السنة ورفض صحيحها وإن ثبت في البخارى ومسلم، فإنه ليس لهذه المراجع إعتبار عنده على مذهب المعتزلة من ردّ الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لم يوافق عقولهم المريضة! لهذا فإنه لا معنى لمخاطبة مثل هذا المريض بما ثبت في صحيح البخاري " حدثنا بن أبي مريم أخبرنا محمد بن جعفر قال أخبرني زيد عن عياض بن عبد الله عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل قلن بلى قال فذلك من نقصان عقلها)." باب الشهادات، ولا معنى إذن أنّ نذكره بقول الله تعالى: "فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء" فإن مثل هذا الإنحراف الفكري لا علاج له.

ثم ما ذكره أن المرأة المسلمة لها أن تتزوج يهوديا أو نصرانيا! وابتداءا فإنّا ندعو الله سبحانه أن يكون هذا الشيخ غير الجليل صهرا ليهودي في القريب العاجل، لنرى ماذا يكون قوله عندها. ثم مرة أخرى لا نرى داعيا لأن نذكر هذا الشيخ غير الجليل بأن الرجل هو صاحب القوامة في عقد الزوجية وأن مآل ذلك أن يكون للكافرين على المؤمنين ء سبيل، ثم اي دين يكون عليه الأبناء يا شيخ السوء؟ ثم اين يعقد العقد، في الكنيسة أو المعبد؟ أخزى الله هذا الدعيّ المفسد.

ونحن نبرأ إلى الله من مثل هذه الدعوات التي تتزامن مع حملة الإفساد الصليبي في العالم الإسلامي ويتمحك مطلقوها في دعوات الإصلاح الهدامة لبث سمومهم في الجسد الإسلامي.

وليس العجب أن يخرج هذا الشيخ غير الجليل بمثل هذه الآراء، فإن تاريخه ملوث بهذه البدع، ولكن العجب أن يسكت عن هذا الهراء ممن يدّعون أنهم علماؤنا فلا ينهض منهم أحد له بالردّ، تحت دعوى عدم التفرق أو إحتمال الآراء الفقهية! وهو ما لا ينهض كمبرر لهذا الإغضاء الذي أصبح عادة علمائنا تجاه الهراء المتناثر على الساحة الإسلامية من كلّ دعيّ منحرف.

أما عن الترابي، فحديثه لا يعدو ما يدعى في قيمته التراب الذي يسير عليه، كما قلنا، إسم على مُسمّى..!

من هديّ النبوة - كفى بالمرء كذبا

عن حفص بن عاصم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:كفي بالمرء كذبا أن يحدّث بكل ما سمع." رواه مسلم، المقدمة 6 .

وقد صنّف هذا الحديث الشريف تحت موضوع ضرورة احتراز و تثبت المرء فيما يروي من حديث، إذ إن مسؤولية رواية الحديث جليلة خطيرة، فالحديث دين نتعبّد به، و هو المصدر الثاني للتشريع، وهو المبيّن للقرآن، وسرد كل ما سمع المرء منه دون أن يتثبت في الألفاظ التي سمع تجاوزٌ يجعله في درجة الكذاب، وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب عليه ووعد فاعله بمقعد في النار، فقد قال صلى الله عليه وسلم :"من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار" رواه البخاري، العلم 104، وفي رواية أخرى قال صلى الله عليه وسلم :من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" نفس المصدر، 105، وفي رواية لمسلم:"من تعمّد عليّ كذبا.."المقدمة4. وقد اشتهرت الرواية التي تنص علي التعمّد في الكذب، ولكن إعمالا لقاعدة "إعمال النص"، وقاعدة "الجمع بين أطراف

---

[18] **وقد اشرنا إلى هذا الخبث في كتابنا "المعتزلة" منذ أكثر من عشرين عاما**

الأدلّة" فإن القراءة الصحيحة للنصوص، مع ما حمل حديث "كفي بالمرء كذبا.." من معنى، أن في ذلك تحذير شـديد ووعيد مرعد لمن يتحدث بحديث رسـل الله صلى الله عليه وسلم دون التثبت الشـديد في الرواية، وإنما لم يكن مقام المتساهل مثل مقام المتعمّد في الرواية، وإن كان كاذبا كذلك في نفس الأمر، لأمرين، أولهما: إن "الأعمال بالنيّات"، وثانيهما: أن الروايات التي لا تحمل شـرط التعمد تعتبر مقيّدة بمقتضى قيـد التعمّد في الروايات الأخرى، فهي من قبيل المطلق والمقيّد، ولذلك أمكن حمل النصوص المطلقة عليها دون الحاجة إلى الانفراد بمعناها منفصلة.

ذلك، فالحديث متوجّه إلى عامة الخطاب بين الناس، في غير موضوع حديث رسـول الله صلى الله عليه وسلم بل فيما يطرأ لهم من كلام عام في شـئون الحياة والناس، وصـدق رسـول الله صلى الله عليه وسلم، فان الله قد وهب الناس نعمة العقل لينقّحـوا به ما يصل إلي الآذان وليحكّموه فيما ينطق به اللسـان، والنـاس، جلّ النـاس، يميـلون إلى بعض المبالغة أحيانا، والي الكثير منها أحيانا أخرى، حسب المناسبة وحسب المتكلم، فان ذهب المرء يحكي كلّ ما يسمع، كان، في غالب الأمر، حديثـه مخلوط بكذب ولا محـالة. فالناس، بحكم العادة، "يتوسـعون" في كثير من الأحيان، فيما يروون ويحكون، ورواية كل أقوالهم تجعل التوسـع العاديّ في الحديث كذبا، إذ صـار الكلام رواية تنقل وأحاديث تروى يبـني السـامع عليها مواقف وآراء، وهي، في بداية الأمر، ما كانت إلا قولا عابرا لم يسـمح قائله بنقله عنه، فصـار الراوي بذلك كاذبـا.

والله تعالى أعلـم

<u>من هَـديّ النُبُـوَة - أنت مع من أحببت</u>

عن أنس رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم **عن الساعة فقال: متى الساعة؟ قال: وماذا أعددتَ لها، قال: لا شئ إلاّ أَنّي أُحبُّ اللهَ ورسولَهُ** صلى الله عليه وسلم ، **فقال: أَنْتَ مع مَن أَحْبَبْتَ" البخاري، المناقب 3412.**

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمحبته صلى الله عليه وسلم هي طريق الجنة، ومحبته الصادقة لا تكون إلا بمتابعته، إذ المحب الصادق لا يخالف من يحب ولا يعصاه، ولا يفعل ما ينهاه عن فعله، لأن المحبُّ يعلم أن ذلك يورث المحبوب حزنا على مخالفته له، ودعوى المحبة لله ورسوله سهلة ميسورة إن كان دعوى ليس عليها دليل، يقول بن القيم رحمه الله :***"لمّا كثُـرَ المدعون للمحبة طُولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى فلو ُيعطى الناس بدعواهم لادعى الخليّ حرقة الشجيّ، فتنوّع المدّعون في الشهود فقيل لا تثبت هذه الدعوى إلا ببيّنة: قل إن كنتمُ تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله، فتأخر الخلق كلهم وثبت أتباع الرسول في أقواله وأفعاله وهديه وأخلاقه"***

زاد المعاد ج1ص59 .والمُكثِرون من الحديث عن محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم دون التزام بسنته وهديه إنما هم يخالفون مقتضى الفطرة السوية التي تملي أن يتبع المحب محبوبه لا أن يخالفه. وقديما قال الشاعر:

تعصى الإله وأنت تُظهر حُبه

هذا لَعَمْرِيَ في القياسِ بَديعُ

إنْ كان حبُك صادقا لأطَعتَهُ

إنّ المحبَ لمن يُحِبُ مُطيعُ

ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم هي في حد ذاتها ثوابُ لفاعلها، وإنما لا تصح ولا تكتمل إلا بالمتابعة كما ذكرنا، وكم من محبٍ للرسول صلى الله عليه وسلم ضل بالسير على غير هديه بما اخترع من بدع نسبها إليه صلى الله عليه وسلم .

كذلك، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أجاب السائل عن الساعة بما له فيه فائدة، فَعِلْمُ متى الساعة هو من علم الله سبحانه "قل علمها عند ربي في كتاب" طه 52، والإجابة جاءت بما هو قابل للعمل به لا مجرد علم نظري بحت، فإن العلم في الإسلام هو مفتاح للعمل، وقد كان الإمام مالك يقول:"لا أحب الكلام فيما ليس تحته عمل" يقصد الكثير مما شاع من السؤال عن مسائل لم تقع بعد (الأرأيتيات!) أو ليست مما يقع في حكم العادة، ولكن الأهم هو: وما أعددنا لها؟ أيّ والله ..ما أعددنا لها؟ والإعداد لها يبدأ بمحبة الله رسوله، وما يترتب على ذلك من صحة النية ومتابعة العمل. ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤنب السائل على سؤاله، وإن كان مما ليس عليه ردُّ، بل استتشرف من السائل رغبة في المعرفة وتشوفا للعلم فوجهه التوجيه الصحيح بأن صاغ السؤال في صيغة عملية، وقد كان من الممكن أن يرد صلى الله عليه وسلم السؤال بأن يقول: هذا ليس من شأنك أو لا علم لنا بها، وهو الرد الذي جاء به القرآن حين تعرّض للحديث عن الساعة في عدّة مواضع منه "قل إنما علمها عند الله" الأحزاب 63، لكن جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم مختلف عن جواب القرآن، ذلك أنّ القرآن يوجّه توجيها عامّا ويقرر أمورا أصولية في مجال العقيدة، وأمر الساعة في هذا المجال إلى الله سبحانه، وتوجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة هو من قبيل التوجيه الخاص والتربية، فهو قد بُعِث مُعَلِما، و"ما أعددنا لها" هو من قبيل التوجيه في المجال العمليّ سواء في مجال عمل القلب بمحبة الله ورسوله أو في عمل اللسان والجوارح بأداء الفرائض والكفّ عن المعاصيّ. فجواب القرآن يختلف في غرضه عن جواب السنة، كما رأينا، وكلاهما لازم للعقيدة والعمل الصالح وهذا البحث مجاله علم أصول الفقه. جعلنا الله من محبيه ومحبّي رسوله صلى الله عليه وسلم إنه سميع مجيب.

"..اعْدلوا هو أقربُ للتقوى"

أمرٌ اجتمعت الخلائق كلها على تحسينه والترغيب فيه، حتى من قبل ورود الشرائع أو في عهد الفترات، وإن اختلفت دلالاته من عصر إلى عصر ومن مكان إلى مكان، فهو مَعقِد آمال الناس أن يدركوه أو أن يدركوا منه ما استطاعوا؛ ألا وهو العدل.

والعدل سمة رئيسية ليس من سمات الإنسانية فحسب، بل ومن معطيات النضج الحضاريّ، فالحيوان لا يعرف العدل إلا كما تمليه عليه غرائزه، فإن شبع وقضى حاجة الجسد لنفسه، فهو العدل له. والإنسان السويّ يعرف من العدل معاني عديدة يستشفّها من التمعن في كتاب الله المشهود؛ الكون، وكتاب الله المقروء ؛ القرآن.

العدل سمة من سمات الكمال، يتصف بقدر منها الكبير والصغير، الحاكم والمحكوم، الرئيس والمرؤوس، الزوج والزوجة، الآباء والأبناء، الدائن والمدين، ثم ما شئت من الأصناف والأجناس، كلها يستشرف إلى العدل ويسعى إلي تحقيقه.

وكلمة العدل تحمل معنى المعادلة؛ أي أن يجازى الشئ بعدله أو ما يوازيه ويساويه؛ قال تعالى "أو كفارةٌ طعامُ مسكينَ أو *عَدْلُ* ذلك صياما" المائدة95، أي ما يكافئ إطعام المسكين، فمن قدّم خيرا فالعدل أن يرى عدله خيراً، ومن قدّم شراً فالعدل أن يكافأ بنظير فعله شرّاً، قال تعالى:"فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره" وهو مقتضى العدل المطلق الذي لا يقدر عليه إلا الله سبحانه.

الكبير يعدل بعطفه على الصغير وإنصافه فيما ولّي عليه فيه، والصغير يعدل باحترامه للكبير واتباع نصحه ورؤية الصواب في رأيه وحكمه، والحاكم يعدل في حكمه بمراعاة الله في أحكامه وبتطبيق الشريعة لا يحيد عنها إلي غيرها من شرائع البشر أو إلي شرع هواه، والمحكوم يعدل بإتباع الحاكم وعدم الخروج عليه طالما أقام الشرائع وحدّ الحدود. الرئيس يعدل بحسن التوجيه لمرؤوسيه وإعطائه الرعاية اللازمة والإمكانات الكافية لتحقيق المطلوب منه، و المرؤوس يؤديها بإعطاء العمل خلاصة فكره ووقته ليجيده كما ينبغي. الزوج يعدل بمراعاة حقوق زوجه في العمل على تأمين الحياة الكريمة لها ورعايتها بإعطائها الاهتمام الكافيّ والمودة القريبة. وعدل الزوجة بتقدير زوجها وتبجيله واحترامه، و تهيئة البيت كما يود أن يراه. فالعدل، إذا، أمر يستلزم جانبين يتعادلا ولا يصلح عدلا، ولا يقوم في الناس، إن كان من جانب واحد.

وكثير من الناس اليوم، ومن المسلمين من الناس، ومن الدعاة من المسلمين، ومن المخلصين من الدعاة، لا يعرف كيف يقيم العدل فيما يعرض له من أمور تتعلق بعلاقته بمن حوله من الناس ومن المسلمين ومن الدعاة. فهو إن تعرّض لما ظنّ أنه موقع به ضرراً كان سبّاقاً إلى الظلم متجاوزاً للعدل، ومبرره في ذلك المصلحة العامة**!!** فهو يرمي من يعتقده على خطأ بما لم يشهد عليه شهادة حق، وبما لم يتحقق من خطئه بما لا يدع للشك سبيلا قبل أن يقع في طعنه بما قد لا يستحق. أفلا يتق الله ربه، أفلا يعرف أن العدل شيمة من شيم الرسل، قال تعالى:"وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل"، وقال تعالى:"إن الله يأمر بالعدل والإحسان"، وقال تعالى:"ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا".

فاحرص على العدل تكن ممن سَعد بحسن الجزاء وبالبعد عن غواية الشيطان.

من هديّ النبوة - عليكم بسنتي

عن حُمَيد بن أبي حُمَيد الطّويل أنه سمِع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: جاء ثلاثةُ رَهْطٍ إلى بيوت أزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبيّ صلى الله عليه وسلم فلمّا أُخبروا كأنهم تَقَالّوها، فقالوا وأين نحن من النبيّ صلى الله عليه وسلم قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم، أمّا أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ولكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنّتي فليس منّي." رواه البخاريّ، في النكاح.

حديث جامع مانع تنطق ألفاظه بميراث النبوة المحمدية وبشرعة الإسلام الوسطية، فخشية الله سبحانه وتقواه لا ترتبط بكَمّ العبادة أو كَيفِها، وإنما هو الالتزام بما شرعه الله سبحانه وما بيّنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنته، فالأصل في العبادة الإتباع لا الابتداع، التوقيف لا التحريف، وقد قام هذا الدين على الوسطية والاعتدال، لا على الغلو والتطرف، والتقوى تكون بالتزام الشريعة كما أُنزلت دون زيادة أو نقصان، فحدّ العبادة أن نعبد الله وحده وأن نعبده بما شرع، فالحد الأول ينجي من الشرك، والحد الثاني ينجي من البدعة.

قال الصحابيّ: وماذا عليّ لو زدت بعض الأمور عما فُرض في الشريعة، أليس أفضل أن أبذل الجهد وأن أمارس الزهد في الدنيا لأتقرب إلى ربي؟ أليست الدنيا مشغلة عن الآخرة، ففيم إذن الرقاد وقد فغر الموتُ فاهُ للعباد؟ فلأصلي على الدوام ولأجافيّن المنام، وقال الآخر: فما لي أشبع البطن وهي قريبا إلى خواء، فلأصومن دهري عسى أن يغفر ذنبي، وقال الثالث: وما لي ألتمس لذة قصيرة في نكاح النساء واللذة ذاهبة والحساب باق، فلأعتزلن النساء طول عمري لعل في ذلك رضى ربي. والناظر في هذه الحجج التي زينت البدع يرى أنها نشتبه بالحق لمن لم يتقيّد بالشرع ولم يلجم النفس عن مزالق التطرف، فالزيادة في الدين، كالنقص فيه، كلاهما مخالف للشرع، ذكر الشاطبيّ في الاعتصام:"فإذا كل من منع نفسه من تناول ما أحل الله من غير عذر شرعيّ فهو خارج عن سنة النبيّ صلى الله عليه وسلم، والعامل بغير السنة تدينا، هو المبتدع بعينه" الاعتصام ج1 ص44، والشيطان يزيّن للناس أن الزيادة في التعبّد التي لم يأتي عليها دليل تُقَرِبُ من الله، وهو ما أثبته الشاطبيّ عن ابن العربي عن الزبير بن بكّار أن رجلا أراد أن يُحرم من المسجد النبويّ ويزيد أميالا عن الميقات الذي أحرم منه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأل الإمام مالك فقال: " لا تفعل، فإني أخشى عليك من الفتنة، فقال: وأي ففتنة! إنما هي أميال أزيدها؟ قال مالك: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصّر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم " الاعتصام ج1ص132 .
فالفتنة هي في البعد عن السنة، زيادة أو نقصاناً. وما ابتدعه الناس من أشكال العبادات غير المشروعة سواء في الذكر أو صيام النصف من شعبان أو غيرها من البدع إنما هي سبب في البعد عن الله لا في القرب منه، والأصل الاعتصام بالسنّة والعمل على وفقها لا في مخالفتها وإن ظهر ببادي الرأي أن في ذلك تقرّبا إلى الله سبحانه، فما تقرب عبدٌ إلى الله بأفضل مما فرضه عليه. والحديث عن البدعة والابتداع حديث طويل يستغرق صفحات تملأ كتبا، ولكن وجبت الإشارة هنا إلى أهمية هذا الحديث الجامع في تقرير ما نفعل وما نترك، والناس لم يتركوا سدىً دون هداية ليخترعوا عبادات وطرق يتقربون بها إلى الله، فالزم أخي المسلم طريق السنة تكن من الناجين المهتدين، وفر من البدع وطرقها فرارك من الأسد، فهي رائد الضالين إلى النار.

"فورب السماء والأرض إنه لحقّ ...." الذاريات 23

رَفْضْ الحق البيّن الواضح داءٌ يصيب الإنسان الذي تتلاعب بعقله الأهواء والأغراض، وتعصف به التقاليد والأعراف، لا يتبع فيه منطقاً ولا يستمع إلى دليل، بل هو ما نشأ فيه وترعرع لا يزحزحه عنه صدق أو يرده إلى صوابه بيان، فهو في ذلك كالأعمى الذي يرفض يداً ممدودة لتدله على الطريق، فلا هو أصاب الحق بنفسه ولا هو استفاد من الدليل، ظلمات بعضها فوق بعض.

والإنسان الضال يُزين له شيطان هواه كل طريق لرفض الحق مهما تهافتت الحجة وسَفُه الرأى. انظر ماذا زعم كفار قريش، ومايزال يزعم كفار العصر حتى يومنا هذا، في رسول الله صلى الله عليه وسلم! حُججاً لا تثبت أمام عقل أو منطق، وما زالوا يصدقونها ويرددونها، فسبحان الله فيمن عميت بصيرته فهو إلى الدواب أقرب منه إلى الناس.

قالوا هو ساحر، وسبحان الله، لو كان ساحراً يسحر المؤمنين، فلم لم يَسحِر غير المؤمنين، ومن أين جاءتهم الحصانة؟ بل قال تعالي: *"كذلك ما أتي الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون"* الذاريات 52

وقالوا هو شاعر، وسبحان الله، ليس كلام القرآن بشعر ولا قريب من الشعر، وقد عاش رسول الله سنوات عمره قبل البعثة، أربعون عاما، لم يقل فيها بيتا واحدا من الشعر أو نظم قطعة من النثر، قال تعالى: **"***قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون"* يونس 16

قالوا هو مجنون، وما اشبه اليوم بالبارحة، المؤمنون دائما هم الذين يصابون بجنّة والكافرون هم العقلاء المحصنون! فسبحان الله، والمجنون لا يقتصر جنونه على رفض ما لا أساس له مما اصطلحت عليه الأعراف البالية والتقاليد الموروثة، إن كان هذا جنوناً، بل يتعدى إلى حياته ونمطها وعلاقاته واشكالها، وما عرف أحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا كل اتزان ووضوح رؤية، قال تعالى: *"وما صاحبكم بمجنون"* التكوير 22

قالوا هو معَلَمّ، يعلمه رجل من العجم يعيش على أطراف المدينة، يعرف عن التاريخ وحكمة القدماء، فسبحان الله، كيف يتحدث رجلٌ أعجمي اللسان بمثل هذا القرآن الذي اعجزت بلاغته أعرب العرب! قال تعالى: "*ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر، لسان الذين يلحدون اليه أعجميّ وهذا لسانٌ عربيٌّ مبين*" النحل 103

قالوا إنما محمد عربي ليس من تلك الأمم المتحضرة في زمانها، فارس والروم، فماذا يعرف عربيٌّ عن الحق والحضارة وتاريخ الإنسان ومصيره، بل هو من أمّة أميّة يجب أن تتبع غيرها من الأمم المتحضرة لترسم لها طريق التقدم! فما اشبه اليوم بالبارحة! أليس هذا ما يزعمه كفار اليوم من أنهم إنما غزوا أرضنا وخرّبوا ديارنا ونهبوا ثرواتنا ليهدوننا إلى الحرية والديموقراطية! وإنما يجب أن نتبع سنن المجرمين أمثال بوش وعصابته لأنه "من القريتين"، الفرس والروم، قال تعالى: *"وقالوا لولا نُزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم"* الزخرف 31

قالوا هو رجل يريد الدنيا ويسعى للملك، وسبحان الله، أرسول الله يسعى للملك وهو الذي رفض دعوة قريش لتقاسم السلطة، قال تعالى: "......."

لا يظنن أحد أن الهجمة على الإسلام ورسول الإسلام جديدة، بل هي قديمة قدم دعوة الإسلام ذاتها منذ جاء بها رسل الله جميعا ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، وليخرجوا كذلك ضغائن من أغفل الله قلبه عن ذكره واتبع هوه

وتردى في الغي، وألبس الباطل رداءا الحق تمويها وتزييفاً "*ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون*" البقرة 42

" ..إلا من ظُلِم"

من أبشع الخُلُق الذي يبتلى به المسلم، بل الإنسان بشكل عام، أن يكون ممن يهون عليه ذكر الناس بالسوء ورميهم بالظلم، ووصمهم بإثم وعدوان، دون برهان قاطع أو دليل ساطع يتقي به عقاب الرحمن، يقول الله سبحانه في آي الذكر الحكيم:" لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظُلِم، وكان الله سميعاً عليماً" النساء 148. فالله سبحانه لا يحب هذا الفعل ولا يرتضيه، وهو يسمع قول القائل ويعلم قصده فيما يقول، فلا ينفعه في ذلك تستر ولا استخفاء.

ولرب قائل أن يقول: قد صرّحت الآية الكريمة باستثناء "من ظُلِم..، ويجعل هذا بابه إلى ذكر الغير بالسوء ما أراد له شيطانه، ولكن رويدك أخي المسلم، فإن ذلك استثناء بالا، وطبيعة الاستثناء أن يكون مما يندر حدوثه وإلا كان هو القاعدة وغيره الاستثناء! هذه واحدة، والأخرى، أنّ ذلك يكون فيما ثبت فيه حقٌ للمسلم، كأن ينكر عليه غيره حق الضيافة أو أن يماطله في دفع أجره إن كان من الأغنياء، أو أن ينكر على المرأة بقية صداقها إن استحق، وما شابه ذلك مما يكون فيه حقّ مغتصب ثبت بالشرع استحقاقه، عندها يجوز للمسلم أن يذكر ذلك عمّن ظلمه، فيقول: هذا الرجل ظَلَمَني بفعل كذا أو باغتصاب كذا□

ولكن أمر الناس اليوم أمر عجيب، فهم يستحلون ذكر غيرهم بصفات السوء ونعوت التحقير ما شاء لهم شيطانهم، ليس لحقّ ثبت بالشرع اغتصابه، وإنما لشبهة حقّ حينا، ومن غير شبهة في غالب الأحيان، وهو ما يؤدي إلى "الغيبة". فذاكر الناس بالسوء، إلا عن حق أبيح له فيه، مغتاب دخلت عليه شبهة أنه ممن "قد ظُلِم" ، فأبيح له ذكر الغير بالسوء، وكفى بذنب المغتاب رادعا، قال تعالى:"ولا يغتب بعضكم بعضا، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه" الحجرات 12.

فذِكر الناس بالسوء خُلُق مذموم مُحتَقَر يضع صاحبه في مكان وضيع بين الناس، إذ إنه يكشف عن سوء نفسه، فالمرء عادة يرى الناس بمرآة نفسه، إن كان ملتويا رأى الناس فيهم التواء، وإن كان خبيثا رأى في الناس خبثا، فهي عملية إسقاط نفسيّ يضع فيها الإنسان غيره موضع نفسه، ويرى عيوبه عيوبا لغيره، وقد قال الشاعر:

إذا ساءَ فِعلُ المرءِ ساءتْ ظنونه   وصدّق ما يعتادُه من توهمِ

وخدعة الشيطان إنما تتلبّس على المسلم حين يكون هناك تعاملٌ بينه وبين غيره، فإن رأى منه ما يرضاه كفّ عنه أذاه، ولم يذكره بشرّ، وإن حدث بينهما خلاف دفعه شيطانه إلى أن يسقط في عرض أخيه، وأن يصرح بالسوء فيه ويلمح به، حسب الموقف، وهو يبرر ذلك لنفسه بشتى الوسائل، فهو "ممن قد "ظُلِم" ، أو هو يريد أن يبيّن عورة أخيه لإعلام الناس بشره حتى لا يسقطون فيما سقط فيه، أو هو، في غالب الأحيان، مجرد مبتغٍ للحقّ بزعمه، يذكره

أينما كان!! فالحق هو ما دفعه إلى ذلك الموقف من ذكر الناس بالسوء!! فيا عجباً لحبائل الشيطان كيف تلتف حول أعناق المسلمين من الناس، والدعاة من المسلمين، والمخلصين من الدعاة في بعض الأحيان! فالشقاق هو مبدأ ذلك المنزلـق، وإدعاء الحق دون بيّنة هو مطيّته، والغيبة والفساد هما منتهاه وعاقبته.

أن يكون الإنسان هو الخصم والحكم، فهذا ما لا يُؤمن فيه عواقب الظلم وتجاوز العدل، فإن تعرّضت لما تراه ظلما أو إن شاء قَدَرُ الله أن يكون بينك وبين نفر من المسلمين، أو نفر من الدعاة، خصومة، فلا تكن عليهم حكماً، ولتحذر أن يخدعك الشيطان بذكر ما تراه من عوراتهم، تحت زعم أنها عورات لهم لا بأس من إظهارها، فأنت لا تعلم من أين يأتيك شيطانك، وعوراتك لعلها أكبر وأكثر، وأوّلها، إن فعلت ذلك، عورة ذكر الناس بالسوء والغيبة، وما أقبحها من عورة، ثم أي دعوة وأي عمل إسلاميّ يتراشق أفراده بالتهم ويتنابذوا بالألقاب، والعدل مستحيل الإدراك لمن هو خصمٌ وحكمٌ في ذات الوقت، فاتق الله ربك في نفسِك، واتبع قول الله تعالى في ضرورة العدل، وقوله في النهي عن الظلم، ولا تدع المتشابه مما استثني يُغطّي على ما أُحكم من طلب العدل وترك الظلم، واعلم أنك لن تعدل في حق من خاصمت، فالجأ لغيرك في التحكيم ودع غيرك يكشف عورات من خاصمت، فهو أبعد عن الظلم وأقوم للعدل وأقرب للتقوى.

من هَديِ النُبـوّة - شرف المرء ودينه

عن ابن كعب بن مالك الأنصاريّ عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما ذِئبَان جَائِعان أُرسِلا في غَنَمٍ بِأفسَدَ لها من حِرصِ المرءِ على المالِ والشرفِ لِدِينـه" رواه الترمذيّ في الذهد وصححه، وأحمد في مسند المكيين، والدارميّ في الرقاق.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهما أمران لا يزالا يفسدا على بني آدم أمره كلّه ودينه كلّه منذ هبط إلى الأرض وحمل التكليف؛ المال والشرف.. فحرص المرء على المال يمر بمرحلتين؛ مرحلة الجمع ثم مرحلة الخزن. والمرء يقطع كلّ وادٍ ويجتاز الفيافي ويضع يده في يد الأعادي للحصول على المال، فتجده يظلم ويكذب ويغش ويخدع كي يتحصّل عليه زعما منه أنه طريقٌ إلى السعادة والأمن والعزّ. ثم إنه حين يكنز منه ما شاء، يأبى إلاّ أنْ يخزّنه وكأنه سيصحبه إلى دار معاده، فتراه يحرص على التهرب من الصدقة ولا يغشى الأماكن التي فيها مظنة الإنفاق في سبيل الله، وهو يتحجج بشتى الحجج، ليتخفّف من عبئه، فتارة يتحجج بالعيال وثقل النفقة عليهم، وتارة بالخوف من ترك العمل والتعرّض للبطالة، وما شابه ذلك من أمور هي عادة من نسيج الحياة ومن ثوابتها التي لا تتغير، فإن خشي كل امرئ على ولده، ما أنفق منفق في سبيل الله، وإن حسب كل عامل حساب يوم أن يترك عمله أو يتركه عمله، لبطلت الصدقة من أصلها، وإنما الأمر أمر الإنفاق رغم خشية الإملاق، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خير الصدقة فقال "جهد المقلّ" النسائي، الزكاة، أي ما يخرجه صاحبه بجهد رغم احتياجه إليه، ,الكثير من الناس يرون أنفسهم من المقلّين وما هم منهم، وإنما هي حبائل الشيطان يبعدهم عن الثواب ويمنعهم من التقوى.

ثم الشرف، والمقصود به المقام والسلطة والمركز، وهو ثاني القواصم التي تقصم ظهر المسلم وتدفعه إلى أحضان الشيطان، فالإنسان يبحث عن الرفعة والمجد والذكر، وهو يفعل كل ما في حيلته ليصل إلى السيطرة والتحكم، السيطرة على الأنفس والأموال والأرض، فهو يقتل ويسرق وينتهك الأعراض ويغش ويكذب ويخدع ليصل إلى القمة، وهو يظن أن له في ذلك العزة، ولم يعلم المسكين أن السعادة في الحياة الدنيا لن تتحقق إلا بالخضوع لله سبحانه، العز والمنعة هما بالله وحده، والخذي والعار والمهانة هما لمن ابتغى العز من دون الله، قال تعالى:"الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا" النساء 139، "ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعا" يونس 65، فعزّة المنصب، إن لم تركن إلى التمسك بدين الله وشرعه، عزة موهومة، إستمدت قوتها من الشر والفساد، لا من الخير والصلاح، وهي عزة موقوتة يحدّها الزمان والمكان الدنيوي، والعزة الحقيقية تمتد إلى ما وراء الوجود الدنيوي إذ تتعلّق بما هو خالد وأبديّ.

المال والجاه، شركان نصبهما الشيطان لابن آدم يغرّه بهما عن دين الله وعن الجنة، ويخطئ المسلم حين يظن أن ذلك إنما يتوجه إلى غير المسلم، لا... بل المسلم مخاطب بهذا أصلا إذ الحديث متوجه إلى بني آدم كلهم، مسلمهم وكافرهم، فهم في هذا الأمر سواء، في الفطرة التي تدفع إلى الظلم والشر وتحسب أن المال والشرف مصدر

السعادة، والمسلم معرّض لتلك الفتنة أكثر من غيره إذ الشيطان مسلّط عليه أضعاف غيره، ولا يحسبن أنه بمأمن من هذه الشراك لأنه مسلم، بل أثبت الواقع والتاريخ خلاف ذلك، فليحذر المسلم قبل غيره شراك الشيطان وليحذر مخالب الذئبيين.

أفضل الرجـــال

في هذه الزمان العصيب، الذى كثر خلطُه وهَرَجه، يتساءل المخلصون من الناس: ما العمل، ماذا نفعل؟ ما هو طريقنا، وما هي أوصاف أفضل الرجال لنكون على ما هم عليه؟ وتأتي الإجابة من سنة نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام.

عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه قال: جاء أعرابيّ إلى النبي صلى الله عليه وسلم **فقال: يا رسول الله أي الناس خير؟ قال: رجل جاهد بنفسه وماله ورجل في شعبٍ من الشعابِ يعبد ربَه ويدع الناس من شره" البخاري، الرقائق 6013**

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهل خير الناس إلاّ أحد هذين الرجلين؛ رجل صدق ما عاهد الله عليه، فهو في سبيل الله بأيّ طريق هُيّـأ له، فتراه في حال السلم مجاهدا بماله، وهو ما يستلزم بطريق المفهوم أن له عملا وأن عمله يدر عليه مالاً قد أحسن استخدامه، فهو لم ينفقه كله على مستلزمات حياته، بل هو منفق في سبيل الله ما استطاع بعد أن يقوم بما أوجب الله عليه من نفقات أهله؛ هؤلاء أيتام فقدوا عائلهم فهو مُمِدّهم بما يسّر الله لـه ليحفظهم من عوادي الزمن وذلّ السؤال، وهذا أخ معسر فهو قائم في حاجته ، وهذا مسجد لله يُـبنى أو عمل من أعمال الدعوة للإسلام يُنشأ فهو منفق مما أعطاه الله ليتم البناء ويشيّد الصرح، وهذا طالب علم لا يقدر أن يتم دراسته الشرعية، فهو يتبرع بما يجده مناسبا ليتم لطالب العلم ما أراده، ثم إذا حمي الوطيس وقعقعت السيوف وتناحرت الرجال في المعترك وتميزت الصفوف بما لا يدع مجالا للشك، وأجمع العلماء المعتبرون على الدعوة للجهاد، فهو في أول الصفوف مجاهدا وفي مقدمة الجيوش رائدا، يدافع عن البيضة وينافح عن أرض الوطن، يتمنى على الله الشهادة لتكون تتويجاً لعمله في سبيل الله ولتكون هاديه إلى الجنة التي يسعى ليله ونهاره لتصبح محل إقامته في دار الجزاء.

ثم، رجل لم يجد من نفسه القدرة على مجالدة الناس ومخالطتهم، إذ إن مخالطة الناس يجب أن تكون بحق الله، فلابد فيها إذن من الصبر على الأذى ومن الحكمة في معالجة الأمور ومن بعد النظر وسعة الفهم والحلم ما يمكنه من أن يكون معينا للناس لا عالة عليهم، فهو لا يظلم أحدا و لا يجهل على أحدٍ، ولا يواقع نميمة ولا وشاية، ولا يقف على باب سلطان ولا يقترف كذبا ولا بهتانا، ذلك ثمن العبادة الحقّة حين يخالط الناس، وهل إلى كل ذلك من سبيل؟ إنما هو مقارف بعضها ولا محالة، والناس معانون من جرّاء مخالطته ولا محالة، فالخلوة إذن هي الملاذ له ليعبد ربه دون أن يقارف إثما أو يواقع ذنبا، وهو أعلم بشأن نفسه، فهو قد أفرغ قلبه من علائق الدنيا، وخرج عن مستلزماتها وتجرد من حاجاتها، وانزوى في مكان بعيد يعبد خالقه ويرجو السلامة من الناس وسلامة الناس منه.

يسأل الناس: أيّ الرجلين أفضل؟ ويجيبك رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول فيما رواه عنه ابن عمر رضى الله عنه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجرا من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم" ابن ماجة في الفتن وأحمد في مسند المكثرين، وفي كليهما خير بحسب قدرة كل منهما، وكلّ ميسر لما خلق له.

خطرات بين الألــم والأمـل في حـياتنا المعاصرة

لا يكاد يمر يوم من أيامنا هذه في أعوامنا هذه ، دون أن يطرق السمع خبر يتفطر له القلب وتتقطع منه الحشى ، أن قد احتُلت أرض وانتهُكت أعراض وسُلبت ثروات وقُتل نساء وأطفال تحت وابل الرصاص "الذي كان المقصود به غيرهم" ، وكأن قتل غيرهم مستباح لا غضاضة فيه! في هذه البقاع أو تلك من بلاد المسلمين ، والتي أصبحت أخبار الدنيا لا تحمل إلا أخبارهم دون سواهم . وحين تتزاحم الأحداث الأليمة على واقع الناس ذلك التزاحم الذي نعيشه في هذه المرحلة الحاضرة الحاسمة من تاريخنا ، فإن الخواطر تتزاحم كذلك في عقل معايشها وتتسارع حتى لا يكاد يجد بدأ من اخراجها إلى النور تباعا سراعا قبل أن تجور عليها غيرها من الخواطر فتطرحها جانبا ثم لا يكون لها نصيب إلا في طي النسيان . وهذه الخواطر التي أسجلها في السطور التالية ، هي ما جادت به القريحة ، على جفافها وعجفها في الآونة الأخيرة من الزمن لما تمر به أمتنا من محن ، بعد أن ازدحمت بها النفس واستعصت على السكون والكمون . وهي خواطر أحسب أنها مشتركة عامة بين من شغلته هموم الأمة وأدرك ما هي فيه من خطر ماحق .

حزبان لا ثالث لهما!

لعل أصدق ما خرج من حلق زعيم الهجمة الصليبية المعاصرة ، أنّ من ليس معهم فهو عليهم ، وبعبارة أخرى ، من لم يقف في صفهم فهو من أعدائهم . وهى كلمة حق قيلت لتكريس باطل. فإن الزمان قد استدار كما بدأ يوم أن بعث الله سبحانه محمداً ، وأوحى اليه فيما أوحى أن الناس فريقان، فريق في الجنة وفريق في السعير ، وأن الأحزاب حزبان ، حزب الله "ألا إن حزب الله هم المفلحون" (المجادلة 22) ، وحزب الشيطان "ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون" (المجادلة 19) . فالحق أن زعيم الهجمة الصليبية لم يأت بجديد لم يدلنا عليه رسول الله ﷺفيما أوحى به ربه سبحانه، وبما دلنا عليه في حياته وسيرته . فإن الناظر في سيرته ، يجد أنه بعد أن استقر به المقام في المدينة ، وأسس أول دولة للإسلام فيها فإن الناس في المدينة ومن حولها قد انقسموا غلى هذين الفريقين، ولا ثالث لهما ، إما أهل إيمان واتباع، وهم المهاجرين والأنصار ، وإما أهل كفر وضلال، وهم أصناف ، منهم من جاهر بالعداء ككفار مكة ، وكثير من الأعراب من حول المدينة ، أو من يهود الذين كانوا يعايشون رسول الله ﷺفي المدينة ،

ولم يخرجهم منها بادئ الأمر حتى استفحل شرهم وخانوا عهدهم ومالئوا المشركين على المسلمين ، وما هذا عليهم بجديد ، ومنهم من استخفى بالعداء وإن عرفهم رسول الله ﷺ ولكنه آثر أن يبقي عليهم لمصلحة الدعوة و"حتى لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه" . وهذا التمييز وهذا التعريف هو أمر فيه الخير كل الخير ، فإن إزالة القناع عمّن يتقنع ليلبّس على المسلمين دينهم هو أمر في غاية الضرر عليهم ، ومنهم من ليس له القدرة على صحة الحكم على الأشخاص أو الأحداث لضحالة علم أو لقلة فهم . والتمييز بين الحق والباطل ومعرفة الصحيح من الخبيث هو غرض من أغراض الشريعة قد نسيه أو تناساه الكثير من أتباع هذا الدين بل من دعاته ونصرائه ، يقول الله تعالى "ما كان الله ليذرالمؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب" (آل عمران 179) ، بل وكررنفس المعنى في سياق آخر في (الأنفال 37) ، كذلك قال تعالى: "ولتستبين سبيل المجرمين" (الأنعام 55) . فاستبانة طريق المجرمين ، وتمييز الخبيث من الطيب هو من أغراض الشريعة القطعية التى تتبين لمن وهبه الله عقلا راجحاً ونظراً في الشريعة فاحصاً يميز به ويستبين . فهذا الأمر إذن الذي دعا اليه زعيم الصليبية ليس أمرا سيئا بل هو أمر فيه خير لمن فهم عن الله سبحانه ووعى الدرس النبوي الشريف ، وفهم مقاصد الشريعة ، ثم تحلى بالإيمان ومُنح التوفيق والهداية ، وقليل ما هم "لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم" (النور 11) ، وقال تعالى "وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم" (البقرة 216) . وأحسب أن الأمر لم يبلغ مداه والتمحيص والتمييز لم يصل إلى غايته بعد، فإن أعداء هذا الدين لن يرضوا من أتباعه إلا أن يَدَعوه جملة وتفصيلا "ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم" ، وإنما هو استدراج الشيطان الذي يُـزلهم عن هدي الله خطوة خطوة حتى لا يجدوا أنفسهم إلا خارج هذا الدين مطرودين من رحمة الله جزاء وفاقا لعدم الثقة في كلامه سبحانه "وأملى لهم إن كيدي متين" . والأمل كل الأمل في أن يتحسب المؤمنون لما هو آت وليقبضوا على ما آتاهم الله بقوة فلا يفلتوه ، فهم إن افلتوه كان والله عليهم عار الحياة الدنيا وغرام العذاب في الآخرة .

وقـعة الأحـزاب العصـرية

حين تتأمل ما تأتى به الأخبار من حرص زعماء الصليبية المعاصرة على تكتيل الآلة العسكرية العالمية لخدمة أغراضها في القضاء على هذا الدين ، وترى حرصهم وأتباعهم على أن يشترك في هذا الأمر مقاتلة من كافة دول العالم ، حتى إننا سمعنا مؤخراً أن جزر فيجي ، التي لا تُرى بالعين المجردة على خريطة العالم ، قد أرسلت "بقوات" للمشاركة مع قوات "التحالف" ، حين نسمع هذه الأخبار لا يسعنا إلا أن نتذكر الواقع الذي عاشه رسول الله ﷺ وصحابته من المؤمنين الأوائل حين خرج زعماء اليهود في أواخر السنة الخامسة من الهجرة ، يحرضون قريشاً على المسلمين ويذكرونهم بما لقوا من هزائم على أيدي أتباع النبي وما فقدوا من هيبة وما تعرضت تجارتهم له من أخطار ، وما يجب عليهم من قتال المسلمين ليحافظوا على "ثقافتهم ويحموا طريقتهم المثلى في الحياة" ، تماما كما حذر فرعون قومه من أن يذهب موسى وهارون عليهما السلام "بطريقتهم المثلى" في الحياة ! وهو عين ما قاله زعيم الصليبية لقومه من أن هذا العدوان السافر على الإسلام والمسلمين لا يقصد به إلا الصلاح لهم وأن يحافظ على طريقتهم في الحياة "life defending the style of" فما أشبه اليوم بالبارحة ! إذن فتجمع الأحزاب للقضاء على هذا الدين هو أمر ليس بالجديد، بل هو قديم قدم هذا الدين نفسه ، إلا أن سؤالا يطرح نفسه في هذا السياق ، أنه إن كانت الأحزاب على عهد رسول الله ﷺ قد أجمعت أمرها لقتال المسلمين لما رأوا من اشتداد قوتهم وتغلغل خطرهم ، فما الذي دفع بأحزاب هذا العصر إلى أن يفعلوا فعلتهم التي فعلوا وأن يتمالئوا هذا التمالؤ على المسلمين شرقا وغرباً ؟ ما الذي أفزعهم هذا الفزع وأقامهم ثم لم يقعدهم ؟ لا يمكن أن يكون ذلك بسبب من الخوف من الأنظمة القائمة فهي كلها بلا استثناء منها ممالئ مستسلم منبطح ، ينتظر الأوامر صباح مساء من أسياده وصنّاع قراره. وأحسبه والله تعالى أعلم أن تلك الأحداث الذي نزلت بساحتهم في 11 سبتمبر قد وجهت أنظارهم إلى القوة الكامنة المستكنة التي يتمتع بها هذا الدين ، لا بسبب هذه الضربة ذاتها، فإنها ليست ضربة قاسمة بأي مقياس من المقاييس ، ثم إن جدواها هو أمر تتناطح فيه وجهات النظر بين مؤيد لها ومدين ، وما نحن بمن يدلى بدلو في هذا الأمر على كل حال ، ولكن قد كان من آثارها الجانبية أن وجّهت أنظار الأحزاب الجدد إلى ما يتمتع به هذا الدين

من قوى كامنة لا يعفّى عليها الزمن ولا تضيع مع توالى المحن ، وهو ما أفقدهم صوابهم وجعلهم يأتون بخيلهم ورجلهم يعسّون أولا عمن هو من أنصار هذا الدين وأوليائه عسّاً في هذا الخضم الهائل من الملايين المتلاطمة من منتسبيه ، فإن المحقق في الأحداث ومجرياتها يرى أن هذه الطغمة تسعى للقضاء على أفراد قبل أن تسعى وراء المجتمعات وإنها قد علمت ان الله يقيد لهذا الدين من يقيمه بأحرفه ومعالمه إلى أن تقوم الساعة ، وأن هؤلاء هم أفراد متميزون إن قضي عليهم لم يعد لهذه الملايين المتلاطمة من كيان أو قوة . أحسب أن هؤلاء قد رأوا قوة في الإسلام لم يتهيأ حتى للعاملين له من أبنائه أن يلحظوها من قبل ، وإدراك هذه القوة الكامنة والإيمان بها مصدر أمل وبصيص رجاء قد يهيأ لمخلصي هذه الأمة يتلمسون به المخرج بعون الله تعالى .

"تركت فيكم أمرين ..." رواه مالك

يعتصرني ألم ممض حين أرى الجبهات المتعددة التي يهاجم منها الإسلام في هذا العصر. فإن الجمع بين ما قدمناه في الفقرتين السابقتين، يظهر لنا أن الأحزاب لم تكن تعمل منفصلة لهدم عرى الإسلام ، بل إن قوى الهدم الداخلي كانت كذلك مما تسلط على المسلمين ممن في قلوبهم مرض ، وممن نافقوا . والفرق الظاهر اليوم أن النفاق لم يعد له محل في المعادلة ، بل هو إما كفر وإما إسلام ، وقوى الهدم الداخلي اليوم تتمثل فيمن أعرض عن سنة رسول الله ﷺوتعلق بالإسلام من خلال عقائد بدعية أو أعمال شركية أو أفكار استشراقية مستوردة فكان كلّا على الإسلام وعبئاً . وأمر البدعة ليس كما يظنه البعض أمر يتعلق بممارسة فردية للدين بشكل من الأشكال أو بمنهج أو طريقة من الطرق ، بل هو أخطر من ذلك بكثير إذ هو يضرب في كيان هذه الأمة من حيث يضرب في صحة اتباعها لسنة نبيها وكتاب ربها، وأين الفوز دونهما ؟ وكما أسلفنا فإن هذه الممارسات العملية أو الفكرية تتمثل في العديد من الطوائف أو الأفراد الذين ينصرون بدعة من البدع يحسبونها دينا يقيمونه وشرعا ينصّبونه .

- فمن هؤلاء من هم على عقيدة الإعتزال ، يقيمون لأنفسهم معهدا علمياً عالمياً ويتخذون مقره عاصمة الصليبية ، وينشرون منه كتبا وفتاوى تزلزل للمسلمين ثوابت عقائدهم وراسخات ملتهم تحت زعم احترام العقل "يعلم الله عقل من يقصدون!" ويروجون أفكار المعتزلة القديمة للنيل من الأحاديث الصحيحة الثابتة ليتمكنوا من ضرب السنة وثوابتها نصوصا ومنهاجاً .

- ومن هؤلاء من انطلت عليهم خدع المرجئة وضلالاتهم من أن العمل قدر زائد على الإيمان ، وأن التحاكم إلى غير شرع الله وإنشاء شرع مواز يرجع اليه الناس في أمور حياتهم ويتواضعوا على اتباعه دون تجريم للفعل أو تجريح للفاعل إنما أمر يدور في مجال المعصية كمن يشرب خمرا أو يلبس ذهباً! وألقوا في وجوه الناس بتهمة "التكفير" ليفتنوهم عما كان عليه سلفهم في مثل هذه القضايا ، وأعرضوا عن فتاوى كبراء المجتهدين من أمثال الدوسري وأحمد ومحمود شاكر والشيخ محمد بن إبراهيم رحمهم الله جميعا وغيرهم كثير في هذا الصدد. فكان أن شاعت المعصية وتفشّت ، واستبيحت الأعراض والدماء بلا رادع بعد ان استكانت العامة وخُدّرت .

- ومنهم من عمل على نشر الصوفية مدعيا أنها معنى الإحسان المقصود في حديث جبريل ، وأن علماء السنة الأكابر لم يفتأوا يشيدون "بالسادة الصوفية" وبطرقهم الراشدة التي تقرب الى الله من غير طريق الرسول ! ثم استشهدوا بأحاديث موضوعة مثل حديث "عدنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر" والذي هو اليوم من مستحسنات المرحلة الحالية ومطلوباتها، حسب تصور المفتين في العاصمة الصليبية . وقد استغل هؤلاء انشغال أهل السنة بالرد على بدعهم وضلالاتهم عن أن يقدموا للناس معنى الإحسان كما بينته السنة وكما عاشه الصحابة رضوان الله عليهم فكانت الساحة النفسية خالية أمام هؤلاء المبتدعة لتقديم إحسان مشوه ممسوخ للعامة الذين لا يكادون يفقهون شيئاً .

- ثم من هؤلاء من ارتدى مسوح "العصرية" Modernization ورداء الدعوة إلى "التقدم" Progress ليقدم بديلا لدعوة الإسلام الحق كما جاء بها رسول الله ﷺوكما فهمها عنه أصحابه وتابعيهم وتابعي تابعيهم . وقد نبتت هذه النابتة في بعض البلاد الأوروبية من أولئك الذين ولدوا وترعرعوا في أحضان العلمانية اللادينية ثم إذ هم يحاولون أن يقدموا للمسلمين في تلك الأنحاء اسلاما مستسلما مروضا يتعامل مع الواقع المفروض عليه بأن يغير من طبيعته ليتواءم مع ما هو من حوله ، ويطلقون على هذا اسم "تطبيع الإسلام" أو "اندماج" الجاليات في المجتمعات الغربية ، ولم ير هؤلاء أن أسياد تلك البلاد لن يقبلوا Integration منهم أنصاف الحلول وأن "يعبدوا الهنا يوما ونعبد الههم يوما" وكانت الصاعقة الضاربة لهذا المنهج ما هو وشيك الوقوع الآن في فرنسا من منع ارتداء الحجاب ، واملاء فهم محدد للإسلام المتطبع لا يرضى بأقل من الذوبان التام للمسلمين في هذه المجتمعات . ثم أتبعهم زراريهم وصغار ممثليهم ممن يروج للإنخراط في الحياة السياسية والإجتماعية بدعوى "المصلحة" ويعلم الله أن أمثال هؤلاء أقل علما وأضحل فقها من أن يتذرعوا بالمصلحة المرسلة كدليل شرعي إذ هم لا يعلمون ما المصلحة المرسلة وما حدودها وضوابطها ، وإنما هي مصلحة فلان وعلان ممن باع نفسه رخيصة في سوق الدنيا .

والحق أن التمسك بكتاب الله على منهج النظر الذي بينه رسول الله ﷺواتباع السنة ورفض البدع هو السبيل الوحيد لهذه الأمة في أن تتحد كلمتها وأن تتجمع صفوفها لمقاومة العدوان والقضاء على الظلم والعودة بهذا الدين غلى مجده السالف ، أما مناهج "امساك العصا من النصف" والإيمان ببعض الكتاب والكفران ببعضه ، فلن تزيد هذه الأمة إلا خسارا، وكما قال صلى الله عليه وسلم "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنّة نبيه" رواه مالك في الموطأ

فقه المقاومة .. واجب وواقع

حين نردّ كلمة المقاومة إلى أصولها العربية، نجد أنّها مصدرية من مشتقات قَوَمَ، يقال: ما زلت أقاوم فلاناً في هذا الأمر أي أنازله.

ومادة الكلمة تتعلق كلها بالقيام أي الوقوف، والتقويم أي جعل الأمر مستقيما ورده إلى الصواب. فيمكن أن نعرّف المقاومة بأنها :"القيام في وجه الباطل لتقويمه وردّ الأمر إلى الصواب" . ولكن تجدر الإشارة هنا إلى أنّ من معاني المقاومة "الصبر على الأمر حتى إنقضائه"، قال ابن الأثير: قاومه أي فاعله من القيام أي إذا قام معه ليقضى حاجته صبر عليه إلى أن يقضيها. وهذا ما يجب أن يضاف إلى التعريف السابق بأن المقاومة هي "القيام في وجه الباطل لتقويمه وردّ الأمر إلى الصواب والصبر على ذلك حتى تمامه". كذلك، فإن المصدر اللغوي لم يتعرض لطريقة الوقوف في وجه الباطل، مما يجعل المقاومة حرة طليقة في استخدام الأسلوب الأمثل لتغيير الواقع المبطل وردّه إلى الصواب.

وكلمة المقاومة لم تأت في القرآن الكريم، وكذلك لم تأت في الحديث الشريف – على ما أعلم – وإنما جاءت مرات معدودة في سياق حديث بن حجر على قتال المسلم المنفرد لأكثر من واحد من الكفار. فهذا الاستخدام للكلمة مُحدثُ

بمعنى من المعاني إذ لم يطلقه السلف على المقاومة المسلحة للعدو الغازي، بل كان المصطلح عليه هو "دفع الصائل" أي المعتدى.

ولكن هذا الاستحداث لا يقلل من شأن المصطلح إذ هو يرتكن على مورد عربي صحيح كما ذكرنا من قبل. وقد دخل في المصطلح القرآني تحت مفهوم "الجهاد" الذي هو بذل الجهد يعنى للتخلص من الباطل وإحقاق الحق، سواء في ذلك بدفع الصائل "جهاد الدفع" أو بنشر كلمة الحق "جهاد الطلب".

والوقوف في وجه الباطل، سواءً كان عدواناً خارجياً أو تسلطاً داخلياً أمر مطلوب شرعاً لا جدال في ذلك، إلا أنّ تلك المقاومة تأخذ أشكالاً متعددة طبقا للواقع المبطل، من ناحية، وتبعا لقدرات الواقع الإسلاميّ على المقاومة من ناحية أخرى. وتأتي هذه المقاومة في الشريعة تحت أبواب عدة، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة والجهاد ودفع الصائل، فكلها طرق تؤدى إلى اصلاح الواقع وتقويمه، ويبقى أن يُنَزّل الحكم على الواقع الحالّ لمعرفة أفضل الطرق إلى المقاومة، مما يضمن فاعليتها واستمراريتها على السواء.

وما يهمنا في هذا المقال هو الحديث عن المقاومة التي فُرضت على ديار الإسلام المحتلّة وعلى كلّ مسلم يمكنه المشاركة فيها بأي شكل من أشكالها. فإن الاحتلال الصليبيّ للعراق وأفغانستان لم يُقصد به العراق وأفغانستان وحدهما بل هو السندان الذي يكمل مطرقة الكيان الصهيوني المحتلّ في فلسطين، فيقع المسلمون بذلك بين مطرقة اليهود وسندان النصارى، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والمقاومة بكلّ أشكالها واجب محتوم وقدر مرسوم لا فكاك منه، فالخيار العسكري ضرورة حين القدرة عليه، قال تعالى: "انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم"التوبة 9. فالمقاومة كذلك شرع محكم في الإسلام وإن جرّت ما تجرّ الحرب على أبنائها من أهوال وخسائر وقد قال أمير الشعراء شوقي:

الحرب في حقّ لديك شريعة ومن السموم الناقعات دواءُ

والشرّ لا يندفع إلا بالقوة وأهله لا يرتدعون إلا بها، كما قال شوقي:

والشر إن تلقه بالخير ضقت به ذرعاً، إن تلقه بالشر ينحسم

فلابد من خوض خيار المقاومة المسلحة ضد المحتلّ وهو ديدن البشر منذ أول الزمان، أن يبغي القوى على الضعيف، فيثور الضعيف على القوى ولا يزال الصراع قائما حتى ينتصر أحد الفريقين، إما أن يستسلم الضعيف فينمحي من على وجه الأرض وتتبدل ثقافته ووجوده كله بثقافة المعتدى ووجوده، ويصبح خبرا بعد عين تتحاكى به الأمم التالية في أخبار التاريخ، وإما أن يستسلم القوى لإصرار المقاومة وثباتها، فيخرج جارّاً لذيول الخيبة وتكون حربه عليه حسرة، ويستبدل الضعيف قوة بعد ضعفاً وتبقى ثقافته وحضارته تكافح على وجه الأرض، وهكذا حديث الدنيا وتداول الأيام.

وكذلك فإن خيار المقاومة الثقافية خيار ضروري، إذ إن العدوان العسكري يسبقه ويلحق به عدواناً أخبث وأكثر مكراً وتغلغلاً، وهو إضعاف الحسّ الإسلامي في نفوس المسلمين وإبداله بالحسّ الغربي الإلحاديّ، وهو ما يتمثل غالب الأمر في صبغ العادات الاجتماعية بصبغة الاحتلال، كشكل اللباس والاحتفال بالأعياد الغربية والاختلاط غير المشروع بين الرجل والمرأة وقلب نظم التعليم ولغته لتساعد على محو الثقافة العربية الإسلامية ثم التحوّل إلى الاقتصاد وطرقه فيبدّل النظام الربوي القائم على الاستغلال بالنظام الإسلامي القائم على التكافل، وحين يتمّ ذلك للمحتلّ يُصبح المسلم غريباً في أرضه، وتصبح العربية مهجورة بين أبنائها، ويصبح المجتمع خليطاً غير متجانس لا قوة له ولا قدرة على المقاومة.

وطريق المقاومة الثقافية هو الدعوة بكل أشكالها، الدعوة إلى إحياء التوحيد في نفوس الناس، توحيد العبودية الذي به يخضع الناس لرب الناس لا بكلمات لا تحمل معناها، ولكن بواقع يجعل كلمة الله هي العليا في حياتهم وتجعل كلمات الكفار وطرائقهم وعاداتهم هي السفلى. وهذا الباب من الدعوة هو أهم باب وأقربه إلى المنهج الربانيّ، ومنه تتفرع أبواب الدعوة الأخرى، فالدعوة إلى التحلي بالعلم، والدعوة إلى تجنب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والدعوة إلى التربية الربانية على النهج السنيّ السديد، وغير ذلك من أبواب الدعوة إلى منهج الله سبحانه

وكلّ مسلم ملزم بقدر من هذه المقاومة يقوم به في أبنائه وزوجه وجيرانه وأهل ربعه، توجيها وتصحيحاً وإرشاداً، ببيان الحق وفضح الباطل، فكلاهما مطلوب شرعاً، ومقاومة التبديل المتعمد لمنهج الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

ثم الصبر على هذا الدرب لازم محتّم لبلوغ المراد، مهما بُذل فيها من أرواح، فهي أرواح شهداء أحياء عند ربهم يرزقون، ومهما تلف فيها الغالي والثمين، فالضائع هو ما لم يبذل في هذا الطريق، والباقيات الصالحات هي خير عند الله ثوابا وخير عُقباً.

للنساء فقط

الرافضة في الميزان

الإحتلال الصليبي والسيطرة الصفوية – من سيكون الذابح

لا شك أن الإتفاق بين حكومة المالكي العميلة في واشنطن على وشك التوقيع بعد تمثيلية الخلاف الهزيلة التي لعبها المالكي ليدخل في روع الأمة أنه حريص على شرف بلاده وحرية قراراتها.

والأمر هنا أن العراق قد وقع فريسة بين النفوذ الصفوي الرافضى وبين الإحتلال الصليبي الأمريكيّ، وكلاهما باطل منكر لا خير فيه، بل تجب مقاومته على كلّ مسلم قادر. ولكن الواقع الحاليّ يفرض نفسه علي الأرض ويضع الوصايتان الصليبية والصفوية على العراق ومن ثمّ على المنطقة العربية كلها، أمر لا مفر منه، والسؤال الوارد هو هل يتعارض النفوذ الصفويّ مع الإحتلال الصليبي الأمريكيّ؟ هل تتعارض المصالح الأمريمية في المنطقة مع طموحات التوسع الرافضيّ الإيرانيّ؟

والحق أنّه بالنسبة للروافض والصليبيين فإن كليهما يفضّل أن ينفرد بالسيطرة على العراق وعلى المنطقة كلها، ولكن المصالح تتضارب وأصبح من الواضح أنه لابد للطرفين من أن يصلا إلى صيغة للتعامل تسمح بتبادل المنفعة على الأقل في هذه المرحلة من اللعبة السياسية. والحق كذلك أن هذه الصيغة ستكون على حساب أهل السنة في العراق وفي المنطقة كلها، والمحقق في الصورة السياسية الحالية يجد أن كلا الطرفين يستغل ورقه الضغط التي يملكها علي الطرف الآخر، فالرافضة يستغلون مرتزقة الصدر ليزعزعوا السيطرة الأمريكية التامة ولتكون رساله واضحة على أنهم قادرون على التأثير المباشر غلى الأحداث في العراق، وفي المقابل تستخدم الصليبية الأمريكية ورقة النووي الإيراني ليكون إنذاراً للرافضة على أن ضرب مصالحهم ممكن ووارد ومبرر.

ولكن، هذه السيناريوهات إن هي إلا استعراضاً لما في جعبة الفريقين المتناحرين للسيطرة على العراق وعلى المنطقة العربية كلها. وهي سيناريوهات لن ترى النور إذ إنها ليست في صالح ايّ من الفريقين المتناحرين. بل سيكون هناك إتفاق على إقتسام المصالح وحدود التدخل والتداخل، وسيكون ذلك على حساب حرية الشعب العراقي بأكمله وبكل طوائفه وبخاصة اهل السنة، إذ ستتوالى مجاذر السنة على ايدي الرافضة والصليبيين على السواء. وسيتوالى النزوح السنيّ إلى دول الجوار، وستكون العراق قاعدة صليبية صهيونية لضرب ما تبقى من قوى عربية إسلامية في المنطقة والإستيلاء الواقعي على مصادر البترول، كما ستكون العراق موطئاً ومنطلقاً للمشروع الصفوى الذي رُسمت خطوطه وتحددت معالمه للسيطرة الرافضية المجوسية على لبنان ثم السعودية والخليج العربيّ واليمن.

والعرب السنة، تحت وطأة الحكومات العلمانية العميلة، قد سلبت إرادتهم بالكلية وأصبحوا كالشاة التي تنتظر الذبح، فهل يهم من الذابح؟

أكاذيب الرافضة في ميزان النقد

وصلتني رسالة الكترونية من أحد قراء الموقع ممن تعوّد أن يرسل لي هذ الأكاذيب الرافضية ويسألني بأدب جمّ أن أرد علي مثل تلك "الحقائق"! وكان آخرها وصلة "يو تيوب" تحمل إفكا وجهلا تحت اسم "ضريبة تجاهر أهل السنة بالحق" وقد جاء فيها مروجها بأربعة اسماء منهم من هو من غلاة الرفض ومنهم من هم من أهل السنة، وكعادة الرافضة في الكذب صوروا الأمور على غير حقيقتها بجهل وخبث. ولولا سؤال هذا القارئ لما أضعت لحظة في الرد على هذا الهراء

قالوا: نقدم في هذا الفصل حقيقة أهل السنة والجماعة وكيف يحاربون علماؤهم إذا نطقوا بالحق وصدحوا به بعد أن يتهموهم بالرفض وكيف حاربهم أهل زمانهم وهجروهم وكتبوا ولفقوا التهم ضدهم لأنهم قالوا كلمة حق وبينوها باللسان والبنان، فحرم "علماؤهم" المتعصبون مذهبهم وكتبهم ونسبوها ‘لى الضلال عن بغض وشنآن بل وجركوا الجهلة من عوام الناس"! ووالله لم أرى كذبا ولا بهتانا صريحا مثل هذا! ولكن هؤلاء لا دين لهم ولا عقل ولا خلق.

وأود أن أذكر أولا بأن تعريف الرافضي عند أهل السنة هو من سبّ الشيخين ورفض خلافتهما، فالعجب من المأفون صاحب الفيديو أن يقول : فتصور يا أخي أن كلّ من يذكر حقائق (هي عنده حقائق!) الشيخين يعتبرونه رافضيا!! عجيب، هذا هو عينه تعريف الرافضيّ.

ذكروا أولا الحافظ محمد بن أحمد بن عباس المعروف بابن عقدة، وبن عقدة قد روى الحديث :" أخبرنا أبو الغنائم المسلم بن محمد القيسي ، والمؤمل بن محمد البالسي -كتابة- قالا : أخبرنا أبو اليمن الكندي ، أخبرنا أبو منصور الشيباني ، أخبرنا أبو بكر الحافظ ، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد بن موسى بن هارون بن الصلت الأهوازي ، حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد ، حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى الطلحي ، حدثنا محمد بن الحسن ، حدثنا شريك ، عن أبي الوليد ، عن الشعبي ، عن علي ، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأنا عنده ، وأقبل أبو بكر وعمر - : يا علي ، هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ، إلا النبيين والمرسلين"، كما روى الحديث :" الحافظ أبي بكر : أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن حماد الواعظ ، حدثنا أبو العباس بن عقدة إملاء في صفر سنة ثلاثين وثلاث مائة ، حدثنا عبد الله بن الحسين بن الحسن بن الأشقر قال : سمعت عثام بن علي العامري ، قال : سمعت سفيان ، وهو يقول : لا يجتمع حب علي وعثمان إلا في قلوب نبلاء الرجال". وإما أنّ بن عقدة كاذب مخادع في حديثه الأول، فيكون ساقطا في كلّ أمر، وإما أن يكون صادقاً كما قال عنه علماء أهل السنة وأقر به الرافضيّ فهذا مما لا يمكن مخالفته إلا بمخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أن نتهمه بالغفلة – حاشاه – وأنه لم يعرف عن أصحابه كما عرف هؤلاء الضالين والمضلين، وهو الذي كان يأتيه خبر السماء بكرة وعشياً ألا لعنة الله على الضالين. ثم إن أهل السنة لم يحاربون ولم يحرموا كتبه بل – بنص قول هذا "المأفون" – كانوا يرونه صادقا وإن عرف عنه الحديث في الشيخين وهو ما ارتآه لا ما حدّث به، وحديثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدّم على رأيه الخاص، ولذلك قال الذهبي في ميزان الإعتدال:1-128 في معرض رده على بن عدي في تكذيبه أحمد بن الفرات في الكامل "ذكره بن عديّ فأساء، فإنه ما أبدى شيئا غير أن بن غقده روى عن بن خراش – وفيهما بدعة ورفض – قال إن بن الفرات يكذب عمدا وقال بن عدي: لا أعرف له رواية منكرة: قلت: فبطل قول بن خراش". كما قال الذهبي في السير :قلت: زمن الذي يصدق بن خراش ذاك الرافضي في قوله". 12-487.

والواضح أنّ الذهبي لم يهاجم بن عقدة كما صرح برافضية بن خراش، لآن بن عقدة لم يُعرف عنه شدة في الرفض عكس الطاذب بن خراش.

وأعجب من المأفون صاحب الفيديو، اين وجد أهل السنة يحاربون بن عقدة ويمنعون كتبه ورواياته وهو مذكور بالحق وما يستحق في كافة كتب الرجال لروايته الحديث المذكور ولما عرف عنه من صدق.

ثم ذكروا بن جرير الطبري: وهذه أعجوبة الأعاجيب أن يقول المأفون صاحب الفيديو أهل السنة "يحاربون الطبري ويمنعون كتبه ورواياته**!!** وهذا أوضح مثال على كذبهم الذي شهد به مالك وكافة أئمة المسلمين، فالطبري هو الإمام المقدم بين علماء أهل السنة والجماعة، لم يذكره أحد منهم إلا بالخير والعلم والتقديم، بلا خلاف بينهم، ونتحدى هذا المأفون أن ياتي بواحد من علماء أهل السنة رفض الطبري وتحدث عنه بشرّ، والأمر الذي موه به المأفون صاحب الفيديو، هو ما حدث من عدد من جهال العوام من أتباع الحنابلة الذين شوشروا على جنازة الطبريّ واضطروا اهله أن يدفنوه بليل، وهو الخبر الذي ذكره بن كثير في البداية والنهاية ج11 ص 145 قال فيه" روى الكثير عن الجم الغفير، ورحل إلى الآفاق لطلب الحديث وصنف التاريخ الحافل وله التفسير الكامل الذي لا يوجد له نظير، ..قال الخطيب البغدادي: وكان من أكابر العلماء يُحكم بقوله ويُرجع إلى معرفته وفضله. .. وروى الخطيب عن إمام الإئمة بن خزيمة: ما أعلم على أديم الأرض أعلم من بن جرير، ولقد ظلمته الحنابلة. قال بن كثير:"ودفن في داره لأن بعض <u>عوام الحنابلة ورعاعهم</u> منعوا من دفنه نهاراً ونسبوه إلى الرفض ومن الجهلة من رماه بالإلحاد، وحاشاه من ذلك كله بل كان أحد أئمة الإسلام علما وعملا بكتاب الله وسنة رسوله، <u>بل تقلدوا في ذلك عن ابي داوود الفقيه الظاهري حيث كان يتكلم فيه ويرميه بالعظائم وبالرفض</u>..." إلى آخر ما مدح به الطبريّ، وفيه بيان أن من رماه بذلك داوود الظاهري وهو ليس من علماء أهل السنة والجماعة، وأن من فعل ذلك في ليلة دفن الطبري هم عوام ورعاع، ولكن المأفون صاحب الفيديو يقول أن علماء السنة هم من حاربوه ومنعوا كتبه ورواياته**!** ألا لعنة الله على الكاذبين.

والأعجب هو حديث المأفون صاحب الفيديو عن الإمام النسائي**!** ونفس التمويه الذي استخدمه المأفون صاحب الفيديو مع الإمام الطبري، والنسائي لم يذكر الشيخين بسوء وحاشاه، وإنما كان رأيه أن ما عليه أهل دمشق من سبّ عليّ هو بدعة وهو صحيح صادق في هذا، ولهذا دوّن كتاب مناقب عليّ رضى الله عنه، وليس كلّ من ذكر مناقب الإمان عليّ ناقم على الشيخين الأجلّين صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى النسائي في صحيحه مناقب الشيخين ما يغنى عن الكلام، ولكن الأمر كما ذكره بن كثير والخطيب أنه دخل دمشق وعوامها متعصبون بجهل وظلم لمعاوية ورفض ذكر فضائله، فضربوه، وقال بن كثير "قال الدارقطني: فمات بمكة شهيدا" البداية والنهاية ج11 ص124. هكذا يراه علماء أهل السنة لا أنهم يحاربون كتبه ويمنعون رواياته**!** ألا لعنة الله على الكاذبين.

ثم تحدث عن عبد الرحمن بن يوسف بن خراش، وقد قال فيه أبي زرعة: كان يخرّج مثالب الشيخين وكان رافضياً. وهذا بن عقدة الذي استشهد به المأفون صاحب الفيديو يقول "سمعت ابن عقدة يقول : كان ابن خراش عندنا إذا كتب شيئا في التشيع يقول : هذا لا ينفق إلا عندي وعندك" أما عن قول الذهبي عنه أنه شارب الأبوال، فهذا ما وصف به بن خراش نفسه، قال بكر بن محمد : سمعته (أي بن خراش) يقول : شربت بولي في هذا الشأن -يعني الحديث- خمس مرات**!** ثم ما رأيك فيمن سبّ صاحبيّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أهذا أهون من قول الذهبي عندك في هذا الرجل المطعون في عقيدته**!**

<u>العلامة القرضاوى ... والرافضة</u>

نشرنا منذ أشهر مضت مقالا بعنوان "شيخنا القرضاوى.. أنصف السنة من الرافضة"، فحواها أنّ الرافضة لا أيمان لهم ولا عهد ولا ذمة، وأنهم يسعون إلى إفساد عقائد أهل السنة، وماذا ننتظر ممن كفّر الصحابة وابتدع بدعة التقية واستحلّ الكذب والمتعة واعتقد تبديل كتاب الله تعالى! . وقد تلقينا رسائل نصرت ما قررنا زرسائل من محبي الشيخ ومريديه تنصُر الشيخ في موقفه من الرافضة وتبذل كل ثمين ورخيص لتخرج بأدلة على مذهب التقريب المزعوم الذي نصره شيخنا من قبل، ونعوا علينا هذا الحديث ورمونا بالرغبة في التفريق بين المسلمين!

ثم خرج علينا شيخنا القرضاوى أخيراً بما أثلج صدورنا إذ إن الرجوع إلى الحق فضيلة، فبين أهداف الرافضة في إختراق العالم السنيّ وتمزيق وحدته ونشر البدع الإعتقادية والعملية التي أشار إلى بعضها الشيخ القرضاوى في حديثه في "المصري اليوم" بعد أن هاجمته وكالة مهر الإيرانية رغم تقربه من الرافضه وإعلانه مرات ومرات عن ضرورة التعاون معهم، رغماً عن أنوفهم!

ولأن الرجوع إلى الحق فضيلة، فإننا نتوجه بالشكر إلى شيخنا القرضاوى لهذا البيان التاريخيّ، إذ إن الكثير من الشباب المُضَلل المقلد للقرضاوى سوف يعرف حقيقة ما عليه الرافضة بعد أن أعلنها الشيخ، عقب مهاجمة الرافضة له.

ولكن لنا على هذا الحدث ملاحظتان، أولهما: ماذا الذي دفع القرضاوي لإصدار هذا البيان الآن، بعد أن كان شهر العسل بينه وبين الرافضة دائم مديد؟. ونسأل العلامة القرضاوي: هل تبدل دين الرافضة مؤخراً مما دعى إلى إصدار هذا البيان؟ هل توقف الرافضة عن سبّ الصحابة في القرون الثلاثة عشر الماضية؟ هل ابتدع الرافضة عيد النيروز الفارسيّ وبدع زيارات المراقد وتلك الشركيات في الأشهر القليلة الماضية مما دعا علامتنا إلى التصدي لها بهذا البيان؟ هل كان الرافضة في يوم من الأيام أولياء لأهل السنة وأعداء لمن عاداهم، أم كانوا على مرّ تاريخهم الأسود أعداءاً للسنة وأهلها وكلّ ما تمثله؟ وهل غاب عنه موقفهم من أهل السنة في العراق وما يدبرونه من إغتيال القوي السنية بالكامل وفرض "الرفض" عليهم؟ وهل غاب عنه ما ذكرناه من مؤامرات للسيطرة على اليمن ولبنان والعراق ثم التحول إلى السعودية كما بيّن أحد كبرائهم؟ لا أدرى والله كيف غابت عن علامتنا هذه الواضحات البينات؟ ولا أرى لهذا الأمر إلا أنها غضبة للنفس وردّ للكرامة بعد أن شهّر به الإعلام الرافضي وكنا نود لو أنه نطق بالحق من دون أن يتعرض للهجوم الرافضيّ، فإن الغضب لله أكرم وأشرف من الغضب للنفس، وإن كان فيه رجوع إلى الحق.

ثم الثانية أنّ على الشباب الذي قتله التقليد الأعمى والهرولة وراء المشايخ من ذوى الأسماء اللامعة دون إعمال عقل أو شرع فيما يقول ويسمع، حريّ بعد هذا الموقف من شيخنا القرضاوى أن يعيد التفكير والنظر في معايير نقد الرجال ومواقفهم من الحق والباطل، فإن رجال الحق هم رجاله في كل وقت وتحت كلّ ظرف، والمتردد بين الحق والباطل، إلا أن يكون خطأ مشروعا في الإجتهاد، هم ممن لا يصح مراجعتهم وتقليدهم، فالأمر أمر دين لا أمر صفقة إن ربحت ربحت وإن خسرت فلا بأس. وقديما قالوا "إعرف الرجال بالحق ولا تعرف الحق بالرجال".. وصدقوا والله.

<u>الفتنة .. لعن الله من أوقظها</u>

تعقيباً على تلك المداخلات التي جرت بين أخي الأستاذ جمال سلطان وبين حامد قويسى، لا أرى بدّا من أن أوجه النظر مرة أخرى إلى أن ما يجرى على الساحة الإسلامية السنية أكبر من مجرد الهجوم على الشيخ القرضاوى وأهله وعرضه، رغم ما لعِرض العلامة القرضاوى وأهله من حرمة يجب صونها من أي إعتداء، بل هو أمر عقيدة، أولا وأخيراً. الأمر أمر عرض آل بيت النبيّ صلى الله عليه وسلم وعرض صحابته الأبرار، الذي يتفق معنا العلامة القرضاوى أنه وأهله وعِرضه فداءاً لهم. الأمر أمر تسللٍ مجرم يستغل بعض الجماعات "الإسلامية" التي ارتضت في منهجها أن تغض الطرف عن البدعة بل وعما يصل إلى حدّ الكفر انسياقاً وراء السياسة وأوهامها، وكأنّ أولئك الأئمة الأعلام من أهل السنة الذين لا يبلغ أحد ممن يتحدث الآن عن تهدئة الفتنة وعن التقارب عشر معشار علمهم بأحكام الله ورسوله، كأنهم لم يعتبروا حق التقارب من الرافضة ولم يصلوا إلى وعي هؤلاء المُضَللين في العلم والسياسة!

أقول لهؤلاء المُضَلّلين، من الذي أيقظ الفتنة؟ أيكون من يدافع لحفظ عقيدته من التسلل السرطانيّ الخبيث لبدع الرفض المتستر باسم التشيع، أم أن الذي أيقظها هو من ينفق الملايين لنشر هذه الخبائث بين أهل السنة؟ من الأحق باللعن إن كنتم صادقين؟ من الذي يجب أن يوقف عدوانه الإجراميّ ليس على القرضاوى فحسب بل على أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وسلم صحابته الأبرار، فلا يسبّ عائشه ولا يكفر الشيخين ولا يروج لأوهام الإئمة المعصومين، وتلك العقائد الفاسدة؟

ألا يجب على هؤلاء المُضَلّلين أن ينتبهوا أن تزل قدم بعد إيمانها، فيقف في صفّ من لعن أبي بكر وعمر ضد من يدافع عن عقيدة الإسلام الصافية ضد هذه المجوسية المتسترة تحت غطاء الإسلام؟

وأعجب من العجب ما جاء في مقال أحد السيدات "المفكرات" التي استشهدت بحسن نية الروافض ونقضت من يهاجمهم بأن "لديها في البيت مصحف من إيران ليس فيه أي تحريف"!!! سبحان الله العظيم، تلك المجلدات المدونة والكتب المنشورة منذ قرون متطاوله عن عقيدة الرافضة في تحريف المصحف وما يعرف عندهم بمصحف فاطمة ينهار تحت هذا الدليل البرهاني العتيد! وكأنّ ليس في إيران أهل سنة لهم مصاحف صحيحة منها هذا المصحف الذي انتهى إلى بيت الباحثة!

الأمر ليس أمر أن تتوقف المصريون عن الكتابة في هذا الموضوع، الأمر أن يهب السنة ممن يعتقد عقيدة الإسلام الصحيحة الصافية ليدافع عنها، وكفانا ما تتعرض له هذه العقيدة وأهلها من الداخل العاتي فضلا عن الوافد العابث.

الفتنة .. لعن الله من أيقظها من الرافضة.....

المؤامرة الصفوية وأبعادها على الأمة السنية

لا زال ما كتبت عن الخطر الصفويّ، في مايو 2008، تحت عنوان "**الذئاب الصفوية الناهشة في نحر الأمة الإسلامية**[1]"، يتأكد وتتوالى مؤشراته وآخرها ما يحدث من محاولاتهم مستميتة للتوغل في أرض الجزيرة. وهي ما نراه في أنحاء العالم الإسلامي السنيّ، وهاك ما نراه بلا غبش ولا تشويش:

العراق: الرافضة قد وضعوا ايديهم بالفعل على بلاد "الرافدين" وحوّلوها إلى بلاد "الرافضين!"، بعونٍ من اسوأ حكومة عرفتها الولايات المتحدة وبتأييد مادي وعسكريّ من صهاينة إسرائيل، ولا يغرنّك ذلك التناوش السخيف على موضوع "النووى الإيراني" فهو خبل لا وجود له على أرض الواقع، وإنما هو كارت يلعب به الرافضة ليستمر العالم الإسلامي المخدوع على ظنه بأنهم هم من يقاوم الصليبيين والصهاينة الذين يريدون بالمسلمين السوء. كيف والصليبيون والصهاينة هم من قضى على أعداء الرافضة في الشرق والغرب بالقضاء على طالبان وعلى حكم

صدام الذي كان على عداء للرافضة والسنّة على السواء، وتركوا الباب مفتوحاً أمام مجوس إيران لتحقيق حلم الإمبراطورية الصفوية الجديدة الذي قد يكون وشيكاً لا قدر الله.

لبنان: والوضع في لبنان لا يخفى على أحد من أنّ الحزب الذي يطلق على نفسه حزب الله هو يد إيران في هذه البلاد، وما مسرحية الصراع بين هذا الحزب وبين إسرائيل إلا مسرحية أخرى لإستغفال الشعب المسلم السنيّ الذي أكل الطعم وخرجت جماهيره تحمل صورة الرافضيّ نصر الله في يوم من الأيام**!**. وحزب نصر الله هو الذي يوجّه الأمور في لبنان رغم ما تحاوله تلك الدمية السياسية "الجامعة العربية" وما يحاوله بعض الحكام العرب من التعامل مع القضية على أنها قضية مصالح عادية يمكن أن تنتهى بشكل من أشكال إقتسام المصالح**!** وهو غباءٌ سياسيّ وعقيديّ مقزز، فهؤلاء لن يرضون إلا بتخضيع لبنان للحكم الصفويّ على رقاب السمة والمارون على حدّ سواء.

سوريا: والوضع في سوريا يختلف بعض الشيئ عن السابقتين، إذ إن أسرة الأسد المالكة هم من العلوية أصلاً، و لهم صلة نسب بالإثنيّ عشرية إذ خرجوا جميعاً من تحت عباءة الرفـض المجوسيّ. والأسرة المالكة السورية لن تتنازل عن سلطانها لملالي فارس، وإنما هو تعاون وثيق بين الجانبين ضد مسلمي السنة.

اليمن: والحركة الحوثية التي هي امتداد للنفوذ المجوسي، وتجراها على التمدد داخل الأراضي العربية بالجزيرة، لم يعد مجرد دلالة بل دليل ماديّ على أرض الواقع على ما يبغونه من تطويق جزيرة العرب وأرض الحرمين من كلّ جانب، فهؤلاء الحوثيون إنما هم صنعة الفرس تمويلاً وتدريباً وعتاداً وفكراً، وهم على الباب الجنوبيّ للسعودية، يهددونها ويترصدون بها الدوائر، وهو ما لا يمكن قبوله، بل يجب ضربه بيد من حديد.

دول الخليج: والنفوذ الفارسي في دول الخليج (الإمارات، الكويت، البحرين، عُمَان) لا ينكره إلا أعمى أو متعامى عن الحقيقة، فهم يمثلون نسبة لا بأس بها من السكان، وهم، وإن كانت دعواهم الولاء لوطنهم، من الرافضة أولا وأخيراً بشكل أو بآخر، ولن يظهر هذا إلا عند المحكّ وحين تتميز الصفوف.

والعجب لمن يقول: انضرب على يد الرافضة وهم أولا وأخيرا من المسلمين، بدلا من الضرب على يد إسرائيل وهم اليهود الصهاينة ؟ فنقول للقائل: هون عليك، فإن ضرب إسرائيل لا يختلف عليه مسلمان، ولكن أمره بيد الحكام الذين لا يريدونه ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولكن هذا الخطر الصليبي أهون فيما نرى من خطر الصفوية الرافضيّ، عند من يعرف حقائق أقوالهم وعقائدهم ومخططاتهم، لا عند من يتكلم بجهل وغفلة. والصهيونية عدو دائم مقيم يعرفه العالم والجاهل من المسلمين، فهو كفر ظاهر بيّن، أما الرافضة، فهم مندسون يتخفون في ثياب الإسلام ويرتدون رداءه وهم يغيرون معالمه وأسسه لتتناسب مجوسيتهم وشعوبيتهم التي لم يتنازلوا عنها عبر القرون، بل حولوها من تأليه كسرى إلى تأليه على رضى الله عنه، وأهل البيت كذباً وخداعاً، وكفروا تحت غطاء هذا الحب المردى، الصحابة الأبرار، وزوجات النبي أمهات المسلمين، غير ما انتشر في دينهم من بلاء يعرفه من درس اقوالهم وقرأ كتبهم.

وإخوان سوريا، بلا شك، أعرف بالرافضة قلبا وقالباً من إخوان مصر، فإدانتهم القوية الصريحة للحركة الحوثية الصفوية يدعمها معرفة بمدى الخطر الصفوي على الأمة، أما إخوان مصر، هداهم الله للصواب علما وعملا، فهم لا يزالون يلعبون بأوراق السياسة، بالتقارب مع الصفويين لكسب دعمهم، وما هم لهم بداعمين لو كانوا يعلمون، غير مدركين أنّ السياسة ليست إلا كما وصفها إبي العلاي في قوله:

يسوسون الرعية دون عقل   فيسمع قولهم ويقالُ سَاسه

فأفٍ للحياة وأف منــي   ومن زمنٍ رئاستُه خساسه

فالحذر الحذر من السذاجة في النظر والبساطة في الفكر، فإن الجهل قتّال.

1. http://www.tariqabdelhaleem.com/details.php?id=310

إكلاشيه "الوقيعة".. بين السنة والشيعة

لا زلت أعجب من أولئك الأفاضل الذين يروّجون لحلم التقارب بين السنة والشيعة، وآخرهم الدكتورة زينب عبد العزيز أستاذة "الحضارة الفرنسية" التي نشرت مقالا على صفحات المصريون قالت فيه – بعد أن شرحت معنى كلمة الترّهة" في اللغة العربية، أن الخلاف بين السنة والشيعة هو ترهة من الترّهات!، وأنها محض مؤامرة خارجية للوقيعة بين السنة والشيعة!

ونحن نوافق الدكتورة زينب على ما جاء في مقالها من حقيقة تآمر الغرب الصليبيّ الداعم للوجود الصهيونيّ على الإسلام والمسلمين، وعلى أنهم لا يدعوا طريقاً لإهلاك المسلمين والقضاء على دينهم إلا سلكوه، وأنهم لن يهنأ لهم بال إلا إذا قضوا على ما يعتبرونه الخطر الأعظم على دينهم ووجودهم من أعداء المسيح! نحن لا نخالف في هذا ولا يخالف فيه عاقل إلا عميل مدفوع الأجر محسوب على الإسلام.

ولكن أن يكون هذا دليل على حذف حقائق التاريخ وإنكار أن يكون هناك خلاف بين السنة و الرافضة أصلاً كما قالت نصّا **"أم نظل نتمسك بترّهة إسمها خلافات السنة والشيعة"**، فهو ما لا يقبله عقل ولا منطق ولا تاريخ ولا دين. كما لا يبرره حسن نية وبراءة طوية. بل هو من قبيل تبسيط الأمور إلى حد ما يسمى صاحبه بأنه "simpleton"! فالخلاف بين السنة والرافضة قد وجد قبل إكتشاف القارة الأمريكية ذاتها، وقبل وجود الكيان الصهيوني في فلسطين بمئات السنين، ولا نظن أن هؤلاء كانت لهم يد في الدور الخسيس الذي قام به الرافضة يوم أن سقطت بغداد للمرة الأولى أيام التتار!. فأن ينسب هذا الخلاف إلى مؤامرة صليبية صهيونية هو من قبيل الخطأ المعيب على أقل تقدير.

ثم، إن الوجود الصهيونيّ الصليبيّ لم يدفع آيات الرافضة لدعم ميليشياتهم في العراق لقتل السنة، ومن المعروف انّ جهدهم – ولا أقول جهادهم – لإخراج الصليبيين من العراق هو للإنفراد بالسلطة وإنشاء الإمبراطورية الصفوية الجديدة التي هي إمتداد تاريخي لإمبراطورية كانت قبل الوجود الصهيوني الصليبي في العالم الإسلاميّ! وهو ما أعلنته ملاليهم دون مواربة ولا تزويق، أن هذا هو مخططهم في العراق ولبنان واليمن ثم جزيرة العرب! حقائق تاريخية وحاضرة بسيطة لا أدرى كيف تفوت أصحاب العقول الأكاديمية المستنيرة اللهم إلا "حسن النية والبساطة والطيبة" لا غير. ولكن هذا لا يغني عن العلم والمنطق والعقل ذرة واحدة.

ثم، لا أدرى والله عمن يقول أنّ الخلاف بين السنة والرافضة ترهة من الترهات هل يعلم أن مؤدى ذلك أنّ رمي عائشة بالزنا هو مجرد ترهة من الترهات، وأن رمي أبا بكر وعمر بالكفر والطاغوتية هو مجرد ترهة من الترهات، وأن تكفير عامة الصحابة وأعلام الأمة هو ترهة من الترهات! لا أدري كيف يقابل ربه يوم يقوم الحساب! وقد قامت الدنيا ولم تقعد حين قام شكرى مصطفي بتكوين الجماعة التي سمتها قوات الأمن التكفير والهجرة في السبعينيات لأنه كفّر المسلمين عامة، وهو في هذا مخطأ أثم، فما بالنا لا نقف من تكفير الدولة المجوسية للمسلمين السنة ذات الموقف الذي وقفناه من شكرى مصطفي؟ ألأنهم أصحاب دولة وبريق سلطة وقوة؟ بل إن من أصحاب "القلوب الرقيقة" من دعاة التقارب من هاجم، ولا يزال، الشهيد سيد قطب لأن كتاباته – على حدّ قولهم – بدت منها بذرة التكفير! فكيف بمن زرع البذرة وأنبتها شجرة لعينة تكفر – لا عامة المسلمين – بل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآل بيته من أمهات المسلمين!

ثم، ألا نذكر حقيقة أنّ الرافضة هم الذين سهّلوا وساعدوا قوات التحالف الصليبيّ في غزو أفغانستان والقضاء على قوات طالبان السنية وهو ما اعترفت به سلطتهم دون مواربة؟ أين الترهة في هذا العمل الشائن الحقير؟ إن ذا هو دين الرافضةن أن يكونوا عملاء للعدو ضد السنة أيا كان هذا العدو؟ إين هذا من دعوى الحرص على "وجود الإسلام نفسه" إن هؤلاء الرافضة هم أعدى أعداء الإسلام كما نعرفه لا كما نسجوه وخلطوه بخرافات المجوسية؟

إن إجرام الصليبية الصهيونية العالمية وإعتداءاتهم على الإسلام والمسلمين لا ينكرها أحد، ولكن أن نداري خلفها حقائق التاريخ والحاضر التي لا ينكرها إلا جاهل أو عميل لهو نهج آخر لا يصح بمن ينتسب للعلم أن ينتهجه. ألا هل بلغت، اللهم فاشهد.

تعقيب على التعقيب – الرافضة في ميزان السنة

أود، قبل أن أعقب على الرد الذي نشرته الدكتورة زينب عبد العزيز في جريدة الشعب، أن أتقدم اليها بالإعتذار عن شبهة تهوين لدورها أو لعقلها أو لدينها، قد تنشأ من جراء هجومي على منهج محدد، لا على شخص بعينه، منهج يحمل في طياته جرثومة الإنحراف عن السنة والسماح بتسرب البدعة والتمكين لها تحت شعار الوحدة وعدم الفرقة، في موضع لا يقصد اليه القرآن ولا يقصد اليه رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم.

كما أشير إلى أنني أنتهز هذه المساجلة لبيان موقف الإسلام من الرافضة المجوس دون أن تكون مشادة كلامية قد نهينا عن مثلها شرعاً. لهذا سأتجاوز عمّا لا غناء فيه من لمز فيّ عابت عليّ الدكتورة زينب مثله، كتشبيهي بتلامذة المدرسة الأمريكية! أو رميي بالإلتواء بالكلمات والمفاهيم، ووالله الذي لا إله إلا هو أن لا غرض لي إلا نصر السنة وردّ البدعة، وما تمنيت إلا أن يظهر الله هذا الرد على يد غيرى فيكفيني القول فيه أصلا، أتجاوز هذا إلى لبّ الأمر مما بّينته في تعقيبها.

1. قرأت المقال عدة مرات عملا بنصيحة الدكتورة زينب، ولكني مع الأسف لم أخرج منه إلا بما فهمته أول مرة، وهو دعوتها إلى اعتبار الخلافات بين السنة والرافضة باطل لا صحة له، ومن ثم التقارب بل التوحد مع الرافضة فالخلاف بين السنة والرافضة "ترهة" من الترهات، اي باطل من الأباطيل التي لا نصيب لها من الصحة. وأود هنا أن أبيّن أن ما ذكره بن منظور في معنى "ترهة" هو بالنص الذي لم تورده الدكتورة: "الترّهات: **الأباطيل**...وهي في *الأصل* الطرق الصغار المتشعبة عن الطريق الأعظم" لسان العرب ج1ص302 ، فالإستخدام الأصلي للكلمة هو الشعبة ولكن المعنى الإستعماليّ هو الأباطيل، وهو ما حَمَلْتُ عليه كلام الدكتورة زينب، إذ إن المعنى الإستعماليّ مُقدّمٌ على المعنى الأصلي، كما في كلمة صلاة وهي في الأصل الدعاء، ولكنها في الإستعمال تعني الركوع والسجود المعروف في صلاة المسلمين، أمر يعرفه كلّ دارس للغة العربية و أصول الفقه. ولم أقل في حديثى أن الترهة هي التفاهة كما ذكرت الدكتورة، وهذا للتصحيح.

2. أننا، أهل السنة، نؤمن بما ورد في القرآن الكريم من دعوة للوحدة ونبذ الخلاف، كما في الايات الكريمة التي أوردتها الدكتورة، ولكن يجب أن أبيّن هنا بعض قواعد الفهم المنهجيّ عند أهل السنة، وهى أن النصوص العامة المجملة لابد من حملها على ما يخصصها ويبينها من آيات أخرى أو أحاديث صحيحة من سنة أو سيرة، والآيات القرآنية الداعية إلى نبذ الخلاف موجهة أصلا إلى من أوجد الخلاف وانشق عن طريق السنة المستقيمة التي لا يزيغ عنها إلا هالك، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين كلها في النار إلا واحدة" رواه أحمد، وابن أبي الدنيا، وأبو داود، والترمذي، وابن حبان، والحاكم، وصححوه، ورواه غيرهم أيضاً، رَوَوْه عن عَوْفِ بن مالك، ومعاوية، وأبي الدرداء، وابن عباس، وابن عمر، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وواثلة، وأبي أمامة، وغيرهم.

فهذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم شارحا لمجمل القرآن، وقد أجمع علماؤنا أنهم يندرجون تحت الرافضة والجهمية والمعتزلة والمرجئة والخوارج بشعبهم. والإعتصام بحبل الله يكون إعتصاما مع أتباع منهجه وطريقته لا إعتصاما مع من كفّر الصحابة وامهات المؤمنين، وأؤكد على أنه يجب التفريق بين الفرق العقائدية،

وبين المذاهب الفقهية وهي التي ما لا يصح فيها إختلاف وتفرق. وهل يا ترى قد غاب عن علماء المسلمين على مدى تاريخنا الإسلاميّ معنى هذه الايات الكريمة وهم يتصدون للرافضة ويحذرون أهل السنة من مذاهبهم الشركية ولعل الدكتورة قد اطلعت على بعض هذه المدونات الموسوعية ككتاب "منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية" لشيخ الإسلام بن تيمية فلعلها تدرك الخطر الأعظم في تصور أن الرافضة قد يعينون أهل السنة ضدّ الصليبيين أو الصهاينة، إلا بكلام من باب التقية يستدرجون به من لا يعرف مذاهبهم فينبرى للدفاع عنهم والدعوة إلى نصرتهم بغفلة وجهالة.

ثم أليس من الغريب حقا وما يجب أن يتفكر فيه كل من نحا هذا المنحى في نصرة الرافضة أن يتساءل كيف أنّ الصهاينة والصليبيين قد اكتفوا بالهجوم الكلاميّ على إيران المجوس، بينما سحقوا بالقوة الغاشمة أفغانستان والعراق! بعون من الرافضة كما أقروا على أنفسهم، وما دعواهم اليوم لخروج الأمريكان من العراق إلا ليتم لهم السيطرة عليها، وإلا فكيف لم يدعو يوما واحدا إلى خروج الأمريكان من أفغانستان!! أفيقوا وفقكم الله!

3. ثم ما ذكرته الدكتورة من تآمر الكنيسة والغرب بشكل عام ليس لدي إعتراض عليه كما قلت، ولكن أن يكون هذا باب لإغماض العين عن حقيقة مؤامرات الرافضة فهو، وأكرر مرة أخرى، تبسيط ساذج للأدوار التاريخية التي تلعبها القوى المعادية للإسلام بما فيها الرافضة.

4. ثم أعجب ما أذهلني في تعقيب الدكتورة هو قولها **:" لو كانت كرامة السيدة عائشة وكرامة الصحابة، رضى الله عنهم جميعا، أهم وأكبر من كرامة قول الله سبحانه وتعالى، فأم المؤمنين والصحابة فى رحاب المولى، أما كلام الله عز وجل فى قرآنه الكريم فلا يضاهيه شيئا، وأمانة فى أعناقنا، علينا تكليف حمايته واستتبابه وليس العمل على إقتلاعه وضياعه"!!** إستدلال عجيب مقلوب، فمتي تناقضت كرامة كلام الله سبحانه مع كرامة صحابة رسول الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه المطهرات، اللهم إلا في نظر منحرف المنهج بدعيّ العقيدة، ولا أظن أن الدكتورة من هذا في شئ. وكيف أنّ كونهم في رحاب الله يقلل من حرمتهم وكرامتهم، عجيب عجيب! وقد قال تعالى:"ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافا كثيراً"، وأعود بالدكتورة إلى دراسة أصول الفقه حيث تقعد في القواعد الفقهية أنّ "الإعمال أولى من الإهمال"، وأن "الجمع أولى من الحذف" أو "الجمع بين أطراف الأدلة"، وبيان هذا أنّ الجمع بين الحفاظ على مقتضى آيات القرأن الكريم والحفاظ على مقام الصحابة وأمهات المؤمنين الذي نزل الوحي ذاته بتكريمهم، وبين الحفاظ على السنة التي تركنا عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزيغ عنها إلا هالك، يتحقق بأن ننبذ الرافضة على سواء، وهو موقف علماء المسلمين على مدى تاريخنا كله، لا أن نزعم أن الحفاظ على المعنى المجمل للقرآن يستلزم نبذ حرمة أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وأنهم الآن من الأموات!

5. ثم اسأل الدكتورة زينب، ما هو موقفها مما قال رسول الله رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه الصحيح عن الخوارج :" بعث علي رضي الله عنه وهو باليمن بذهبة في تربتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أربعة نفر الأقرع بن حابس الحنظلي وعيينة بن بدر الفزاري وعلقمة بن علاثة العامري ثم أحد بنى كلاب وزيد الخير الطائي ثم أحد بنى نبهان قال فغضبت قريش فقالوا أيعطي صناديد نجد ويدعنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني إنما فعلت ذلك لأتألفهم فجاء رجل كث اللحية مشرف الوجنتين غائر العينين ناتىء الجبين محلوق الرأس فقال اتق الله يا محمد قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يطع الله إن عصيته أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني قال ثم أدبر الرجل فاستأذن رجل من القوم في قتله يرون أنه خالد بن الوليد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من ضئضيء هذا قوما يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد" رواه مسلم، أترى لم يراعى رسول الله صلى الله عليه وسلم آيات الله الداعية إلى الوحدة ونبذ التفرق، وهو يتحدث عن قوم يقرؤون

القرآن ويقيمون الصلاة! كيف أمر بقتالهم وقتلهم قتل عاد! الله الله في دين الله يا كتاب المسلمين ومفكريهم! عليكم بدراسة العقيدة والتعمق في أصولها قبل أن تدونوا آراءاً تحاسبون عليها يوم يقوم الأشهاد.

6. والله لا أعرف من هم الذين هللوا لي وكبروا، ولكني أعرف أن للحق قوته ونوره، ثم أوافق الدكتورة على أننا، أهل السنة التي أنتمي، وتنتمي الدكتورة، اليها، ننبذ الخلاف ونتوحد في وجه كلّ من أراد بالإسلام سوءاً سواء من الصهاينة أو الصليبيين أو ممن قرأ القرآن فلم يتجاوز حناجره.

7. النصر لا ولن يكون بالتغاضي عن السنة لصالح فهم منحرف لآيات الله لا يتقيد بقواعد الأصول في التفسير، ولا هو بالتقوّي بصاحب في الظاهر، عدو في الباطن لا يرعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته وأهل بيته حرمة.

<u>ردّ عائلة الشيخ سليم البشري على بهتان الشيعة في كتاب "المراجعات"</u>

أحمد الله سبحانه على نعمة الإسلام ومنة الإيمان وأصلى على رسوله المبعوث بالهدى ، المعروف بالصدق والأمانة في كلّ أمره وأبرأ إلى الله من الكذب والخداع والنفاق وأهل الكذب والخداع والنفاق وعلى رأسهم الروافض الذين تكاد تتفطر الأرض بكذبهم وتخر الجبال هدّاً ببهتانهم وإفكهم. وما تجنينا على هؤلاء الضالين بل هذا ما تواطءت عليه أقوال أئمة أهل السنة والجماعة في كافة العصور، إسمع إلى أقوالهم في هؤلاء المبتدعة:

- قال أشهب : سئل الإمام مالك عن الرافضة فقال : لا تكلمهم ولا تروي عنهم فإنهم يكذبون .
- قال حرملة : سمعت الشافعي يقول : لم أرى أشهد بالزور من الرافضة .
- قال يزيد بن هارون : يكتب عن كل صاحب بدعة إذا لم يكم داعية إلا الرافضة فإنهم يكذبون .
- قال شريك القاضي : احمل العلم عن كل من لقيت إلا الرافضة فإنهم يضعون الحديث ويتخذونه دينا .
- قال ابن تيمية : الرافضة بهائم فلا النقل يصدقون ولا الصدق يقبلون.

بل إنهم لغفلتهم قد أوردوا عن أنفسهم صفة الكذب كما ذكر الشيخ العلامة عثمان الخميس في رده اللاحق:

- قال جعفر الصادق - رحمه الله ورضي عنه - : " رحم الله عبدا حببنا إلى الناس ولم يبغضنا إليهم ، أما والله لو يروون محاسن كلامنا لكانوا به أعز وما استطاع أحد أن يتعلق عليهم بشيء ولكن أحدهم يسمع الكلمة فيحط عليها عشرا". روضة الكافي ص 192
- وقال أيضا - رحمه الله ورضي عنه - : " إن من ينتحل هذا الأمر لمن هو شر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا ". رجال الكشي ص 252 ، وهذا الكلام قاله عن زرارة بن أعين أعظم رواة الشيعة على الاطلاق !!
- وقال أيضا رحمه الله تعالى : " لو قام قائمنا لبدأ بكذابي الشيعة فقتلهم ". رجال الكشي 253
- وقال أيضا :" ما أنزل الله من آية في المنافقين إلا وهي فيمن ينتحل التشيع ". رجال الكشي ص 154
- وقال أيضا : " إن ممن ينتحل هذا الأمر ليكذب حتى إن الشيطان ليحتاج إلى كذبه " . الروضة من الكافي ص 212

- وقال محمد الباقر – رحمه الله ورضي عنه - : " لو كان الناس كلهم لنا شيعة لكان ثلاثة أرباعهم لنا شكاكا والربع الآخر أحمق " . رجال الكشي ص 179

- وقال محمد باقر البهبودي : " ومن الأسف أننا نجد هذه الأحاديث [يعني الضعيفة والكذوبة] في روايات الشيعة أكثر من روايات أهل السنة . (مقدمة صحيح الكافي) .

وما دعاني إلى التعرض لأمر هؤلاء الكذابين المبهتين إلا أنه قد راسلنى أحد الإخوة الأفاضل من البحرين يستنجد من الرافضة وما يبذلونه من جهد في نشر ما وضعه أحد أئمتهم في الكذب والمعروف بشرف الدين الموسوى والعروف بالمراجعات، وطبعه وتوزيعه بين أهل السنّة ليستميلوا عقول من خفّت عقولهم وضعفت عن الجدال حججهم. وذكر أن منهم من يقول، كيف لم نسمع من عائلة البشري شئ يكذّب هذا الأمر وهو شائع مشتهر منذ عقود؟!

وإني كحفيد الشيخ الإمام سليم البشرى شيخ الإسلام وشيخ الأزهر، الذى افترى عليه الموسوى ما خيّلت له أحلامه وتشعبت به في طرق الخداع أوهامه، أقرر لكل من تقع عيناه على هذا الإفتراء البيّن الموسوم بالمراجعات أن ليس لهذا الكتاب صلة بالشيخ البشرى رحمه الله، هو لم يكتبه ولا سأل سؤالا ورد فيه ولا اطلع عليه، إذ إن الكاذب أثر الموسوى قد نشر أوهامه بعد سنوات من وفاة البشرى ليضمن انتشار كذبه دون مراجعة صادقة لمراجعاته الكاذبة. ولو كان لهذا الوهم المكذوب أثر لوجده أولاده وهم تسعة أولاد، وفيهم من هو في مقام من العلم لا يُضاهى كجدى الشيخ عبد العزيز البشرى إمام العربية وجاحظ العصر، أو لوجده من بعده أحفاده، كما وجد أخوالي حسين وعبد الحميد عبد العزيز البشري مسوّدات كتاب الشيخ عبد العزيز بعد وفاته فحقّقوها وطبعوها في كتاب "قطوف"، أو لوجدها من بعد أولاد أحفاده ممن اهتم بالعلم الشرعيّ ونقب فيه عما خبئ من آثار، كالأستاذ الجليل أخانا الأكبر المستشار طارق عبدالفتاح البشري، الذي نشأ في منزل الشيخ سليم ونقب فيما ترك من ورائه منذ طفولته،[19]. تعاقبت الأجيال الثلاثة ولم يسمع أحد لهذا الأثر من ركزٍ، إلا من طريق من شهدت عليه أحجار الأرض بالكذب والوضع. ونعجب، إن كان دين هؤلاء الرافضة هو تكفير الصحابة رضوان الله عليهم والكذب عليهم وهم أعلام هذه الأمة وأسيادها، كيف يستغرب كذبهم ووضعهم على شيخ الإسلام سليم البشرى؟

وقد نعرّض عدد من علماء السنّة للردّ على أوهام الموسوى منهم العلامة المحدّث الألباني الذي خرّج الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي حشى بها الموسوى مراجعاته، كما أخرج الشيخ الجليل عثمان الخميس ردّا شافيا مفصّلا على الكتاب يعتبر مرجعا في هذا الأمر.

وأود أن أحيل إلى بعض ما يدلّ على بطلان نسب هذا الوليد غير الشرعيّ الذي خرج من متعة الموسوى بأوهامه وأخيلته.

فكما ترى في متن الكتاب، يقف الشيخ البشرى موقف طالب العلم المبتدئ بين يدى شيخه ومعلمه، وهو لا يرد عليه ولو مرة واحجة بل يسلّم له في كلّ قول يقوله، ويمدحه على علمه وفقهه بما يتجاوز مقام المدحن اسمع الشيخ البشرى يسأل في المراجعة التاسعة: "طلب المزيد من النصوص في هذه المسألة: أطلق عنان القلم، ولا تخف من سأم، فإن أذني لك صاغية وصدرى رحب، وأنا في أخذ العلم عنك على جمام من نفسى، وارتياح من طبعى، وقد ورد عليّ من أدلتك وبيناتك ما استأنف نشاطي، وأطلق عن نفسى عقال السأم، فزدني من جوامع كلمك، ونوابغ

---

19 http://64.233.167.104/search?q=cache:o1wu4LowlyMJ:www.islammemo.cc/mobile/articlep.aspx%3Fid%3D39062%26catid%3D608%26lid%3D0+%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%AE+%D8%B3%D9%84%D9%8A%D9%85+%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B4%D8%B1%D9%89%22&hl=en&ct=clnk&cd=4

حكمك، فإني التمس في كلامك ضوالّ الحكمة وإنه لأندى على فؤادى من زلال الماء، فزدنى منه لله أبوك زدنى، والسلام"! عجب على عجب، أهذا حديث شيخ الإسلام وإمام المالكية في عصره لمجهول من مجاهيل الرافضة؟ وما "زدنى زدنى" هذه! مما يطلب الشيخ البشرى الزيادة؟ فكله كذب كما سنبين وسيبين الشيخ الألباني والعلامة الخميس. هذا المدوّن كما قال الشاعر: حديث خرافة يا أم عمرو.

ثم إن هذه ليست بمراجعات، إذ إن الشيخ البشرى لم يراجع الموسوى المُدَعِي ولو مرة واحدة ولم يورد ولو حديثا واحداً من أحاديث أهل السنة يبين بها عطل هذه الأسانيد المفتراة، ولا سرد دليلا واحدا على صحة مذهب السنّة، وهو القائل:"والله لو هُدِمَ مذهب مالك لأقمته" لتبحره في العلم الشرعيّ، وفي علم الحديث خاصة؟

ثم إن أي قارئ للعربية يجد بما لا يدع مجالا للشك أن أسلوب السائل والمجيب قد خرجا من جمجمة واحدة لتشابه الأسلوب بما فيه من سجع مقيت لا يتكرر في أسلوب رجلين تصادف أن يتكاتبا، وما فيه من مبالغات لا تعرف إلا عن الرافضة، وهو يجافى ما عرف من نثر للشيخ البشرى.

ثم نأتي إلى كذب الرافضة وتدليسهم فيما أوردوه في هذا البهتان، ونذكر من ذلك مثالين ثم نحيل القارئ على كتاب العلامة الخكيس ليرى بقية الأدلة وعلى تخريج المحدث الألباني ليرى كذبهم واجترائهم على وضع الحديث.

1. جاء في المراجعة العاشرة بعد هراء سرده عن مواقع حكمته وخزائن علمه من مثل "لئن تلقيت مراجعتي بأنسك، وأقبلت عليها وأنت على جمام من نفسك فطالما عقدت آمالي بالفوز، وذيلت مسعاي بالنجح، وان من كان طاهر النية، طيب الطوية، متواضع النفس، مطرد الخلق رزين الحصاة، متوجاً بالعلم، محتبياً بنجاد الحلم، لحقيق بأن يتمثل الحق في كلمه وقلمه، ويتجلى الانصاف والصدق في يده وفمه .....

ثم قال: أخرج الطبراني في الكبير، والرافعي في مسنده بالاسناد الى ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، «من سره أن يحيا حياتي ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن غرسها ربي، فليوال علياً من بعدي، وليوال وليه، وليقتد بأهل بيتي من بعدي، فأنهم عترتي، خلقوا من طينتي، ورزقوا فهمي". ...

ثم قال: وأخرج مطير، والبارودي، وابن جرير، وابن شاهين، وابن منده، من طريق اسحاق، عن زياد بن مطرف قال :سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من أحب أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويدخل الجنة التي وعدني ربي، وهي جنة الخلد فليتول علياً وذريته من بعده، فانهم لن يخرجوكم باب هدى، ولن يدخلوكم باب ضلالة" وعلّق على من ضعّف الحديث كابن حجر بقوله" وأورده ابن حجر العسقلاني مختصراً في ترجمة زياد بن مطرف في القسم الأول من إصابته ثم قال: قلت في إسناده يحيى بن يعلى المحاربي وهو واهي. اقول هذا غريب من مثل العسقلاني فان يحيى بن يعلى المحاربي ثقة بإتفاق"

والعجب أن هذا المدلس، بعلم أو بجهل، قد ذكر يحيى بن يعلى المحاربي، وهو ثقة بإتفاق، قال أبو حاتم: ثقة وذكره بن حبان في الثقات[20]". إلا أنه ليس المذكور في سند الحديث وإنما هو يحيى بن يعلى الأسلميّ القطوانيّ وهو شيعيّ ضعيف قال عنه البخاري: مضطرب الحديث، وقال بن معين: ليس بشئ، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديثن وقال بن عديّ: كوفيّ من الشيعة.[21]

فانظر – رحمك الله – كيف أنّ هذا المدلس يستدل بصدق دعواه بالكذب والوضع في السند، وكأن ليس هناك من الجهابذة الذين سيكشفون عطله!

---

[20] تهذيب التهذيب لإبن حجر ج11 ص 263

[21] تهذيب التهذيب لإبن حجر ج11 ص 264.

2. في المراجعة رقم 50، قال الموسوي: " قوله صلى الله عليه وسلم : (علي مع القرآن والقرآن مع عليّ لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض) قال [أخرجه الحاكم وهو من الاحاديث المستفيضة] .

قال الشيخ عثمان الخميس : قوله (من الاحاديث المستفيضة) ان كان يعني الصحة فإن الحديث غير صحيح فإن فيه دينار أبوسعيد التيميّ ويلقّب بعقيصا ، قال الدارقطني : متروك ، وقال ابن معين : ليس بشيء وهو شر من أصبغ بن نباتة ، قلتُ : أصبغ بن نباتة كذاب وهذا شر منه فماذا يكون حاله عند ابن معين.

وهذا غيض من فيض كذب هذه الطائفة وتدليسهم ومخادعتهم.

وقد حاول الشيخ الخميس أن يرد على استشهاد الرافضة ببيت الشافعي

إن كان رفضا حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

فقال الشيخ الخميس(– وأنا لا أجيد الشعر:

إن كان نصبا دفع أعداء آل محمد فليشهد الثقلان أني ناصبـــي

قلت:

إن الصحابة يبرئــــون بذِمّـةٍ من كلّ من قال أني رافضى

إن كان نصباً من يردّ عدوهم فليشهد الثقلان أني ناصبـي

ونحن نبرأ إلى الله من هذا الكتيب الموضوع ونردّ كلّ من سوّلت له نفسه نسبة هذا الهراء إلى الشيخ الإمام سليم البشرى رحمة الله عليه.

ألا هل بلّغت، اللهم فاشهد.

عن عائلة الشيخ سليم بن ابي فراج البشرى

د. طارق عبد الحليم

تورونتو شوال 1428 الموافق أكتوبر 2007

رب ضارة نافعة

قال تعالي"وعسي أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم" صدق الله العظيم.

لعل أفضل ما في أمر الإبتذال الرافضي الأخير في التهجم على العلامة القرضاوي هو ذلك الحشد السنيّ الذي وقف خلف القرضاوى وغضب له وبيّن أمر الرافضة ودينهم وما يترصدون العالم السنيّ به، كما ظهر في كتابات العديد من صحفيينا وكتابنا وما صدر عن جبهة علماء الأزهر الشريف من فضح لدين الشيعة ومؤامراتهم.

ونحن، مع فرحنا بهذا الموقف المشرّف من هؤلاء الصحفيين والكتاب ومصدرى البيان، لا نملك إلا أن نعجب عجبا لا ينقضى من هؤلاء الصحفيين والكتاب ومصدرى البيان! أين كان هؤلاء قبل أن يتعدى الرافضة على القرضاوي؟

ألم يكن يكفي تهجمهم على ابي بكر الصدّيق وعمر الفاروق وعائشة أم المؤمنين وكافة الصحابة وعلماء الأمة من أهل السنة على مدي التاريخ؟ أيكون التعدى على القرضاوى، مع تقديرنا له، أشد وطأة عليهم من التعدى على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه المطهّرات؟ لماذا لم نقرأ في صحيفة من هذه الصحف مقالا أو بيانا ولم نسمع أو نقرأ لكاتب أو صحفيّ يفضح دين الرافضة ومواقفهم؟ والله الذي لا إله إلا هو إنّ هذا الموقف لهو سبب ضعفنا وخذلان أمرنا وهواننا على الله. لم نجهر بالحق لوجه الله ونصرة له، بل نصرة لإنسان، مهما علا قدره!

وأعجب من هؤلاء هو موقف الإخوان المسلمون! لم نسمع لهم صوتا ولم نحسّ لهم ركزا وكأنهم يعيشون في دنيا غير دنيانا، أولياؤهم غير أوليائنا وأعداؤهم غير أعدائنا، قتلتهم السياسة وصرفت المصالح المتوهمة أنظارهم عن الحق فشلّت ألسنتهم حتى عن الذب عن شرف عالمهم الأكبر القرضاوى. أم يكون هذا الموقف خجلا مما صدر عنهم من قبل في شأن ما يسمّى بالثورة "الإسلامية" التي قادها الخميني زعيم الرافضة ومكفّر الصحابة وسابّ الخلفاء الراشدين ومفتي المتعة، فقد أشادوا بهذه الثورة غير المباركة وساندوها وشجعوا العوام على إحترام تلك الشخصيات المتهافتة كحسن نصر الله الرافضيّ ومن قبله الخميني. وما هو والله، ونقولها إحتسابا لوجه الله تعالى، إلا الجهل بالعقيدة والشريعة على السواء، والإرجاء المذموم الذي تشربت به مواقفهم على مرّ تاريخهم.

ووالله إننا لا نرضى أن يهين أحدا من الرافضة الأذلاء عالمنا القرضاوى، مع إختلافنا معه في العديد من القضايا وعلى رأسها ذلك الكيان الذي أنشأه باسم التقارب بين السنة والرافضة! وإتخاذه أحد رؤوس عصابتهم نائبا له!!

ولعل القرضاوي قد عرف الآن أنّ الرافضة لم ولن يكون بينهم وبين السنة تقارب، وما لم يحاوله جهابذة السنة كأمثال بن تيمية والعز بن عبد السلام وبن القيم من مثل هذه الجهود المُجْهَضَة، لم يكن له أن يحاوله. ولعل تلامذة العلامة القرضاوى وتابعى الإخوان أن يفهموا لماذا وقفنا من الرافضة هذا الموقف من قبل ولماذا حذرنا من المنهج الذي يتلون بلون السياسة ولا يستند إلى كتاب أو سنة.

الإدارة في المنـهج الإسلاميّ

دوافع الفرد بين المنـهج الإسلامي والفكر الغربي

لا شك أن المسلمين اليوم هم أحوج ما يـكـونــون للـنظر في تلك القواعد والأسس التي تبنى عليها مناهجهم ، والتي تمثل القالب الفكري الذي تعـالج من خلاله مشكلاتهم ، وتواجه به التحديات الحضارية المحيطة بهم.

وهذه الحاجة ليست نابعة من التشكك في تلك الأسس والقواعد ، فهي أمور قد بنيت على قطعيات الشريعة من الكتاب والسنة ، وما استخلص منهما ، وهي من ثمَّ غير قابله للنقض ولا متعرضة للنقص.

كما أن تلك الحاجة ليست ناشئة من مركب نقص ؛ يواجــه تـلـك الهـجـمة الغربية التي تتهم كل ما لدى المسلمين من معطيات ، فنحاول بالدعاوى أن نؤكد أن ما لــدى المسلمين هو الصواب وهو الحق ، كما يفعل بعض الناس؛

بل إن الحاجة لمراجعة تلك القواعد والأسس نابعة من ضرورة أن يتعرف المسلمون أنفسهم على قوة وعظمة تلك الشريعة الغراء ثم أن يتعرفوا على مواضع تلك العظمة بالدليل والحجة ، لا بمجرد الحديث و الدعوى.

وحتى تؤتي تلك المراجعة ثمارها ، فلا بأس من أن نقابل تلك الأسس والقواعد بما يقابلها مما أفرزته قرائح البشر ، وهدت إليه عقولهم ، وأنتجته سلوكياتهم وأخلاقهم بمعزل عن الهدي الإلهي، فيميز الصواب من الخطأ ويمحص الحق من الباطل ، وكما قيل "بضدها تعرف الأشياء".

من هذا المنطلق، رأينا أن نقدم في مقالنا هذا مقابلة-ولا أقول مقارنة - بين نظرلتين في مسألة من أهم المسائل التي تنبني عليها التصرفات الإنسانية ، ومن ثم توجه النشاط البشري خلال حضارة من الحضارات... وهي مسألة "دوافع الفرد" التي يسعى لتحقيقها خلال سني عمره،بالنظر في تلك المقاصد التي قررتها الشريعة، ودونها علماء أصول الفقه، ومقابلة ذلك بما قرره أحد كبار العلماء في علم النفس الفردي، هو "إبراهام ماسلو"، والذي قدمه في صورة نظرية في الدوافع البشرية عام 1954 في كتاب "الشخصية والدوافع الإنسانية " ، وهي النظرية التي تحكمت إلى حد بعيد في فكر كل من تناول موضوعها من بعده من العلماء أمثال: هيرتز بورج (1959) ، والدرفير (1972).

متسلسلة "ماسلو" في الدوافع الإنسانية ومقاصد الفرد:

قدم " إبراهام ماسلو" نظريته في دوافع الإنسان للمرة الأولى عام1943 في مجلة (المراجعات السيكلوجية) ثم فصلها بعد ذلك في كتابه " الشخصية والدوافع الإنسانية " في عام 1954 ، الذي طبع في أمريكا.

وفي هذه النظرية يفترض ماسلو أن الإنسان إنما يتحرك في حياته من خلال "احتياجات" مادية ونفسية معينة ، تمثل الحافز القاهر الذي يجعله يطلب تلك الاحتياجات ويسعى لتحقيقها واحدة تلو الأخرى.

وقد وضع ماسلو تلك الاحتياجات الإنسانية التي تدفع الفرد أمامها ، على هيئة متسلسلة تتكون من خمس حلقات أو طبقات تمثل كل منها نوعين من الاحتياجات المادية أو المعنوية ، فالفرد - كما يرى ماسلو-يبدأ بالبحث لتلبية الحاجات المادية الأولية التي تحفظ عليه الحياة ، وهي الحاجات الطبيعية(**Physiological Needs**) من المأكل والمشرب وهي "الاحتياجات الدنيا" فإن تحققت تلك الاحتياجات انتقل الفرد إلى المستوى التالي لتحقيق ما أسماه ماسلو بالحاجات الأمنية (**Security Needs**)وهي المسكن والدخل المقبول الذي يكفل الاستمرارية ، وفي المستوى الثالث يسعى الفرد لتحقيق حاجاته الاجتماعية(**Social Needs**) لتكوين العائلة واتخاذ الأصدقاء وممارسة الحياة الاجتماعية بأشكالها المتعددة ، فإذا تحققت الحياة الاجتماعية بقدر مرضٍ ، انتقل الفرد إلى طلب ما هو أعلى، فيسعى لتحقيق حاجات معنوية واقعية كاحترام النفس ، وتحقيق الذات ، والإحساس بالتقدير والنجاح ، وسمو المكانة ، والاستقلالية... فإن بلغ ذلك ارتقى إلى المرحلة النهائية والتي يهدف فيها إلى إبراز طاقاته الكامنة كفرد مبدع ، والحرص على الترقي ومداومة التقدم ، وتظهر هرمية ماسلو في الشكل المرفق:

تفجير الطاقات الإبداعية

احترام النفس

سمو المكانـــــة

الاستقلاليـــــــــة

الحاجات الاجتماعيـــــة

حاجـــــة الشعـــــور بالأمـــــان

الاحتياجـــــات الماديـــــة والبدنيـــــــة

مسلسلة هرم ماسلو

وقد ذكر ماسلو أن عملية الانتقال من مستوى إلى آخر في هذه الهرمية لا يتم إلا إذا أشبعت الحاجات المتعلقة بهذا المستوى ، بمعنى أن الفرد لا يسعى لكسب احترام ، المجتمع أو لتحقيق روابط اجتماعية مالم يحقق حاجة الطعام والشراب والسكن. وتجدر الإشارة إلى أن تلك النظرية التي تعالج الدوافع النفسية لدى الفرد ، إنما هي - كما يظهر من مضمونها - وليدة الفكر الغربي الذي يجعل "الفرد" ومصلحته العليا أولى بالتقدمة ؛ إذ هو الوحدة الاجتماعية الأولية "لا الأسرة كما في المجتمع الإسلامي" ، ونجاح الجماعة إنما يهدف أولاً إلى تحقيق صالح الفرد ، وإلا فلا عبرة ولا دافع له كي يساهم في التقدم الجماعي ، فالفرد في "الغرب" إنما يحترم الجماعة ويعمل طائعاً في إطارها لأنه يعلم بفطرته وبخبرته خلال القرون أن تلك هي الوسيلة الناجعة لتحقيق صالحه هو... من خلال الجماعة ، كذلك فإنها نظرية يمكن أن يقال إنها "وصفية" ؛ أعني هي تصف واقع الفرد كما هو كائن ، ولا تعالج الطموح إلى الترقي أو السمو بالحاجات ، وتقديم ما هو أنفع على غيره كما إنها-بطبيعة الحال - تعالج مقاصد الفرد ودوافعه في حيز الحياة الدنيا ، إذ ليس لدى القوم كبير اهتمام بما عساه يكون في عالم الغيب، وما يتطلبه ذلك الأمر من ضرورة دافعة تجعله يسعى قاصداً لتحقيق احتياجات محدودة تعين على بلوخ غايته.

مقاصد الفرد في المنهج الإسلامي:

في مقابل تلك النظرية الغربية في " الدوافع **Motivation**" يمكن للناظر في أصول الشريعة الإسلامية وقواعدها الكلية أن يستنبط نظرية في "الدوافع" التي تحرك الفرد المسلم وتوجه حركاته وسكناته ، ذلك أن بواعث المسلم ودوافعه تنبع من تلك الفطرة المخلوقة السوية ، التي لم يفسدها الانحراف أو الضلال ، تلك - الفطرة التي تتلقى المنهج الإلهي المقرر ، الذي فصلت جزئياته في الشريعة ، فيصوغ لها قالبها النفسي الذي تتحرك من خلاله في حياتها الدنيا. فالمسلم إذن حين يتحرك من خلال تلك الشريعة ، وفي قالبها ذاته ، إنما تتناغم بواعثه ومقاصده مع ما تهدف إليه الشريعة وتقصده... فمقاصد الشرع - في الإسلام - هي بشكل عام ، "مقاصد الفرد المسلم" ، وهي دالة بطريقة اللزوم على بواعثه ودوافعه ، إذ العلاقة بين دوافع الفرد ومقاصده هي علاقة الفرع بأصله ، وهي علاقة موجبة طردية ، وإن لم يكن محل الحديث عن هذه العلاقة بشكل أوسع في هذا المقام ، فإننا أردنا أن نبين أننا اتخذنا من ، مقاصد الشرع (1) قواعد تهدي إلى "بواعث الفرد" في النظرية الإسلامية.

ينبعث الفرد المسلم في حركاته وسكناته ساعياً نحو تأمين حاجته من متطلبات خمس رئيسية ، تدور حولها سائر حاجاته الإنسانية وهي: الدين ، والنفس ، والعقل ، والنسل ، والمال. وهذه الحاجات الخمس هي التي تبعث الفرد على إتيان أعمال محددة لحفظها ومنع زوالها ، إذ بها تتحقق أقصى مصالحه على وجه الكمال ، سواء في الدنيا أو في الآخرة ،.كما أنه بعدمها يتعرض للتلف الآجل أو العاجل.

فلا عجب أن يكون الحرص على تحقيقها ومنع فواتها ، هو الدافع الأصيل للفرد منذ أن يبدأ وعيه وحتى النهاية ، فالحرص على "الدين" هو الباعث الأول للفرد ، إذ به تتحقق هويته البشرية من حيث هو عبد لله الخالق ، كما ينال ما يتمنى من السعادة الأبدية في الآخرة.

والحرص على النفس هو كذلك أمر فطري يندفع إليه الناس دون حاجة للتعلم أو التوجيه، والحرص على العقل دافع أصيل لدى الإنسان من حيث يحقق له القدرة على السيطرة على مقدراته ، والسعي نحو حماية الأهم من النفس أو الدين ، وحفظ النسل ، الذي يؤمن للفرد شعور الاستمرارية والدوام. ورعاية النبتة التي تحفظ له اسمه

ووجوده ، يمثل ولا شك دافعاً قاهراً للمرء ليحقق ما به قوام تلك الحاجة الأساسية الأصيلة ، والمال الذي هو زينة الحياة الدنيا ، دافع حقيقي للمرء ، يعينه على إبقاء النفس ورعاية النسل ، وإعلاء كلمة الدين.

وتختلف تلك الحاجات ، في شدة أثرها على بواعث الفرد ودوافعه ، قوة أو ضعفاً ، حسب رتبة العمل المقصود ، في تلك الحاجة المحددة ، فإما أن يكون الأمر ضروري ، فيقوى الباعث عليه حتى لا يفتأ المرء يسعى لتحقيقه ليل نهار ، سراً وعلانية ، لا يجد راحة حتى يدركه ، إذ كيف يتركه وهو أصل لا تستقيم الحياة - الدنيا أو الآخرة - بدونه! أو أن يكون أمر حاجي، يرتفع به ضيق الحياة ، وهي من ثم دوافع تستحق السعي والطلب ، مالم تعارض في هذا السعي بضرورة أولى بالتقدمة ، تبعث النفس على تحصيلها بعثاً. ثم أخيرًا تلك الأمور التي تسبغ على الحياة سعتها ، وتستدعي استكمال رفاهيتها ورغدها ، وتحسن وجه الحياة في كافة مناحيها ، وهي لا شك دوافع للمرء تحفزه على طلبها إذ تحقق باستكمالها ما به ضرورات بقائه، وحاجيات حياته.

وأخيراً ، فإن قوة الباعث على تحصيل تلك الحاجات ، تتوقف على أمور ثلاثة أخرى ، تتعلق بأثرها ؛ أهي على الفرد أم الجماعة ؛ أهي شاملة أم محدودة في جزئية معينة ، ثم أهي متحققة الوقوع أم موهومة ، فما هو للجماعة ، تميل نفس الفرد إلى تفضيله عما فيه فائدة شخصية ، وما هو شامل مقدم على ما يعالج جزئية محددة ، ثم ما هو متحقق الوقوع ، لا شك فيه ، تميل النفس إلى السعي نحوه "أكثر مما هو متوهم ، لا يعلم: حقيقة هو أم خيال!.

من خلال ذلك العرض الموجز ، لما عساه يكون قالباً للنفسية الفردية السوية ، في بواعثها ودوافعها نحو تحقيق أعمال تحقق صالحها ورضاها وتشعرها بالكفاية والسمو الداخلي ، تتم المقابلة التي أردنا إليها أولاً. ونلحظ من مقابلة تلك الحاجات التي تمثل القالب النفسي للفرد في النظرة الإسلامية ، بما قدمناه آنفاً من نظرية الدوافع لماسلو ، ذلك الفارق الشاسع سواء في هيكلها أو فرضياتها الأولية أو دقتها وسعتها.

فالنظرة الإسلامية لدوافع الفرد تتميز بإحكام بنائها ، وإحاطتها بكافة ما يعتمل في النفس الإنسانية من عوامل ، كذلك دقة تقديم الأوليات ، حسب ما أدت إليه التجربة البشرية على مدى الزمان والمكان.

وقد اعترض الكثير من الغربيين أنفسهم على متسلسلة ماسلو من حيث هي أغفلت أن الفرد في كثير- بل جل - عمله وحياته يقدم نفسه وحياته أمام حفظ كرامته أو معتقده، وأن الدراسات التطبيقية لم تدعم ذلك التسلسل المذكور.

كذلك فإن هذه النظرة تضع الفرد في محله الصحيح من الجماعة ، من حيث إن أفعاله تنبعث من الحاجة إلى تحقيق صالح الجماعة أولاً... ثم صالحه من حيث هو فرد فيها ثانياً ، لا العكس كما ذكرنا عن النظرة الغربية الرأسمالية ، ولا الترف الشيوعي الذي يسخر الفرد لصالح الجماعة - في زعمهم - لا غير.

---

(1) راجع الموافقات للشاطبي 8/2 وما بعدها.

<u>نظرية »الوسيلة والهدف« في القيادة</u>

<u>ر. ج. هوز(1)</u>

ترجمة: طارق عبد الحليم

هذه الدراسة المترجمة التي نقدمها في مجال الدراسات الاجتماعية، استكمالاً لما قدمناه في العدد الثامن من »البيان« ، هي لعالم الاجتماع الأمريكي روبرت هوز، المتخصص في علم النفس الاجتماعي **Social Psychology** والتي قدم فيها الورقة الأولى لنظرية جديدة في فن القيادة وسماها بنظرية (الوسيلة

والهدف)، وتعني بتحديد المهام الرئيسية للقيادة كما يراها، والتي على رأسها إيضاح الهـدف المنشود، وبيان الوسيلة لتحقيقه، وأثر ذلك على سلوك الاتباع.

ظهرت - في الحقبة الأخيرة - مجموعة من الدراسات في مجال دراسة »القيادة« تعرف باسم نظرية »الوسائل والأهداف«، وحسب هذه النظرية فإن فـعـالــيــة القيادات تتحدد بدرجة تأثيرها على حفز همم المرؤوسين (الاتباع)، ورفع قدراتهم على أداء العمل بفعالية، وتنمية شــعــورهــم بــالــرضا والاكتفاء الداخلي عن العمل، وقد أطلق على هذه النظرية »الوسائل والأهداف« لأنها تـصب اهتمامها على كيفية تأثير القائد على تصورات اتباعه عن »الهدف« من العمل الجماعي، وعن تطلعاتهم الشخصية، وطرق ووسائل تحقيق كلا الهدفين.

الأسس التاريخية للنظرية:

تمتد جذور نظرية »الــوســائل والأهداف« في القيادة، لنظرية أكثر عمومية تبحث في مجال »الدوافع« تعرف باسم نظرية »الـتـوقـعــات« **(Expectations)** وبشكل مختصر، فإن هذه النظرية الأخيرة تنص على أن تصورات الأتباع ومواقفهم يمكن استنباطها من:

أ- درجة اقتناعهم بأن العمل الجماعي الذي يقومون به، سيؤدي إلى نتائج محددة (التوقع) .

ب- درجة تقييمهم لهذه النتائج (التقييم).

ولهذا السبب، فإن رضا الناس عن عمل ما، وما يحققه لهم من شعور بالاكتفاء الداخلي، إنـمـــا يكمن في قناعتهم بأن هذا العمل سيؤدي بهم إلى الوصول لتحقيق،أشياء ذات قيمة عالية في نظرهم.

هذا الأســـاس العـقـلي النظري، يمكن من خلاله التنبؤ بعدد من الظواهر المتصلة بموضوع القيادة، فمثلاً: لماذا تـتـصــرف الـقـيـادات بشكل ما في موقف ما؟ أو كيف يمكن أن تؤثر القيادة على »حفز همم« **(Motivation)** الأتباع على العمل؟

وهذا الأمر الأخير، هو محور اهتمام هذه الدراسة الحالية، وهو أن »همم الاتباع إنما تحفز على العمل حـسـب سلوك القيادة وأثرها في توضيح أهداف العمل وقيمته، ووسائل تحقيق هذه الأهداف«.

وقد طور عدد من الباحثين (إيفانز، هارمر، جرين) في هذا الشأن، بعض الافتراضات المحددة بشأن أثر السلوك القيادي على وسائل وأهداف الأتباع. وقد ركز هؤلاء الباحثون على أمرين:

1 - كيفية تأثير القائد على توقعات اتباعه في أن »الجهد المبذول سيؤدي إلى أداء فعال، ومن ثم إلى نتائج قيمة، ومقابل مجزٍ.

2 -كيفية تحول هذا التأثير إلى دافع لحفز همم الأتباع لزيادة العمل كماً وكيفاً.

وعلى الرغم من أن تنظير فن القيادة من زاوية الوسائل والأهداف للاتباع، يدرج في مراحله الأولى، فإننا نعتقد أن له مستقبلٌ واعدٌ لسببين:

أولهما: أنها تعالج جوانب من سلوكيات القيادة لم تبحث من قبل، إلا أنها تبدو مثمرة.

وثانيهما: أنها تحدد - بدرجة كافية من الدقة - العوامل المختلفة التي يتوقف عليها سلوك القيادة في المواقف المختلفة.

وقد افترض »إيفانز« في بنائه النظري الأساسي، أن فعالية القيادة تتحدد بقدرتها على إتاحة الفرصة للأتباع للوصول إلى النتائج التي يسعون إليها، مع ربط هذه النتائج التي يرجونها بحسن أدائهم للعمل. وقد أوضح »إيفانز« أن أحد مهام القيادة الاستراتيجية، هو إيضاح الوسيلة للأتباع لإتمام وتحقيق عمل ما للوصول إلى نتائج وأهداف ذات قيمة لهم، كذلك فإن من مهام القيادة أن ترفع من درجة »المقابل المتوقع« لدى الأتباع، بأن تكون داعمة لهم عن طريق الاهتمام براحتهم، وحالتهم الاجتماعية والعامة، ذلك أن الإحساس الناشئ لدى الأتباع بأن القيادة تدعمهم شخصياً، هو في حد ذاته »قيمة« مطلوبة كجزاء على العمل والجهد يمكن للقائد أن يمنحها بنفسه، وتؤدي إلى رفع دافعية الأتباع للعمل ومزيد من الجهد.

كذلك فقد درس »إيفانز« العلاقة بين سلوك القيادة من جهة، ودرجة توقع وتطلع الأتباع لتحقيق أهدافهم، وأوضحت هذه الدراسة أنه كلما أعطت القيادة التوجيهات الكافية لأداء العمل، كلما كانت العلاقة بين سلوك القيادة وبين أداء الأتباع طردية إيجابية.

وكما ربط »إيفانز « بين جودة أداء الأتباع، ودرجة قناعتهم بأن عملهم سيؤدي إلى نتائج محددة قيمة، كذلك ربط بين هذا الأخير وبين سلوك القيادة وأدائها، بأن جعل وظيفة القائد الأساسية هي إيضاح الوسيلة لتحقيق الأهداف بشكل لا يشوبه لبس، وجعل النتائج المرجوة مرتبطة بحسن الأداء كما سبق ذكره.

وانطلاقاً من هذا الخط فقد طور »هوز وكيسلر« نظرية أكثر تعقيداً من نظرية »إيفانز".وتسعى هذه النظرية لبيان أثر أربعة نماذج من السلوك القيادي على الأبعاد الثلاثة التالية:

1- رضاء واكتفاء الأتباع بعملهم الجماعي.

2 - قبول الأتباع لقيادتهم، واقتناعهم بها.

3- قناعة الأتباع بأن جهدهم سيؤدي إلى أداء حسن، ومن ثم لتحقيق الهدف المرجو.

هذه النماذج الأربعة القيادية هي:

1- القيادة الموجهة: Directive Leadership

وتعرف بأنها القيادة التي تعرف الأتباع بما هو منتظر منهم، وتعطي التوجيهات المحددة للعمل المطلوب وكيفية أدائه، وتجعل دور الفرد كالتابع معلوماً محدداً في مجموعته. كذلك فإنها تجدول العمل، وتحافظ على مستوى معين من الأداء بالحرص على التزام الأتباع لقواعد وقوانين محددة.

2 - القيادة الداعمة: Supportive Leadership

وتعرف بأنها القيادة المتوددة، القريبة من الأتباع، والتي تظهر الاهتمام بأوضاعهم واحتياجاتهم. وهذه النوعية من القيادة تهتم عادة بالتفصيلات الصغيرة التي تجعل العمل أكثر إمتاعاً، وتعامل الآخرين على أساس من الندية والتكافؤ، وبطريقة ودية دون حواجز.

3-القيادة المشاركة: Participative Leadership

وهي القيادة التي تستشير أتباعها، وتستمع لاقتراحاتهم، وتضعها موضع الجدية والاهتمام والدراسة قبل اتخاذ قراراتها.

4 -القيادة التي تصب اهتمامها على العمل: A chievement-oriented Leadership

وهي التي تحدد أهدافاً عالية لأتباعها، وتتوقع منهم أن يتصرفوا على أحسن مستوى، وأن يكونوا ساعين دائماً لتحسين أدائهم، كذلك فإنها تظهر الثقة في أن أتباعها سوف يتحملون مسؤولياتهم، ويصبون اهتمامهم على إنجاز الأهداف السامية. هذه النوعية من القيادة تؤكد دائماً على سمو الأداء، والثقة في قدرة الأتباع على تحصيل هذا المستوى.

وقد ذكرت بعض الدراسات أن هذه الأنماط المختلفة من السلوك القيادي قد تظهر في قيادة واحدة تبعاً لاختلاف الموقف، فعلى سبيل المثال، قد يكون القائد »موجهاً« في بعض الحالات، لكنه مشاركاً أو داعماً في حالات أخرى. لذلك فإن الطريقة التقليدية في تعريف القائد بأنه »داعماً« أو »مشاركاً« أو »موجهاً« لم تعد بذات نفع، كذلك فإن القيادة تستطيع أن تتخير من أنماط السلوك القيادي ما يناسب الموقف المطلوب لقيادة الأتباع. والنظرية التي كنا بصددها الآن، وإن كانت تعتبر شرحاً مؤقتاً - وغير نهائي - لتأثير سلوك القائد، فإنها غير متكاملة، ذلك أنها لا تتناول بقية أنماط السلوك القيادي، كما أنها لا توضح أثر هذا السلوك على العوامل الأخرى خلاف رضاء الأتباع، وشعورهم بالاكتفاء.

نظرية الوسيلة والهدف:

الافتراضات العامة:

الفرض الأول: أن سلوك القائد مقبول ومرضي للأتباع، إذا كان الأتباع يرون في هذا السلوك مصدراً لتحقيق اكتفائهم ورضاهم الداخلي حالاً أو مستقبلاً.

الفرض الثاني: أن سلوك القائد يجب أن يكون له تأثير »حافزي«، بمعنى أن يحقق زيادة الجهد، حين يرتبط بأمرين:

1- أن يجعل تحقيق احتياجات الأتباع متوقفاً على حسن أدائهم.

2- أن يساعد هذا السلوك على توفير الظروف الملائمة لتحسين الأداء بواسطة التعاون والتوجيه والدعم والجزاء اللازم لتحقيق كفاءة الأداء.

ومن الأبحاث السابقة على نظرية »التوقع« السابق ذكرها، يمكن استنتاج أن مهام الزعيم الاستراتيجية هي:

1- تحديد وحفز احتياجات الأتباع التي تكون للقائد إمكانية السيطرة عليها وتحقيقها لهم.

2 - التركيز على زيادة الإنتاجية الفردية للاتباع لتحقيق أهداف العمل.

3 - تسهيل وإيضاح وسائل زيادة الإنتاجية بالتدريب والتوجيه.

4 - مساعدة الأتباع في الحصول على آمالهم والإفصاح عنها.

5 - تقليل فرص الشعور بالإحباط.

6 - زيادة فرص الرضاء الشخصي للأتباع عن العمل، بشرط حسن أدائهم.

العوامل الشرطية: **Contingency Factors**

هناك فئتان من المتغيرات الظرفية (التغير في الموقف والظروف) يمكن اعتبارهما عوامل شرطية.

والعامل الشرطي: هو المتغير الذي يؤثر على العلاقة بين متغيرين آخرين. مثال ذلك: يمكن القول بأن »هيكلية العمل« (كعامل شرطي) تؤثر على درجة الارتباط بين كل من سلوك القائد التوجيهي (كمتغير أول) وإحساس الأتباع بالرضاء نتيجة هذا السلوك (كمتغير ثان) ففي حالة ارتفاع درجة هيكلية العمل: كلما زادت درجة توجيه القائد لأتباعه، كلما قل إحساسهم بالرضاء عن العمل ونتائجه، والعكس في حالة ضعف هيكلية العمل (أي درجة وضوح المطلوب وتنظيمه) نجد أنه كلما زادت درجة وكمية توجيهات القائد للأتباع، كلما زاد إحساسهم بالرضاء لهذا يمكن القول بأن العلاقة بين درجة توجيه القيادة للأتباع وإحساس الاتباع بالرضاء، متوقفة على (أو مشروطة بـ) هيكلية العمل ودرجة وضوحه.

والعاملان الشرطيان في هذه النظرية هما:

1- الصفات الشخصية للأتباع.

2- الضغوط البيئية التي يجب أن يتلاءم معها الأتباع حتى يتمكنوا من تحقيق أهدافهم، والوصول لإرضاء ذواتهم، وتأمين احتياجاتهم. وبالرغم من أن هناك عوامل ظرفية أخرى تؤثر على تحديد نوعية السلوك القيادي، إلا أنها غير محددة حتى الآن.

الفئة الأولى من العوامل الشرطية (صفات الأتباع): **Subordinates Characteristics**

تؤكد نظرية الوسيلة والهدف على أن سلوك القيادة يكون مقبولاً لدى الأتباع، ما دام محققاً لرغباتهم وآمالهم حالاً أو مآلاً. وتحدد صفات الأتباع الشخصية هذا ا لمفهوم.

فمثلاً، قد أوضح رينون وميتشل باستخدام مقياس »مركز التحكم« أن درجة الفرد على هذا المقياس تؤثر في العلاقة بين السلوك القيادي المشارك، ودرجة رضاء الفرد التابع. وهذا المقياس يعكس رأي الفرد في مدى استجابة البيئة المحيطة لسلوكه وتصرفاته. فبعض الناس يعتقدون أن ما يحدث لهم -من البيئة المحيطة-إنما هو بسبب سلوكهم هم، والبعض الآخر يعتقد أن ما يعرضون له إنما يكون بسبب الصدفة العابرة لا أكثر.

فالطائفة الأولى ترحب بالقيادة المشاركة (نظراً لأن أفرادها يرون أن مشاركتهم في صنع القرار ستنعكس على ما يحدث لهم) أكثر من الطائفة الثانية التي تفضل النمط القيادي الموجه.

كذلك فإن درجة قناعة الأتباع، بتكافؤ إمكانياتهم الشخصية مع الأعمال الموكلة لهم، تعتبر من الصفات الشخصية للأتباع التي يمكن أن تعد من قبيل العوامل الشرطية، فإنه كلما كان الأتباع أكثر إحساساً بقدرتهم الشخصية على أداء العمل المطلوب، كلما قل ترحيبهم بالنمط القيادي الموجه أو السلوك التدريبي، حيث أن ذلك يؤدي إلى تقليص دافعية الأفراد على العمل، حيث يرون ذلك نوعاً من الرقابة التي تضيق عليهم الخناق.

الفئة الثانية من العوامل الشرطية (الضغوط البيئية):**Environmental Pressures**

وتحدد هذه الفئة بمجموعة العوامل التي لا يمكن للأفراد السيطرة عليها، مع أنها لا تزال ذات أهمية بالغة في الوصول بهم إلى درجة الاكتفاء والقدرة على تحسين الأداء. وتؤكد النظرية على أن تأثير السلوك القيادي على الحالة النفسية للأتباع، يتوقف على ظروف بيئية أخرى ذات علاقة بدافعية الأتباع، هذه الظروف البيئية هي:

1- نوعية العمل المنوط بالفرد.

2 - نظام تسلسل السلطة الرسمي للمنظمة.

3 - مجموعة العمل الأساسية التي يعمل الفرد من خلالها.

وتقييم هذه العوامل البيئية يمكن من التنبؤ بدرجة ونوعية تأثير السلوك القيادي على مجموعة معينة من الأتباع.

وتؤثر هذه العوامل الثلاثة السالفة الذكر على الأتباع بإحدى الطرق الثلاث التالية:

1- أن تكون »حاثّة « لدافعية الفرد وانكبابه على عمله.

2- أن تضبط سلوك الأتباع في شكل محدد لصالح العمل وهذه الضوابط تساعد على إبراز آمال الأتباع في أن الجهد سيؤدي للجزاء الحسن، وعلى الحد من تخوفاتهم من حدوث تضارب أو اضطراب.

3- كذلك فإنها تعتبر كمكافآت على بلوغ درجة الكفاءة المطلوبة للعمل فمثلاً: قد يعتبر الفرد أن الثناء الذي يتلقاه من زملائه في مجموعة العمل التي يتبعها، على حسن أدائه، مكافأة إضافية، بغض النظر عن ثناء القائد نفسه عليه. من هنا يمكن القول بأن أثر القيادة على دافعية الأتباع للعمل يرتبط بدرجة تأثير البيئة المحيطة كحاثة للدوافع، أو كضوابط للسلوك أو كعامل جزائي إضافي.

وبالنسبة للبيئة، فإن نظرية »الوسيلة والهدف« تؤكد على أنه عندما تكون أهداف العمل ووسائله واضحة-بسبب طبيعة العمل الروتينية، أو نمطية العادات ووسائل التحكم في الأداء - فإن أي محاولة للقيادة في أن تتدخل لإيضاح العمل ووسائله وأهدافه بشكل زائد ستكون غير ذات نفع، لأنها ستعامل من جهة الأتباع على أنها تدخل مباشر دون داع. وعلى الرغم من أن ذلك قد يؤدي إلى تحسن الأداء بعض الشيء إلا أنه سيؤدي كذلك للحد من درجة رضاء واكتفاء الأتباع في أداء عملهم.

كذلك فإن هذه النظرية تنص على أن سلوك القيادة يساعد على حفز همم العاملين ما دام يساعدهم على التلاءم مع مخاطر ومجاهل البيئة المحيطة التي تأتي من مصادر متعددة لإحباطهم.

ومثل هذا السلوك القيادي الذي يحمي الأتباع من مخاطر ومجاهل البيئة، يؤدي لزيادة دافعيتهم للعمل نحو الهدف، طالما أنه يزيد من قناعتهم بأن حسن الأداء سيؤدي إلى حسن الجزاء.

وهذه الافتراضات، والمواصفات الخاصة بالشروط الظرفية، تقدم هيكلاً مشجعاً يمكن من خلاله بناء وتطوير البحث مستقبلاً للوصول إلى نظرية متكاملة في القيادة.

1-Path-goal Theory of Leadership, HOUSE, R.J and MITCHELL, T.R, Journal of Contemporary Business 1974.P81-94

نموذج اتخاذ القرار

ف.فروم (1)

عرض وتحليل : طارق عبد الحليم

مقدمة :

يعتمد نجاح قيادة ما في أداء مهامها الموكولة إليها على عدة عناصر متداخلة ، تتفاعل لتحقق الهدف الذي ينشده القائمون على هذا العمل ، من تلك العناصر :

1- كفاءة (2) القيادة وفعاليتها (3) في الأداء والمتابعة.

2 - كفاءة الأتباع وفعاليتهم في التلقي والأداء.

3 - درجة الثقة المتبادلة بين الطرفين.

4 - المناسبة (الزمانية والمكانية) للمهام المطلوبة في المواقف المختلفة.

5- الإمكانيات المتاحة اللازمة لأداء الحد الأدنى على أقل تقدير.

ويندرج تحت كل عنصر من تلك العناصر المذكورة عدد من العوامل الفرعية التي تؤثر على الأداء الناجح الفعال لكل من القيادة من جهة ، والمجموعة العاملة من جهة أخرى ، فعلى سبيل المثال ، تتحدد كفاءة الأتباع حسب (المستوى العلمي - درجة التخصص- الصفات الشخصية كدرجة الانضباط.. - درجة التآلف بيد المجموعة - الخلفية النفسية والاجتماعية... الخ).

وحديثنا في هذا البحث يخص أحد مركبات العنصر الأول ، أعني "كفاءة القيادة" وبالتحديد عملية " اتخاذ القرار" ومدى الحاجة إلى المشاركة فيه بين القيادة والأتباع في المواقف المختلفة من خلال نموذج "اتخاذ القرار" الذي قدمه للمرة الأولى العالم الأمريكي فيكتور فروم في مجال علم المنظمات والإدارة في ربيع عام 1973، ثم طورها بعد ذلك بمعاونة آرثر ييتون.

والنموذج يصلح للتطبيق في مستويات الإدارة كافة بواسطة المسؤول سواء كان القائد مع بقية أفراد مجلس الإدارة مثلاً ، أو كان قائداً تنفيذياً مع أفراد مجموعته العاملة.

النظرية :

تقوم تلك النظرية على فرضية أن "مدى الحاجة إلى المشاركة بين القيادة والأتباع في اتخاذ قرار ما تتحدد حسب الموقف ومتغيراته المختلفة ، والتي تملى بالتالي نمطاً قيادياً محدداً يؤدي إلى أفضل النتائج ويعتمد النموذج المقدم على ثلاث قواعد يتم خلالها اختيار ذلك النمط به وهي :

أولاً : الأسس التي يتم عليها تحديد متغيرات الموقف.

ثانياً : الأنماط القيادية المختلفة.

ثالثاً : متغيرات الموقف.

وعلى أساس التفاعل بين تلك العوامل الثلاثة يمكن للقيادة تحديد النمط المطلوب في هذا الموقف المحدد ، وسنتناول باختصار ذكر تلك القواعد.

أولاً : أسس اختيار وتعيين متغيرات الموقف :

- نوعية المشكلة المراد البت فيها (كمية أم كيفية ؟).

- درجة اطلاع القائد وفهمه للمشكلة القائمة نظرياً وعملياً.

- درجة اطلاع الأتباع وفهمهم للمشكلة القائمة.

- درجة إمكانية الحصول على معلومات من خارج المجموعة (بشأن المشكلة).

- تقبل الأفراد لقرارات القيادة وطاعتهم لها.

- درجة الإحساس بالولاء والانتماء للشركة أو المجموعة.

- درجة التعايش والتآلف بين الأتباع.

وتهدف هذه الأسس بجملتها إلى المحافظة على عدة مبادئ منها : (مبدأ التآلف) ، (مبدأ التخصص) ، (مبدأ الحرص على الكيف) ، وعلى أساسها يتم اختيار عدد من الأسئلة التي تمثل متغيرات الموقف الراهن.

ثانياً : أنماط القيادة :

تتحدد الأنماط القيادية بثلاثة أنماط (1،2،3)، يندرج تحتها خمسة أشكال من التصرفات القيادية المختلفة (أ ، ب ، ج ، د ، هـ).

1 - قيادة موجهة متحكمة **(Autocratic)**:

أ- تتخذ القرار بنفسك وحسب معلوماتك الخاصة..

ب - تتخذ القرار بنفسك بعد جمع المعلومات اللازمة من أتباعك.

2 - قيادة مشاورة **(Consultative)** :

ج - تشاور أتباعك بطريقة فردية لمعرفة رأيهم ومعلوماتهم ثم تصدر قرارك بنفسك.

د - تشاور أتباعك بشكل جماعي لاتخاذ القرار بنفسك بعد المشاورة.

3 - قيادة مشاركة **(Participation)** :

- تصدر القرار بشكل جماعي بعد المشاورة وأخذ الأصوات.

ثالثاً - متغيرات الموقف :

وفي عشرة أسئلة بنيت على الأسس التي قدمناها في القاعدة الأولى :

1 - في حالة تقبُّل الأفراد للقرار الفردي ، هل تتأثر النتائج ذاتها بطريقة اتخاذ القرار ؟

2 - هل لدى القائد العلم الكافي لاتخاذ قرار كفء ؟

3 - هل تتوفر لدى الأتباع معلومات (زائدة على معلومات القيادة) تؤدي إلى تحسين الأداء ؟

4 - هل يعرف القائد نوعية المعلومات المطلوبة ، وممن يحصل عليها ، وكيفية جمعها ؟

5 - هل من الضروري أن تتوفر معلومات إضافية لصالح القرار داخل حيز المجموعة ككل ؟

6 - هل من الممكن جمع معلومات إضافية من مصادر خارجية قبل اتخاذ القرار ؟

7 - هل تقبُّل القرار من الأتباع مهم وحاسم لضمان حسن التطبيق ؟

8 - إذا كان من المحتم اتخاذ القرار بطريقة فردية (بنفسك) هل أنت متأكد من تقبل الأتباع له ؟

9 - هل يمكن الوثوق بقدرة الأتباع على اتخاذ قرارات مهمة تتلاءم وأهداف العمل بشكل عام ؟

10 - هل من المحتمل حدوث خلافات بين الأتباع على نوعية الحل ؟

الطريقة :

يمكن اختيار النمط الأمثل للتصرف القيادي (وبالتالي تحديد الأنماط الممكنة في حالة القرارات طويلة المدى) في موقف ما بأن يقوم القائد المسؤول بالإجابة عن الأسئلة السابقة بادئاً بالسؤال الأول... وحسب الإجابة بنعم أو لا ينتقل إلى السؤال التالي حتى يصل - عن طريق الشكل المرفق على هيئة شجرة - ليحدد في النهاية النمط المناسب لاتخاذ القرار.

فمثلاً : في حالة تقبل الأفراد للقرار.

- ولكن النتائج ذاتها تتأثر بطريقة اتخاذ القرار (الفردية أو الجماعية) السؤال رقم (1) - "نعم" ينتقل المسؤول إلى السؤال رقم (2).

- أما إذا كانت النتائج لا تتأثر بطريقة اتخاذ القرار السؤال - "لا" ينتقل المسؤول إلى السؤال رقم (7) مباشرة.

وعند الانتقال إلى السؤال رقم (7) :

- هل تقبل الأفراد للقرار ورضاهم به مهم وحاسم لضمان حسن التطبيق ؟

- فإن كانت الإجابة بنعم... ينتقل المسؤول إلى السؤال رقم (8).

- وإذا كانت الإجابة لا ؛ يكون النمط المناسب هو "اتخذ القرار بنفسك وبمعلوماتك" في حالة القرار ذي التأثير قصير المدى... أو الأنماط ب ، ج ، د ، هـ على التوالي إذا كان القرار ذا تأثير طويل المدى وهكذا.

ومما تجدر الإشارة إليه أن القرارات ذات التأثير المحدد (قصير المدى) تتحدد بالنمط المذكور أولاً في النموذج... ولكن حسب درجة نضوج الأتباع ومع مرور الزمن فإنه من المناسب العدول إلى الأنماط المجاورة على التوالي (بين القوسين) خاصة فيما يخص القرارات ذات التأثير المستمر (طويل المدى).

مثال :

وحتى يسهل الأمر على القارئ ، نعتبر مثالاً يعرض طريقة استخدام النموذج للوصول إلى السلوك القيادي الأمثل.

1- لنفترض أن مديراً لإحدى الإدارات بشركة ما ، يعمل تحت إمرته عشرة من العاملين من ذوي الخبرة المناسبة.

2 - يتمتع العاملون العشرة بثقة المدير بكفاءتهم وحسمن أدائهم للعمل بشكل متكافئ.

3 - أرسلت الإدارة العامة للشركة تطلب ترشيح ثلاثة أفراد من تلك الإدارة لأداء مهمة بالخارج لفترة من الزمان.

4 - يعتبر العاملون ذلك السفر أمراً غير مرغوب فيه ، كما يعلم المدير ذلك حيث يحتاج السفر لتغييرات جذرية في أوضاع الحياة الخاصة للمرشح.

أ - أيتخذ القرار بمفرده ويحدد من يقوم بالمهمة ؟.

ب - أم يشاور العاملين معه فيمن يود الذهاب ؟.

ج - أم يجمع العاملين ويتركهم يقلبون الأمر على وجوهه فيما بينهم لتحديد الأسماء المرشحة ؟.

وللوصول إلى القرار المناسب ، نرجع إلى الشكل المرفق لشجرة القرار ، والأسئلة العشرة.

- السؤال الأول : هل تتوقف النتائج (أداء العمل بالخارج) على طريقة اتخاذ القرار ؟.

والجواب : لا ، حيث إن العاملين العشرة متساوون في الكفاءة ، والخبرة ، ويتمتعون بثقة الإدارة بقدرتهم على حسن الأداء.

- انتقل إلى السؤال رقم (7).

- السؤال السابع : هل تقبل العاملين المرشحين للقرار مهم وحاسم في حسن التطبيق للعمل والقرار ؟.

والجواب : نعم ، حيث إن العامل حين يؤدي أمراً لا يرغب فيه - حتى مع كفاءته وقدرته وخبرته - لا يكون على المستوى المطلوب من العمل.

- انتقل إلى السؤال رقم (8).

- السؤال الثامن : في حالة اتخاذ القرار بشكل فردي ، هل الإدارة متأكدة من تقبل العاملين لذلك القرار دون معارضة ؟.

والجواب : لا ، حيث إن القرار بالسفر سيكون له أثر في الحياة الشخصية للمرشح ، والاحتمال الأكبر أن يلقى الترشيح معارضة ، ما لم تكن الموافقة مسبقة عليه.

وبناءً على ذلك التحليل نصل إلى النمط (هـ) والذي يعني : "أن يعقد المدير اجتماعاً حيث يعرض المسألة على العاملين معه ، ويطرح الترشيح للمناقشة حتى يصل إلى اتفاق على الأسماء الثلاثة.

التعليق :

تعتبر هذه المحاولة التي قدمها "فروم" لبناء القرار على طريقة أكثر عقلية وتحديداً ودقة من باب النماذج **(Model)** التي يمكن احتذاؤها.

ولا يزعم المؤلف - كما لا نزعم نحن - أنها أنضج ما يمكن تقديمه في هذا المجال ، بل ولا أنها تغطي المواقف والاحتمالات كافة التي يمكن أن تواجهها قيادة ما.

ولكن الجديد الذي تقدمه النظرية هو تلك الوسيلة العملية التي يمكن بواسطتها أن يضع المسؤول المتغيرات كافة التي يواجهها على الورق ليكون اختياره أكثر تحديداً ودقة ، دون أن يهمل عاملاً ما ، أو أن يبني قراره على مجرد النتائج التي يهتدي إليها بعقله بعد تقليب الأمر بينه وبين نفسه مما قد لا يستغرق منه سوى لحظات قليلة

، فتارة يشاور مـن معه ، في حين أن المشاورة قد لا تكون في صالح القرار أو الجماعة ككل ، وتارات يتخطى الجميع ليتخذ قراره بنفسه ، في حين هو أقل علماً بالمشكلة من بعض أتباعه الذين تـتـوفر لديهم المعلومات الكافية والتخصص الدقيق.

ومما لا يخفى أنه ليس من المعقول المشاورة في كل أمر صغير أو كبير ، كما أنه لـيـس مـن المشروع الاستقلال بالرأي والاستبداد بالقرار على طول الطريق ، ولنا في رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أسوة حسنة في ذلك الأمر وحدوده حين أخذ بمشورة سعد بن معاذ في بناء العريش في غزوة بدر من حيث هو أهل أعلم وثقة بهذه الأمور ، كما استشار -صـلـى الله عليه وسلم- الصحابة والأنصار على وجه التحديد قبـل الإقدام على الـحـرب في بـدر ، حيث إن موافقتهم كان لها وزن خاص في النـتـائج المرتقبة ، بينما قرر -صلى الله عليه وسلم- بنفسه في حادثة نعيم بن مسعود وإرسالـه ليخذل عن المسلمين إبان غزوة الخندق.

وما يعنينا في هذا الموضع أن نشير إلى أن الأسس التي يقوم عليها تحديد متغيرات الموقف - والتي قدمناها في القاعدة الأولى - ومتـغيرات الموقف نفسها (والتي قدمناها في الأسئلة العشرة السابقة) تخضع للتغيير والتبديل حسـب نوعية العمل وحسب البيئة التي يراد تطبيق النموذج عليها ، بحيث تشمل في كل حالـة ما يناسبها ، وما يغطي احتياجات القيادة ، وقدرات الأتباع والمواقف المختلفة المحتملة.

ولا يفوتنا أن نوجه نقداً حاسماً لذلك النموذج من حيث إهماله - بشكل يكاد يكون تاماً - الحالة النفسية والدوافع الداخلية التي قد يصدر عنها القائد والأتباع على حد سواء في اتخاذ القرارات. وهو - وإن وضع بين الأسس التي يحدد عن طريقها متغيرات الموقف مبدأ "التآلف والتجانس" بين القيادة والأتباع من جهة ، وبين الأتباع بعضهم البعض من جهة أخرى ، إلا أن ذلك لا يعفي من ضرورة اعتـبـار الـدوافع الذاتية الشخصية التي توجه الأفراد حين اتخاذ قرار ما ، والذي قد يتخلى في أثره الجانب العقلي الميكانيكي الذي عالجه المؤلف في نظريته ، بل ويكاد يتحكم لحد كبير في عملية اتخاذ القرارات داخل المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية.

فمثلاً : قد تقرر قيادة ما الاستغناء عن خدمات أحد أفرادهـا ، نـظـراً لـعـداء شخصـي أو حالة نفسية محددة دون الدخول في تفاصيل الأسباب والدوافع ولـكـن قـد يـقـرر فـرد مـا الاستقالة من عمله والانفصال عنه لدوافع خاصة قد لا يصرح بها في غالب الأحوال. وهو الوضع الذي لم يعالجه "فروم" في نموذجه ولم يحـسـب له حـسـابـاً في أسـسـه وقـواعـده وأسئلته على الرغم من أهميته القصوى والحاسمة.

1- VROOM,H.V. (A NEW LooK AT MANAGERIAL DECISION MAKING) Organizational Dynamics, VOL 1973,P 2. 66-80.

VROOM,V&JAGO,A(On the Validity of the Vroom and Yetton Model)Journal of Applied Psychology, 1978, voL 63, P 151-162.

2 - Competence

3 - Effectiveness

من كتب الغربيين

قيام وسقوط القوى العظمى

(1)

بول كنيدي

عرض وتعليق: طارق عبد الحليم

حين تعيش أمة من الأمم حاضرها وتبني مستقبلها ، وهي ذاهلة عن ماضيها ، معرضة عن تراثها بكل ما تحمله الكلمة من معان ، فإنها تكون كالنبتة التي اجتثت من فوق الأرض ، وانقطعت عن أصولها ، ففقدت أصالتها وهويتها التي تعينها على البقاء ، لذلك لن تلبث إلا أن تموت .

وحين تغفل أمة عن حاضرها ومستقبلها ، وتكتفي بأن تعيش على ذكريات ماضيها السالف ؛ تجتر أحداثه وتردد ما كان لها به من مجد مؤثل دون أن تستلهمه العبرة لحاضرها ومستقبلها ، ليكون بناؤها مؤسساً على قواعد راسية ، فإنها تكون كمن يُخدع بالسراب حتى يموت ظمأ .

والأمة القوية - أمة الوسط - تصل ماضيها بحاضرها ، وتمهد بهما معاً طريق المستقبل ، من هنا تبرز أهمية علم "التاريخ" الذي يعرض أحداث الماضي كما كانت ، ثم علم "فلسفة التاريخ" الذي يحاول استجلاء السنن الاجتماعية الكامنة وراء تلك الأحداث ، كما يحاول علم الفيزياء أن يستنبط السنن الطبيعية التي سنها الله -سبحانه- لعالم المادة ... ومن هنا كذلك ، تظهر أهمية التعرف على ما يستجد من محاولات في هذا الباب .

من هذا المنطق ، وحرصاً على اطلاع القارئ على ما يستجد من مساهمات بارزة في هذا المجال ، فإننا نقدم - في هذا المقال - كتاباً احتفلت به الدوائر العلمية والثقافية في العالم أجمع ، بل وأشار الكثير منها إلى أنه يعد من أهم الأعمال المتعلقة بالتاريخ السياسي والاقتصادي العالمي في هذا القرن . والكتاب بالفعل جدير بأن يطلع عليه المسلمون للتعرف على ما يقدمه الغربيون من تفسير للتاريخ الاقتصادي السياسي وما يتوقعونه ، بناء على ذلك التحليل لصورة العالم في العقود القادمة .

أولاً: العرض :

ينقسم الكتاب الذي يقع في 698 صفحة من القطع المتوسط ، إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي: الاقتصاد والاستراتيجية في عالم ما قبل التصنيع ، وفي فترة التصنيع ، واليوم وغداً ، هذه الأقسام الثلاثة مقسمة بدورها إلى ثمانية فصول ، سنقوم بعرض محتوياتها في السطور التالية .

في البداية يقرر الكاتب بإيجاز أن القوى النسبية بين الأمم الدائرة في العالم لا تظل ثابتة ، وذلك لاختلاف معدل النمو بين تلك الأمم ، إلى جانب الطفرات التكنولوجية التي تميز مجتمعاً عن الآخر ، ثم يبسط المؤلف نظريته عن ظاهرة بروز قوة دولية جديدة على المسرح العالمي ، واندفاعها لتقهر من حولها ولتحتل مكاناً بارزاً بين بقية القوى العظمى بأنها ترجع إلى ذلك التوازن الدقيق بين القوة "العسكرية" لتلك الأمة وبين قوتها "الاقتصادية". وبشكل أكثر تفصيلاً فإن الانفاق القومي على القوة العسكرية التي تحفظ كيان مجتمع ما يجب أن يتوازن مع ما تنفقه تلك الأمة في سبيل تنمية مواردها الاقتصادية وتقدمها العلمي التكنولوجي ، والخلل في تلك النسبة - لصالح أي الطرفين - هو السبب الرئيسي في اندحار تلك الأمة وأفول نجمها ، إذ لو طف ميزان القوة العسكرية لصالح التقدم العلمي والاقتصادي لصارت الأمة نهباً للطامعين ومرتعاً للغازين المترصدين لها من كل جانب ، ولو تغلبت آلة الحرب العسكرية على المؤسسات الاقتصادية والعلمية ، وابتلعت قوة الأمة لصالحها ، فإنها لن تلبث وسائلها وأجهزتها العسكرية أن تغدو قديمة أمام ما يستحدث من وسائل متطورة في حوزة الأمم الأخرى ، مما يجعلها تقهر عاجلاً أو آجلاً .

هو إذن ميزان دقيق يتراوح بين القوة العسكرية ودرجة التسلح من ناحية ، وبين القوة الاقتصادية التي تحفظ على الأمة مواردها وتقدمها من ناحية أخرى ، وكلاهما مكمل للآخر ، وكما يقرر المؤلف "آسفاً" فإن القوة لازمة لضمان التقدم والرفاهية ، كما أن التقدم المادي ضروري لحيازة القوة وضمان سيطرتها .

ويرسم الكاتب في الفصل الأول صورة متكاملة للمسرح العالمي حوالي عام 1500 ميلادية ، حيث تركزت القوى العظمى في خمسة مراكز: امبراطورية مينج الصينية ، الامبراطورية العثمانية وتوسعاتها في الهند ، امبراطورية مسكوفي في شمال آسيا ، ودولة تاكوجلوا باليابان.. إلى جانب تلك المجموعة من الدويلات المستقلة المتناحرة في غرب أوربا ، تلك المجموعة التي لم يكن هناك في ذلك الوقت ما يدل أي دلالة على أنها ستحتل المركز القيادي الذي تحتله في عالم هذا القرن ، ولعل أهم ما ميزها عمن حولها من قوى عظمى هو أن تلك

القوى كانت تعاني من عيوب السلطة المركزية التي بنيت -كما يرى المؤلف - على أسس فكرية عملية ، نمطية لاتسمح بإبداع أو تغيير ليس فقط في مجال الدين أو المعتقدات بل حتى في المجالات التجارية والعسكرية .

ويرجع الكاتب السبب في تطور أمم أوربا الغربية إلى ذلك التحرر السياسي من وطأة أية سلطة مركزية عليا ، مما جعلها تنمو وتندفع في طريق التقدم دون عوائق ، كذلك بسبب تلك المخاوف التي كانت تسودها من جيرانها ، فإنها قد حققت تطوراً في مجال التسلح بشكل متصاعد ، جعلها تسيطر أخيراً على العالم المتحضر .

وقد قاومت أوربا بالفعل محاولتي السيطرة اللتين هددتا الاستقلالية الأوربية من قبل الأسبان وعائلة هابسبورج النمساوية خلال فترة المائة والخمسين عاماً التالية للقرن السادس عشر ، وكادتا أن توقفا عملية التقدم التي كانت قد بدأت تشق طريقها بالفعل ، كما أوضح الكتاب في فصله الثاني .

أما الفصل الثالث فقد عالج الفترة بين 1660 ــ 1815 م ، حيث أخذت بعض القوى العظمى في الانحدار ، مثل أسبانيا وهولندا ، وظهرت قوى أخرى هي: انجلترا وفرنسا وروسيا والنمسا وبروسيا ؛ تلك القوى التي حكمت حركة العالم خلال القرن الثامن عشر . وقد عزا المؤلف ذلك لحسن إدراك تلك القوى لما يحتاجه عصرها من سيطرة بحرية ، وحيازتها لأساطيل هائلة تجوب البحار بحثاً عن الموارد الاقتصادية الجديدة .

وقد أشار الكاتب في الفصل الرابع إلى ذلك التوتر النسبي الذي ساد العالم - خاصة الولايات المتحدة وروسيا في محاولة توحيد الكتلة الجغرافية السياسية لكل من الدولتين - خلال القرن التاسع عشر ، وما مهد لانجلترا أن تحتل موقع الريادة في الاستفادة من الثورة الصناعية ومنجزات عصر البخار للدرجة القصوى سواء على الصعيد الاقتصادي أو العسكري ، وفي هذه الفترة ذاتها تخلفت دول كإيطاليا وفرنسا عن مركز الريادة لتحتله قوى أخرى قد تكون هي الوحيدة التي أُهلت في هذه الفترة لتشق طريقها في سبيل إحراز القوة والسيطرة ؛ وهي ألمانيا إلى جانب الولايات المتحدة وروسيا واليابان خارج نطاق أوربا الغربية .

وقد تميز النصف الأول من القرن العشرين بأنه كرس "عالم القطبين" الشرقي والغربي ، بعد ظهور القوة الأمريكية الهائلة على مسرح السياسة الدولية ، وكذلك دولة روسيا تحت النظام البلشفي . أما ألمانيا فقد أجبرت القوى الكبرى أن تقف في وجهها لتمنعها من تحقيق سيطرة امبراطورية مركزية لم يعد أوانها في عالم القرن العشرين كذلك تميزت تلك الفترة بما أسماه الكاتب "أزمة القوى الوسطى" وهي الدول التي لم تبلغ مدى القوى العظمى في الاقتصاد والقوه ، ولم تنحدر إلى حد التخلف والتبعية كما هو حال "الدول النامية".. وهو موضوع الفصلين الخامس و السادس .

ويلقي الكتاب في فصليه الأخيرين الأضواء على عالم السبعينيات والثمانينيات ، محاولاً التنبؤ بناء على الرؤية التاريخية والمعطيات الحاضرة ، بما عساه يكون صورة للقوى العظمى الآخذة في الظهور والأخرى الآخذة في الانحدار و الأفول .

ويقرر المؤلف أن مركز الثقل العالمي يتحرك باتجاه دول منطقة الباسفيك - شرقية وغربية - كاليابان في المقدمة ، وهونج كونج وسنغافورة والصين ، وكذلك الولايات الشرقية الباسيفيكية لأمريكا وكندا ، وهو يؤيد ذلك بإحصائيات عديدة تؤكد أن معدل النمو الاقتصادي لتلك الدول يتجاوز معدلات نمو بقية الدول حتى العظمى منها بدرجة كبيرة ، ويعلل الكاتب ذلك حسب نظريته في التوازن الاقتصادي العسكري بعدم إنفاق تلك الدول على ميزانيات دفاعها ما يخل بذلك التوازن .

ثانياً : التعليق:

وقد قصدنا - بعدما قدمناه من عرض سريع لمادة الكتاب وموضوعه -إلى تقديم بعض الملاحظات ، وإبراز بعض النقاط التي تعين القارئ على استكمال الفائدة منه ، كما تعين قارئ المقال على إعمال الفكر فيما أثرناه ، من خلال عرضنا للموضوع وتعليقنا عليه .

وأول ما نثبته من الملاحظات هو أن الكتاب يعتبر تحليلاً للتاريخ الاقتصادي السياسي ، وليس معالجة لظهور الحضارات وانهيارها كما عالجها المؤرخون أمثال توينبي في دراسته للتاريخ ، وهو أمر لم يدعِهِ الكاتب لمؤلفه كما يظهر من عنوانه الجانبي ، والفارق بين النظريتين فارق كبير إذ كافة ما عالجه الكاتب من قوى إنما ينتمي إلى حضارة واحدة ، الحضارة الغربية بوجهيها الشيوعي والرأسمالي اللذين يشتركان في أصل النظرة المادية العلمانية .

أي إن الكتاب قد تركز حول القوى الغربية - أعني الدائرة في حيز الحضارة الغربية الحديثة - بصفتها الغالبة في عالم اليوم ، ولم يلق بالاً لتحليل ما قد ينشأ من قوى خارج محيط الغرب وفي بقاع أخرى من العالم .

والكتاب قد بنيت فكرته الرئيسية على أن التاريخ إنما يصاغ بتأثير القوى العسكرية الاقتصادية ، وأغفل تلك الايديولوجيات التي تصنع تلك القوى وتدفعها للظهور بادئ ذي بدء.. فهو يصور العالم على أنه ساحة صراع اقتصادي مغلف بالصراع المسلح ، ليس إلا... هذه الصورة وإن كانت تبدو صحيحة للنظرة العجلى إلا أنها تتجاوز بعداً أساسياً ، بل البعد الأساسي في صناعة أحداث التاريخ... الفكر والايديولوجية ، خاصة في عالم "القطبين" اللذين ظهرا أساساً نتيجة لايديولوجيات فكرية معينة لا تزال آثارها تحرك العالم وتشكل قالبه الحاضر . وإن التقارب الشرقي الغربي الذي يلحظه المراقب لمجريات السياسة العالمية اليوم لا يجب أن يبرر بأنه تنازل عن عالم المبادئ والايديولوجيات الفكرية ليحل محله عالم المال ، بل إنه أقرب لأن يكون أيديولوجية جديدة يتحرك بها القطبان الشرقي الشيوعي والغربي الرأسمالي كل لصالحه ، ثم لا ننسى أن كلا الكتلتين إنما ينتميان لقالب حضاري مادي واحد فما المانع إذن أن يتقاربا حين تدعو الحاجة لذلك ، بل وتلح عليه إلحاحاً!

كذلك فإن الكاتب قد سوغ سبب نهضة دول أوربا الغربية ، وتفوقها على كافة معاصرها من الامبراطوريات المنهارة ، بأنه يعود إلى تلك السلطة المركزية العليا التي كانت سمة مشتركة لتلك الامبراطوريات ، والتي لم تقصر سيطرتها على النواحي الدينية أو الأخلاقية ، بل قد تدخلت حتى في الجوانب الاقتصادية والعسكرية لتحافظ على نمطيها.. وتلك كان غلطتها القاتلة .

والحق أن ذلك التعليل ، وإن كان يحمل حقاً لاشك فيه ، إلا أنه لا يجب أن يحمل على إطلاقه ، فنحن نرى أن أوربا الغربية نفسها تتحرك اليوم نحو إيجاد سلطة مركزية بدرجة ما تتمثل في السوق الأوربية المشتركة ، توحيد العملة الأوربية وغير ذلك من المظاهر ، بل إن القوة العظمى في عالم اليوم ، الولايات المتحدة الأمريكية ، قد نشأت من اتحاد فيدرالي بين ولاياتها التي تتجاوز الخمسين ولاية ، تخضع كلها لسلطة مركزية عليا واحدة ، والأمر كما نراه ليس أمر مبدأ السلطة المركزية في حد ذاتها ، بل هو في خطأ التطبيق ، الذي يؤدي بأية سلطة مركزية ، حين تفقد القدرة على الرؤية الصحيحة ومتابعة ما يجري حولها بوعي ويقظة ، وحين تقل ثقتها في اتباعها ومنفذيها ، مما يؤدي إلى وأد القوى المبدعة والقدرات البناءة في مهدها ، وإهدار فرص التقدم وإمكانيات التطور لدى الأمم والمجتمعات .

1- **THE RISE AND FALL OF THE GREAT POWERS . Economic change and Military conflict from 1500 - 2000, PAUL KENNED,**

والمؤلف بول كندي أستاذ التاريخ بجامعة (بيل) وقد نشرته مؤسسة (هايمان) باللغة الإنجليزية عام 1988 .

"الحرب العظمى من أجل الحضارة" - "السيطرة على الشرق الأوسط"

صدر منذ أيام قليلة، في الإسبوع الثاني من الشهر الحالي كتاب لمحرر وكاتب ومراسل صحفيّ بريطاني عرفته أوساط الصحافة العالمية أميناً في نقله موثّقاً في مصادره، عادلا في حكمه، دقيقاً في تحليله، عُرِف بفهمه الدقيق لمشكلات الشرق الأوسط خاصة، ولخريطة السياسة العالمية ودوافعها الخفية عامة. الكاتب روبرت فيسك، والكتاب "الحرب العظمى من اجل الحضارة: السيطرة على الشرق الأوسط"(1)، ويقع في 1107 صفحة من القطع الكبير. وقد عُرِف عن فيسك تعاطفه الشديد مع المسلمين وفهمه مشكلاتهم، بالقدر الذي يسمح لكاتب غربي مسيحي أن يتفهم مشاكل المسلمين ويعيش مشكلاتهم، وما يتعرضون له من مؤامرات بدأت منذ بداية سقوط الإمبراطورية العثمانية مروراً بغزوة الفرنسيين للشرق، ثم السيطرة الأنجلوسكسونية وما تبعها من الصراع الأمريكي الأنجلوسكسوني لإستبدال المعتدي المستعمر وأخيرا الحرب الأمريكية المعلنة على الإسلام والمسلمين من أجل السيطرة على البترول والقضاء على الإسلام.

وسأكتفي في هذا المقال القصير بترجمة ما جاء في تقديم الناشر للكتاب، تعريفا مجملا بما فيه، ذإذ سآخذ في تلخيص الكتاب تلخيصا وافيا إن شاء الله تعالى، لأقدمه إلى قراء العربية كما قدمت من قبل أعمال العديد من كتاب الغرب تمهيدا لهذا الفكر أن يتضح لأهلينا بما فيه من سلب وإيجاب، وإنصاف وإنحراف.

"إبان سنيه الثلاثين التي قضاها الكاتب المحرر روبرت فيسك، مراسل الإندبندنت، في تحريره عن الشرق الأوسط، غطى فيها غالب أحداثها الرئيسة، من الحرب الأهلية الجزائرية، إلى الثورة الإيرانية (الشيعية)، إلى حادث الرهائن الأمريكيين في بيروت، وحرب العراق-إيران، وغزو روسيا لأفغانستان، وإسرائيل للبنان، إلى الحرب الحالية الدائرة في العراق.

وبعاطفة جياشة نحو هذه المنطقة من العالم، وبسعي حثيث للوصول إلى الحقيقة، تمكن روبرت فيسك من أن يتعرف على الشرق الأوسط ويتغلغل في حياة أهليه ما لم يتمكن منه غيره من الصحفيين. وكانت نتيجة ذلك تقارير أقل ما توصف به أنها مبهرة. إن شهادته العينية التي لا ترقى إليها الغفلة على فظائع هذه الحروب تجعله بلا جدال في

مصاف أكابر محررى الحرب العالمية الثانية. إن وصفه لحياة هؤلاء الذين رمت بهم الأقدار في خضم العشوائية الحربية، وتلك الحروب ذاتها، لتجتمع فيها البشاعة والرقة في آن واحد!

وهذا الكتاب يتميز بتسليط الأضواء على الأحداث بوضوح ومباشرة. فهو يعود بالبحث إلى تاريخ طويل من الغزو والإحتلال والإستعمار في هذه المنطقة. وقد اتضح من سياق المعلومات التي جاء بها الكاتب كيف أن تاريخ طويل من الظلم قد حطّ على الشرق الأوسط حربا لا تخمد. وقد أوضح الدور الذي لعبه الغرب في تمهيد هذه الحياة التي تبدو لا نهاية لحروبها وأنموذج حياتها اللاهث، كما تتبع نمو الدور الغربي وسيطرته ونفوذه، وكذلك مساندته لأسوأ النظم السياسية الدكتاتورية الخربة في الشرق الأوسط خلال القرن الماضى من الزمن. كما أوضح الكاتب التزايد المضطرد لنفوذ الولايات المتحدة وتواجدها العسكري في المنطقة مما أدى إلى نمو العداء للغرب ولأمريكا على وجه الخصوص بين الشعوب المسلمة في هذه المنطقة ...

وأخيرا، فإن هذا الكتاب يمثل دور الصحافي في الحرب، مقدماً الحقائق غضّة صحيحة، مراقباً لمراكز القوة وصنع القرار ومتحدياً لها - خاصة حين يكون السياسيون هم الذين قد ساقوا شعوبهم للحرب، ومقاوماً ذلك التعصب والحزبية المتزايدة في أوساط الإعلاميين حين يحين وقت الحقيقة..."

هذه كلمات الناشر، وهي تكفي لتعريف قرائنا بهذا العمل، إلى أن نقدّمه مفصّلا إن شاء المولى عز وجلّ.

<u>الغطرسة الإمبريالية : لماذا يخسر الغرب الحرب على الإرهاب[22]</u>

تقديم وتحليل

صدر في الآونة الأخيرة، منذ حادث الحادي عشر من سبتمبر، عدد من الكتب التي تناولت العلاقات الغربية الإسلامية بشكل عام، والحرب الأمريكية المستترة على الإسلام، تحت إسم الإرهاب، بشكل خاص منها على سبيل المثال لا الحصر[23] "ضد كل الأعداء"[24] لخبير الأمن القومي ريتشارد كلارك وهو الكتاب الذي اكتسب شهرة واسعة لعلاقة مؤلفه الوطيدة بنظام بوش ومعرفته بما يرتكبه من جرائم في حق شعبه وحق العالم أجمع.

إلا أن الكتاب الذي نقدمه إلى قراء العربية اليوم هو كتاب فريد في بابه، إذ إن الكتب الأخرى تنتقد سياسة بوش من حيث فشله في حماية الشعب الأمريكي، وكذبه المفضوح على شعبه في مبررات الحرب وعدم وضوح أي استراتيجية محددة لإدارته في مواجهة الأوضاع القائمة في العالم اليوم. وهذا الكتاب يتعدى ذلك، ولأول مرة، إلى تقديم تحليل حقيقي أمين واضح الرؤية لأسباب الأزمة بين المسلمين والإدارة الأمريكية بزعامة بوش الصغير.□ والكاتب،حتى لا ننساق بما يقرر من أمور صحيحة وإن كان منصفا في تحليله إلا أنه ناصح لقومه في هذا الأمر بما يجب أن تكون عليه السياسة الغربية لمواجهة "العدو". ولكن لنا أن نقول إنصافا "عدو عاقل خير من صديق جاهل" فما بالك بعدو جاهل كالإدارة الأمريكية الحالية!

والكتاب يقع في 263 صفحة من القطع المتوسط، وينقسم إلى مقدمة وثمانية فصول. هذه الفصول هي:

1. **بعض أفكار عن "قوى الكراهية المركزة والمؤصلة".**
2. **الإنغماس الجاهل وغير المعدّ له إلى الهزيمة - أمريكا في أفغانستان.**
3. **لا اندحار ولا تراجع – القاعدة: مقاومتها، اتساعها وانطلاقها.**
4. **كيف يرى العالم بن لادن: قائد إسلامي وبطل يلمع نجمه؟**
5. **آراء بن لادن في العالم: قديمة وجديدة مع بعض التحوير.**
6. **الغطرسة المفرطة: الحاق الهزيمة بأنفسنا – اللاحرب، تسريب المعلومات والديموقراطية المصدّرة:**
7. **حين يعد العدو مسرح العمليات: كيف يعين غباء أمريكا العنيد أعداءها.**
8. **طريق المستقبل: بعض أراء ومقترحات للمناقشة.**

وقد حاز الكتاب على شهرة واسعة في الغرب وتحدثت عنه وسائل الإعلام الغربية بكثافة لما أحاط بشخصية مؤلفه من غموض ولما يحتوى على آراء جريئة لم تعرض على المواطن الأمريكي من قبل. أما عن شخصية الكاتب، فقد وضع على الكتاب إسم "كاتب مستتر الهوية". كما أن أجهزة الإعلام حين استضافته للحديث عن الكتاب فبيل إخراجه كانت تغطى وجهه كيف لا يظهر على الشاشة. إلا أنه أصبح من المعلوم أن هذا الكاتب هو خبير مكافحة الإرهاب في السي آي آ □□□ "مايكل شوور □□□□□□□□□□□□□□□□□□□". وإنما الخفاء في الإسم والهوية يرجع إلى حساسية عمله في وكالة الإستخبارات الأمريكية، وحرصا على عدم إعطاء الإدارة الأمريكية –

---

[22] "Imperial Hubris, Why the West is Losing the War Against Terror?", By Anonymous أي **مستور الهوية** August 2004.

[23] من هذه المراجع المفيدة: "American Dynasty" by Kevin Phillips, "The Bush Betrayal" by James Bovard, "Cruel and Unusual" by Mark Crispin Miller, "The Lies of GW Bush" by David Corn.

[24] "Against All Enemies", by Richard Clarke.

التي عرف عنها الهجوم الشرس والتجريح لكل من يعارض سياستها – الفرصة للنيل منه، كما تذود عنه هجوم اللوبي اليهودي الشرس في أمريكا لما ذكره من ضرورة مراجعة السياسة الأمريكية بشأن إسرائيل.

ومما يجدر بالذكر أن الكاتب المعروف إريك مارجوليس قد قرّظ هذا الكتاب في مقال بصحيفة التورونتو ستار بتاريخ 12 سبتمبر 2004، وقال إنه كتاب "يجب على كل عاقل قراءته" كما قال إنه "أخيرا فإن هناك من عنده الشجاعة في واشنطن لتحديد أسباب العنف التي نعيشها" وأن"يبلغ الأمريكان أنهم قد بدؤا حربا خاسرة على □□□ بليون مسلم"[25].

وسنتناول الكتاب بالنظر في كل فصوله، حاكين عن المؤلف في غالب الأمر، متحدثين بلسانه، ومحللين إن رأينا فائدة للإضافة إلى محتواه. وستكون الحكاية أمينة دقيقة إن شاء الله وإن كانت شبه حرفية إلا في مواضع محددة نقلناها نصاً، إذ أن الترجمة الحرفية لا تليق بمقال عن الكتاب وحريّة أن تترك لمن يريد أن يترجم الكتاب للنشر كاملا، وما نراه إلا حريّ بالترجمة الكاملة.

1. __الفصل الأول: بعض أفكار عن "قوة الكراهية المركزة والمؤصلة":__

يبدأ الكاتب بتقرير أنه لا يريد أن يدخل في تفاصيل إن كانت تعاليم بن لادن وإرشاداته هي من صلب الإسلام حقيقة أم أنه مجرد قاتل متعصب لا خلاق له كما يدعي سياسيو الغرب، وهما في رأيه مقدمتان كلتاهما خطأ. ثم ينتقل إلى نقطة غاية في الأهمية إذ تعكس دقة فهمه للوضع الإسلامي أو المشكلة الإسلامية إن صح التعبير، وهي أن المسلمين كافة، من أقصى اليسار المتعصب كبن لادن إلى أقصى اليمين "المعتدل" كجماعة التبليغ والإخوان، سواء منهم من يقبل بالمواجهة العسكرية أو يرفضها، فهم يحبون الله ورسوله[26] حبا لا يدركه أو يفهمه المسيحيون، وإن كان المسيحيون، خاصة الأفنجليكيون منهم، يحبون إلههم كذلك□(أصحاب اليمين المتطرف مثل بوش الصغير) إلا أن الفرق الذي بين المسيحيين وبين المسلمين أن حب المسلمين لدينهم يدفعهم – كما دفعهم طوال 14 قرنا الماضية - إلى حمل السلاح في سبيله، أما المسيحيون فهم لم يعرفوا مثل هذا الأمر إلا مرتان: حين طرح البابا صكوك الغفران لتحريك الجماهير لنصرة الحروب الصليبية وكذلك في إبان المواجهة الكاثوليكية البروتوستانتية. ويقرر أن المسيحيين حتى المتعصبين منهم من اليمين المتشدد يقبلون بفصل الدين عن الدولة وأن تكون كلمة الإنجيل في المقام الثاني بعد كلمة البشر، وهو الأمر الذي لا يقبله المسلمون قط.

ثم ينتقل من هذه النقطة إلى القول بأن كل قول يصدر عن متديني الغرب ومعلميهم الدينيين فيه مساس بالإسلام أو الله أو رسوله، فإنه يؤخذ مأخذ الجدّ في بلاد المسلمين، ويراه الناس على أنه تعد على دينهم وهو ما لا يمكن القبول به، مثل أقوال بات روبرتسون، جيمي سواجرت، فرانكلين جراهام الذي قال "إن الإسلام دين بغيض"، وغيرهم، ممن بينهم وبين الإدارة الأمريكية الحالية علاقة وثيقة قائمة على الإشتراك في هذه الآراء.

وينتقل بعدها إلى مفهوم **الجهاد** ويقرر أنه من الأهمية بمكان في عقيدة المسلم حتى أنه يمكن أن يعتبر الركن السادس للعقيدة عند الغالبية، وأنه – بحق – ينقسم إلى جهاد طلب، وهو ما يجب أن لا تخشاه الولايات المتحدة حاليا لقوتها وضعف المسلمين، وجهاد دفاع وهو ما يجب أن تتفهمه أمريكا والغرب جيدا إذ أنه – كما يقول – سيكون سببا في حرب دائمة لن تنتهي ولا حتى في عصر أبنائنا. ويقرر الكاتب أن الإسلام يزرع في نفس المسلم، بمثل هذه المحبة التي تحدث عنها سابقا، عدم قبول أي اعتداء على حرمته وعلى الله أو رسوله أو السنة. وأنه حينئذ يكون الواجب في الدفاع عن الإسلام فرض عين على كل واحد من المسلمين، لا كما في

---

[25] راجع المقال في عنوان
http://www.canoe.ca/NewsStand/Columnists/Toronto/Eric_Margolis/2004/09/12/626001.html

[26] يستعمل الكاتب تعبير الله ورسوله Allah and His Messenger

جهاد الطلب الذي يشترط له إمام وجيش. وهذا الجهاد هو ما حدث على مر التاريخ في مئات من المعارك لرد العدو عن بلاد المسلمين.

ثم ينتقل إلى نقطة أخرى في غاية الأهمية، يبنيها على ما قرره سابقا فيقول "وبعد تقرير ما ذكرت....فيجب أن نفرق بين ما يمكن أن يجده المسلم مقبول لديه، وما لا يمكن السكوت عليه بناءا على ذلك الفهم للجهاد الدفاعيّ"[27] . ويبين بحق أن ما ينشره سياسيو الغرب من أن بن لادن والمسلمون يهاجمون الولايات المتحدة والغرب "لأنهم يكرهون طريقة الغربيين في الحياة ولا يحبون الديموقراطية" هو دعاية في غاية الخطأ والخطورة، وأنه لا يمكن تصور، بل ولا يوجد من قواد الحركات الإسلامية اليوم، بما فيهم بن لادن والظواهري، من يهاجم أمريكا لموقفها من قضية الإجهاض أو تحرير المرأة أو زواج الشواذ أو الديموقراطية على النهج الغربي، رغم أنهم يكرهون هذه الأفعال ولا يرضونها.

ثم ينتقل بعد ذلك إلى السؤال الطبيعي: لماذا إذن هذه الكراهة، فيقرر بحق أن المسلمين الذين يهاجمون الغرب إنما يفعلون ذلك لأنهم يرون أن الغرب يتدخل في شؤونهم ويعتدى على حرمة دينهم ويريد القضاء على إسلامهم وتغيير هويتهم، وهو غير مقبول حتى للعامي منهم كما أسلف. يقول "من الجائز أن كثيراً من المسلمين لا يحبون ما نحن عليه، ولكن هذه الأشياء التي يكرهونها فينا نادرا ما تدفعهم إلى الهجوم علينا"[28]. السبب – كما يقول – كامن في سياسات أمريكا تجاه المسلمين وفي بلادهم وخاصة ما يظهر لهم من أنه هجوم على الإسلام وعلى إلههم وعلى أرضهم.

ثم يتساءل: هل أعمال وسياسات أمريكا توحى بالفعل بهذا الموقف العدائي من المسلمين والإسلام؟ ويجيب "للأسف، نعم". ثم يناقش ثلاثة نقاط عامة يرى أنها تجعل أمر السياسات الأمريكية يبدو كأنه عداء للإسلام للناظر اليه[29]:

1. **تحدى كلمات الله**: ويتمثل في:
   a. إعلانها عن تجريم الجهاد الدفاعي واعتقال المئات دون جريرة.
   b. إجبارها النظم السياسية في البلاد الإسلامية على إيقاف كل مساعدة خيرية إسلامية.
   c. مطالبتها للنظم السياسية الإسلامية بتغيير مناهجها التعليمية لتقليص حجم الدين فيها.
2. **الهجوم على الإسلام وتجفيف موارده**:
   a. تشجيع أمريكا ومساندتها للطوائف غير الإسلامية في صراعها مع المسلمين كما في كشمير أو الفليبين.
   b. مساندتها للنظم القمعية كنظام الكويت والسعودية والإمارات ومصر والأردن، وهي نظم - كما يقرر – خربة عميلة دكتاتورية لا تعمل إلا لتدمير الإسلام.
   c. فرضها العقوبات الإقتصادية من خلال الأمم المتحدة أو من خلال الكونجرس على الدول الإسلامية دون غيرها.
   d. محاولة فرض السيطرة على النفط العربي بالكامل بواسطة الشركات الأمريكية في المنطقة.

---

[27] ص8
[28] ص9
[29] وهل هناك تفسير آخر لذلك؟

3. **إحتلال أرض الإسلام وتقسيمها:**

a. مساندة أمريكا لجهد إقامة حكومة إنفصالية مسيحية في تيمور-إندونسيا.[30]

b. عدوانها واحتلالها لدولتين إسلاميتين هما العراق وأفغانستان

c. مساندة أمريكا غير المحدودة ولا المشروطة لإسرائيل وسياساتها في فلسطين والعالم العربي.

ثم يقرر أن نقطة البداية أن نفهم أعمال الإدارة الأمريكية كما هي لا كما نحب لها أن تكون، حتى نعرف سبب العداء والكراهة، وأن بن لادن ومن هم على شاكلته، سيستمرون في قتل الأمريكيين طالما أمريكا تقوم بما تقوم به في العالم الإسلامي لا بسبب كراهتهم لنظامنا السياسي أو الإقتصادي أو الإجتماعي.

2. <u>الفصل الثاني: الإنغماس الجاهل والعفويّ في الهزيمة - أمريكا في أفغانستان</u>

يبدأ المؤلف بأن يقرر أن مما ينشأ عليه رجل الإستخبارات في أول عهده بالوظيفة هو تحليل ما يسميه "ما يقبل المراجعة والتأكيد" □□□□□□□□□□، وأنه في قرار شنّ الحرب على أفغانستان، قد أغفلت القيادة الأمريكية هذا الواجب البسيط إغفالا تاما مما أدى إلى أن هزيمتها في أفغانستان ليست محلا للجدال.

و يقرر المؤلف ضعف التحرك الأمريكي أمام وقعة سبتمبر 11، ويبين أن رد الفعل الأمريكي قد تأخر حتى أكتوبر 7، وقد فقد بذلك كل فرصة لتوجيه ضربة قاتلة لنظام القاعدة وقياداتها.

وتحت عنوان: **إلى أفغانستان: دولة تراجيدية وتحليلات خائبة**: يقرر أنه رغم سنوات من العمل الإستخباراتي وبلايين من الدولارات أنفقتها الإدارات الأمريكية في مساندة المقاتلين الأفغان وذلك الكمّ الهائل من المعلومات التي تراكمت عن طبيعة الناس والأرض والعلاقات في أفغانستان فإن ذلك لم يكن له أي أثر في قرار شن الحرب هناك.

ثم تحت عنوان: **هل لاحظ أحد أن الجيش الأحمر السوفيتي قد هزم في أفغانستان؟**، يقرر الكاتب أن مقولة أن الأمريكان يحاربون نوعا جديدا من الحرب هي خاطئة ولا تهدف إلا إلى تبرير الهزيمة، إذ أن السوفييت قد خاضوها من قبل، وأن المجاهدين يستعملون نفس التكتيك، فما بال الأمريكان لا يعلمون ما يفعلون هناك؟

وتحت عنوان: **حتى أسوأ مشارك في الرقصة ليس متاحا هناك**، يناقش الكاتب كذلك مراهنة الإدارة الأمريكية على قوات التحالف الشمالي بقيادة أحمد شاه مسعود، وأنه من المستحيل أن تتكوّن حكومة قابلة للبقاء في أفغانستان إلا من البشتون الإسلاميين وليس من الأزبك أوالتاجك الذين يمثلون الأقلية الضعيفة في البلاد. ويقول إن الغرب، وبالذات فرنسا قد انخدع بتلك الهالة الإصطناعية التي رسمها أحمد شاه لنفسه على أنه "الفنان" الحساس الموالي للغرب.

ويقول تحت عنوان: **ثمن التقسيم**: أن المعلومات التي جمعتها الإستخبارات، حسب ما ذكره بوب وودوارد في كتابه "حرب بوش" لم تستخدم، بل لم تطلب حتى للإطلاع عليها! كل ما استهدفته أمريكا هو تقسيم الأفغان، وكأن ذلك سوف يفلح في تحقيق أغراضها، وكأنه فيلم أمريكي صنعته هولوود وتريد أمريكا أن تطبقه. ويقول ان الطريقة الأمريكية المكررة في محاولة تأمين حكومة لا تمثل إلا أقلية، بل ومعظمها ممن رفض الحرب في سبيل بلاده ضد الإحتلال السوفيتي وفضّل الحياة المريحة في المنفى في أوروبا أو أمريكا، أو إيران، ممن بات يتحدث بلسان إنجليزي ويرتدى حلل بهية ويتعطر بعطور عالمية، هؤلاء هم من تولى الغرب وأراد أن يجعلهم حكاما لكابل،

---

[30] لم يذكر الحرب الإنفصالية في جنوب السودان!

العاصمة التي معظم قاطنيها ممن لا يأبه لإسلام ولا دين[31]، ولا يمثل بقية الشعب. يقول إن هذا هو دائما ما تفعله أمريكا "الشكل قبل الموضوع"!

وتحت عنوان: **لماذا كل المحاربين على الجبهة الأخرى**: يرى الكاتب أن المقولة التي روّج لها الغرب وبعض الإعلاميين أن القاعدة وطالبان لن يقدرا على مواجهة القوات الأمريكية بعد الضربة الأولى هي غير صحيحة بدليل المواجهات المتزايدة يوميا على الجبهات في أفغانستان، وعدد القتلى كل يوم. ويقول أن الحرب في أفغانستان ضد الروس قد انتصر فيها الأفغان أنفسهم، ولم يكن في عونهم إلا القليل من غير الأفغان، ما عدا المساعدات المادية التي كانت تمدهم بها الولايات المتحدة والسعودية وكافة المنظمات الإسلامية في العالم لدحر العدوان الأحمر، وذلك ليس إلا لكونهم محبين لدينهم ولرسولهم. وهو ما قرره كذلك روبرت كابلن في كتابه الفذ "جنود الله: مع المحاربين المسلمين في أفغانستان وباكستان".

ويلخّص أخيرا ما قاله بأن يقرر أن الوقت ليس في صالح الغرب في أفغانستان، وأن حكومة طالبان ستعود مرة أخرى ليحلّق عَلَم الرسالة (المحمدية) فوق كابل، وأن الحكومة المؤقتة برياسة كرزاي مصيرها الهلاك لا محالة خاصة بعد أن انضم كل من قوات حكمتيار وحقّاني وخالص إلى صفّ طالبان، ولا يستبعد أن قوات التحالف الشمالي ستنضم إلى قوات المعارضة قريبا. وهذا السيناريو قد لا يكون متوقعا غداً أو بعد غد ولكنه قادم لا محالة.

ثم يضع سبع نقاط يعتبرها نقاط رئيسية يجب أن يتفهمها صنّاع السياسة الأمريكية، بعد أن أخفقوا في مراجعة "النقاط التي يمكن مراجعتها والتأكد منها" □□□□□□□□□ قبل الحرب. هذه النقاط هي:

أولا: أن الأقلية قد تتمكن من حكم كابل ولكن ليس لأمد طويل.

ثانيا: أن الأفغان أصحاب الثقل والتأثير هم القبائليون من المتعصبة.

ثالثا: أنه لا يمكن شراء الأفغان بالمال.

رابعا: أن حكومة مركزية قوية في كابل لن تفلح إلا في إستمرار الحرب ضدها، فالامركزية هي الشكل الأصلح هناك.

خامسا: أن حكومة باكستان تحتاج لبقائها أن يكون هناك حكومة بشتون إسلامية قوية في جارتها أفغانستان.

سادسا: أن تكون أفغانستان ملتقى للمصالح العالمية خاصة مصالح من حولها من الدول كباكستان من ناحية وتركيا وأزباكستان وتازكستان وروسيا من ناحية أخرى، لا أن تكون مجرد منطقة معزولة لا ساحل لها.

سابعا: أنه لابد أن يكون هناك نظام إسلامي، أخيرا، في أفغانستان لطبيعة الشعب المحافظة والمتدينة.

3. <u>الفصل الثالث: لا اندحار ولا تراجع – القاعدة: مقاومتها، اتساعها وانطلاقها.</u>

يرى الكاتب أن الخطئين الفادحين الذين عاونا على عدم القضاء على القاعدة وعلى نظام طالبان هما: أولا: التأخير الغير مبرر في الرد على هجوم سبتمبر 11، والثاني هو إفتراض أن القاعدة تنظيم إرهابي، وأن طالبان نظام دولة بالمفهوم التقليدي. ويشرح النقطة الأخيرة بقوله أنه رغم هزيمة طالبان في حرب المدن إلا أنها قد عادت إلى تركيبتها الأولى وهى أنها منظمة قبلية تعمل في الجبال بكفاءة ومهارة، وأنه من الخطأ القاتل، كما ذكرموقع

[31] ومصداقا لذلك فإن طالبان لم يتخذوها عاصمة لحكمهم، بل استقروا في كاندهار.

ستراتفور.كوم ، أن يعتقد الأمريكيون أن سيطرتهم على المدن قد أنهت الحرب أو قالت الكلمة الأخيرة فيها، بل هي بداية حرب طويلة وخاسرة للولايات المتحدة.[32]

وبن لادن، كما يذكر المؤلف، لعلمه بأحداث سبتمبر، قد بدأ قبلها في توزيع أفراد جماعته في أماكن مختلفة حتى لا يعطي للعدو فرصة القضاء عليه في ضربة واحدة. وقد ساعد على ذلك عدد هائل من الجماعات الإسلامية الباكستانية والأفغانية والكشميرية عدا العديد من الأفراد في القوات الباكستانية الأمنية وغيرها، كما ذكره موقع النداء.كوم في شكره لمن قدم هذه المساعدات اللوجستية لأفراد القاعدة.[33] ويشرح كيف أن القتال الذي دار في تورا بورا وفي شاه كوت لم يكن إلا لإعطاء الفرصة للمقاتلين أن ينحازوا إلى أراضٍ لا تطولهم فيها أيدى الغرب، وهو ما كان بالفعل. ثم يقرر أن دعاوى قادة الغرب أنهم في مرحلة القضاء على فلول القاعدة وطالبان هي دعاوى كاذبة وخاطئة. ويبين بعدها أن جهل القوات الأمريكية بحقيقة حجم أعدائهم يجعل من المستحيل أن نقرر أين تقف المعارك اليوم، وأن المجاهدين يسخرون من القوات الأمريكية التي تدعى في نهاية كل موقعة معهم أنها الأخيرة![34].

وتحت عنوان: **الإتساع المضطرد في منابتها الأصلية**: يقول الكاتب أن القاعدة لا تزال متواجدة بل اتسع وجودها في البلاد التي كانت لها فيها تمثيل من قبل أحداث سبتمبر، مثل اليمن وباكستان، والسعودية وشيشنيا وأفغانستان وأندونسيا والفليبين وماليزيا والعراق والولايات المتحدة وكندا. وهم رغم تحقيق بعض انتصارات للمخابرات الأمريكية ضدهم أصبحوا أكثر انتشارا وفعالية في معظم هذه البلاد. ثم يتسائل: هل وجودهم في السعودية كان سابقا لسبتمبر 2001 وأنهم إنما نشطوا بعد تلك الأحداث هناك، إذ أنه كما يقول، لبن لادن شعبية ساحقة بين السعوديين، ويستشهد بما كتبه عبد الباري عطوان، أحد نقاد النظام السعودي، في مجلة القدس العربية، عما يلقاه أسامة بن لادن من مساندة الشعب السعودي لموقفه من أمريكا التي تساند إسرائيل في عدوانها على الشعوب الإسلامية وفلسطين، وأن نسبة 95% من السعوديين بين أعمار 25-41 يحملون مشاعر الود لأسامة بن لادن.[35] ثم يقرر أن النظام السعودي ربما يكون قد ارتقى فراش الموت في سكينة، إذ أن الخيارات أمامه قليلة، حتى لو تبنى سياسة أكثر بطشاً وأكثر تنظيما مما يتبع، فلن يكون لذلك دور إلا على المدى القصير.

وتحت عنوان: **ونحو تهيئة الظروف لمناخات جديدة**: يبين الكاتب حسن استغلال القاعدة للظروف الجديدة في المناطق الساخنة كالعراق ولبنان، بل واستخدامهم المتميز للإنترنت لترويج بضاعتهم.

وتحت عنوان: **الإنطلاق إلى مجال جديد**: يتحدث عن المواقع التي يساندها تنظيم القاعدة وتسانده مثل النداء والأنصار. ويبين أن ملاحقة الولايات المتحدة لهذه المواقع قد بيّن لقرائها مصداقية ما يقوله بن لادن، بل – كما يقول القائمون على هذه المواقع، قد رفع عدد القراء، إذ أنه فضح نوعية الديموقراطية التي يتشدق بها الأمريكيون وأنها قد قُدّت على مقاسهم، ولا مكان فيها للمسلمين[36]. ثم يقدم نصيحة للإستخبارات الأمريكية أن تحاول تفنيد ما ينشر على الإنترنت إذ أن التخوف من كل تهديد مفرّغ من الحقيقة يجلعهم أكثر عرضة للخطر، كما قال فيلسوف صيني "إذا أردت أن تكون مستعداً على كل الجبهات، فستكون ضعيفا على كل الجبهات".[37]

وفي الصفحات التالية لذلك بدأ الكاتب في تسجيل ما أحرزته أمريكا من انتصارات ضد القاعدة، وما أحرزته القاعدة من انتصارات ضد أمريكا. فعلى صعيد انتصارات أمريكا في الفترة من 2001 وحتى 2004، عدّد 30 وقعة وجّه فيها الأمريكيون ضربات للقاعدة مثل:

---

[32] ص62
[33] ص65
[34] ص68
[35] ص72
[36] ص81
[37] ص85

- مصرع بن الخطاب القائد الشيشني في مارس 2002.
- ترحيل أحمد حسين ومحمد سليمان، من قواد الجهاد المصري إلى القاهرة من السويد في ديسمبر 2001.
- القبض على ثلاثة من الكويتيين إبان تخطيطهم لمهاجمة قوافل أمريكية ومنهم من كان في أفغانستان، فبراير 2003.
- مهاجمة السلطات السعودية لأحد البيوت في الرياض حيث وجدوا عدة كيلوات من المتفجرات في مايو 2003.

ثم عدّد ما حققته القاعدة ضد أمريكا في الفترة بين 2001 – 2003، وأثبت 73 وقعة كان للقاعدة فيها السبق في إنزال ضربات بالأمريكيين وسياساتهم، منها:

- في نوفمبر 2002، قتلت أحد الممرضات الأمريكيات (من المبشرات) في لبنان بعد أن اتهمت بتحويل أحد
- الصبيان إلى النصرانية.
- أكتوبر 2002، سيطر الشيشانيون الإسلاميون على مسرح في روسيا وقتلوا حول 129 من الروس.[38]
- في ديسمبر 2002، هاجمت جماعة مسلحة أحد المستشفيات في اليمن وقتلوا ثرثة عمال أمريكيين.

وراح يعدد مثل تلك الهجمات التي شنتها قوى إسلامية في أرجاء الدنيا إذ جعلها محسوبة على القاعدة.

ومما يجدر بالذكر ما قرره من أن القاعدة – كما يقول الكاتب – قد عرفت نقطة الضعف الأمريكي، وهي في هذه المرة ليست فقط نقطة الضعف التقليدية والتي هي مصارع أبنائهم في حرب خارجية، ولكن هي ضربهم في الجبهة الإقتصادية، كما نقل عن أبي عبيدة القرشي فيما كتبه على موقع الأنصار: قال:

"وكذلك فإن الله سبحانه وتعالى قد مكّن المجاهدين من فهم طبيعة الأمريكان أعداء الله ... وهذه المرة فإن مركز ثقل الضعف الأمريكي يكمن في الإقتصاد"[39]

ويقرر أن الإنفاق المالي على الإستعدادات والدفاع كلما رفعت وزارة الدفاع "لون" الخطر، هو مما يعد تكملة لعملية سبتمبر 11، وأن هذا الإنفاق قد تعدى كل التوقعات، وهو ما يستنزف الخزانة الأمريكية بغير حدود.

4. الفصل الرابع: كيف يرى العالم بن لادن: قائد إسلامي وبطل يلمع نجمه؟

في هذا الباب يتناول المؤلف شخصية بن لادن من وجهة نظر المسلمين بشكل خاص، ومن وجهة الغرب بشكل مقتضب، فيقول إنه، ومن أي زاوية ينظر اليه الناظر، رجل عظيم ولا شك، رغم أن للعظمة ظلال إيجابية وسلبية

---

[38] نلاحظ أن الكاتب قد جعل كل انتفاضة إسلامية في أنحاء العالم هي من عمل القاعدة أو مما تسانده القاعدة، وهو غير صحيح إذ أن المسلمين يحملون نفس المبادئ في كافة أنحاء الدنيا ومن المتوقع أن يكون ردّ فعلهم للتصرفات السوفييتية أو الأمريكية المعتدية واحدة، ولا يلزم من ذلك أن يعدها على القاعدة.

[39] ص101

على حد سواء. وإن كان هناك من لا يوافق د. سام هانتينجتون في آرائه بشأن صراع الحضارات[40]، إلا أنه يجب أن يوافق على ذلك الفرق الشاسع بين الحضارتين في تقييم بن لادن. فالغرب يرى بن لادن على أنه قاتل متعطش للدماء لا خلاق له. ولكن المسلمون لهم فيه رأي مختلف تماما[41]. وينقل هذا الرأي فيما حكاه عن بعض الكتاب المسلمين مثل إنجاز منجي في مقاله بجريدة إبرات[42] :

"هو (أي بن لادن) لا يزال يعيش في خيمة في أفغانستان معنا، نحن أمة الأفغان. إنه ابن بار عظيم لهذه الأمة (الإسلامية) إذ لم ينفق ثروته على الملذات. هو رجل مبادئ ويمتلك صفات دينية مميزة. إنه نتاج الشرف الإسلامي. وهو مناضل ينصر الجهاد لنشر كلمة الله العظيم في العالم. لقد أثبت شجاعة فائقة في ميدان الحرب حيث لا يثبت الرجال المصنوعون من الزجاج، ولكن يثبت فقط الرجال الحديديون.

لقد كان يحارب القوى الشيطانية في العالم معرضا حياته للخطر. فهو لا يحب الحياة الرغدة، ويفضل أن يعمل بجد. وهو يضرب أعداءه بقوة وكفاءة ولهذا فإن الولايات المتحدة تخشاه. وقوى الكفر تخشى أن تتحد الأمة تحت لوائه. إن قوى الإمبريالية تريد قتله، ولكننا نرى أن في الموت الحياة. إن لكلٍ مقياسه في تعريف النصر والهزيمة. فقد يكون في بعض الأحيان من يظهر للعيان على أنه منتصر، هو في الحقيقة المهزوم وقد يكون من يظهر أنه مهزوم هو في حقيقة الأمر منتصرٌ بإذن الله"[43].

ويعلق الكاتب بأنه ليس في هذه المقولة ما يرسم صورة قاتل جماعي أو سفاح.

وفي المقابل، يبين الكاتب أن النظام السعودي قد حرص على رسم صورة محددة لبن لادن يظهره فيها على أنه رجل بسيط التفكير يكيل إلى عدم الذكاء، ذلك كي يبعد عنه شبهة تدبير تلك الأعمال العسكرية الدقيقة، بل وفي محاولة أخيرة لرسم صورة له مخالفة للواقع، يقول الكاتب أنهم أظهروه على أنه تابع محدود الذكاء لأيمن الظواهرى، الفاعل الأصلي لكل هذه الأعمال! وهو ما ينكره الكاتب تماما.

كما ينقل تحليلا نفسيا لبن لادن على حد قول رالف بيتر في حديثه عنه:

"أسامة بن لادن لم يعلن الحرب على واقعنا الذي نعيشه، إذ هو لا يعرفه أصلا، وإنما هو يعلن الحرب على تصور عام شامل مقزز للغرب في نفسه، وتصور محدد لأمريكا هيأته له مخاوفه منها...إنه يتمتع بتلك النشوة التي تعطيها الكراهية لأهلها"[44]

ثم يقرر أن محبيه وأعداؤه على حد سواء قد أقروا أنه، لمن قابله وتحدث معه يصعب عليه أن يكرهه، إذ هو رجل بسيط متواضع مؤدب للغاية وسهل الحديث، ثم لا يمكن أن ينكر أحد إخلاصه في خدمة معتقداته. وهو ما قرره حتى أحد ألد أعدائه، تركي الفيصل السفير السعودي للمملكة في بريطانيا والذي حاول إغتيال بن لادن عدة مرات[45].

5. <u>الفصل الخامس: آراء بن لادن في العالم: قديمة وجديدة، مع بعض التحوير</u>

---

[40] The Clash of Civilizations, S. P. Huntington

[41] ويظهر أنه فات المؤلف، لمحدودية علمه بالخريطة العقائدية في العالم الإسلامي اليوم أن من المسلمين المنتسبين إلى "السلفية" من يرى بن لادن وجماعته أسوأ مما يصنفه حتى أعداء الإسلام من الغربيين، وهؤلاء هم أتباع المذهب الجامي والمدخلي وصغارهم كعلي الحلبي ومحمود شكرى، راجع مقالنا بالإنجليزية عن خريطة الواقع العقائدي الإسلامي السلفي في موقع www.alarqam.com

[42] Injaz Mangi "Osama Is not Caught Despite Exhaustive Efforts" Ibrat, March 10, 2003.

[43] ص125

[44] ص113

[45] ص121

يبدأ الكاتب هذا الفصل بصورة كوميدية تمثل ذلك الإضطراب الذي يعترى المسؤولين الأمريكيين كلما أذاعت الجزيرة أو العربية شريطا جديدا لبن لادن، ومسارعتهم في رفض تقريراته وشجب القنوات الفضائية التي أذاعتها. ولكنه الإضطراب ليس ما يعنيه، إنما الإهمال التام لما تحتويه الرسالة من كلمات ومعانٍ، لحساب شكليات عجيبة يهتمون بها مثل: ترى هل طالت لحيته هذه المرة عن سابقتها؟ ما هذا الرداء الذي يرتديه؟ أهو جديد أم استعمله من قبل؟ هو لا يحرك زراعه الأيسر! هل مهنى هذا أنه مصاب؟ هاه! لقد رمش بعينه اليسرى! أهذه علامة لتباعه للتحرك؟ ما هذه الطيور التي تصدح من خلفه؟ هل يمكن أن نعرف أين تعيش؟ اطلبوا إخصائي طيور! ما هذه الصخور التي تحيط به؟ هل يمكن معرفة مصدرها؟ اطلبوا اخصائي جيلوجيّ! وهلم جرا من تفاهات لا علاقة لها بالمضمون، الذي يعنيه الرجل تماما ويدل على معرفته بنا أكثر جدا من معرفتنا به.

وتحت عنوان: **الثبات على المبدأ في النقطة الرئيسية**: يقول الكاتب أن الإطار الرئيسي الذي يعرض فيه بن لادن آراءه هو مقاومة هذا الهجوم على الإسلام من أمريكا. وهو يصف قوى الصليبية الصهيونية التي تهاجم ديار الإسلام وأبنائه بأنها تسبب كوارث هائلة ومذابح ومظالم لا حصر لها لأبناء الأمة، لذلك "يجب علينا أن نقاومهم وأن نعلن الجهاد الدفاعيّ".فهل ياترى تبرر أفعال الولايات المتحدة ذلك التصور الذي يطرحه بن لادن؟ يجيب: **"الحق، نعم، لقد أوقع بنا في هذه النقطة"**[46]. ثم ينقل رد بن لادن على أولئك الذين ينتقدون هجوم سبتمبر 11 مبررين ذلك بأن هذا الهجوم الإجرامي – حسب تعبيرهم - قد أمدّ الولايات المتحدة بمبرر الهجوم على الإسلام، فينقل عن بن لادن قوله في موقع الواقعة:

"أستحلفكم بالله! وأين المبررات الإجرامية التي فعلها المسلمون والتي استبيحت أنفس وأموال وأراضي الفلسطينيين مدة نصف القرن الماضي على أيدي الصليبيين والصهاينة لأجلها؟ ما هي المبررات الإجرامية الإسلامية التي أملت حصار الشعب العراقي طيلة عقد من الزمان مما أدى لقتل أبائهم وتشريدهم؟ بشكل ليس له سابقة في التاريخ؟ ما هي المبررات الإجرامية الإسلامية التي جرّت مذابح بوسنيا والهرسج على أيدى الصرب الذين اتخذوا الولايات المتحدة مثالا يحتذى؟ ما هي المبررات الإجرامية الإسلامية التي جعلت شعب كشمير يدفع دمه غاليا في مقاومة عبّاد البقر لمدة خمسين عاماً. ماذا فعلت شعوب شيشنيا وأفغانستان وجمهوريات وسط آسيا للتعرض للغزو الشيوعي وتشريد عشرات الملايين من أبنائها؟ ... وتحت غطاء الأمم المتحدة غزوا الصومال وقتلوا أهله. وتحت نفس الغطاء أجبروا المسلمين على مبارحة تيمور في أندونيسيا. بل وشجعوا الحاكم الصليبي في الفليبين لتدمير إخواننا المسلمين هناك. أمور أكثر من أن تحصى. ونحن نقول أن الجريمة الوحيدة التي جعلت قوى الصهيونية والصليبية الجديدة تغزو وتدمر المسلمين هي إعلانهم أن لا إله إلا الله"[47].

ويقرر الكاتب أن ما قاله بن لادن كله يمثل الحقيقة وما يجرى على أرض الواقع، ورغم أنه صبغها بلون ايديولوجي عقائدي ليجعلها مستحسنة ومقبولة للجماهير المسلمة، إلا أنها حقيقة لا شك فيها. ويقول بعدها أن القرآن بالفعل يقرر في مثل هذه الحالات يفرض الجهاد الدفاعي على المسلمين[48]. كما نقل عن الكاتب برنارد لويس في كتابه "كارثة الإسلام": "المسلمون غير مأمورين بإدارة الخدّ الآخر!". وهو ما أكده البروفيسور تيرنر جونسون في قوله "إن المسلمين مطالبون بقتال من هم في دار الحرب إذا هاجموهم في دار الإسلام"، وهو عين ما قاله بن لادن – يقول الكاتب – حين قرر في خطاب إلى الشعب الأمريكي: "تتساءلون لماذا نقاتلكم؟ الجواب بسيط، لأنكم تقاتلوننا ومستمرون في قتالنا".[49]

---

[46] ص129

[47] ص130

[48] سبحان الله! لعل أدعياء السلفية من أتباع المدخلي وأمثالهم أن يقنعوا الرجل بخلاف ذلك، ولم لم يكن نصرانيا أصلا لكفّروه أو بدّعوه كما يبدّعون أهل السنة الذين يطالبون بالوقوف في وجه العدوان.

[49] ص131

وتحت عنوان: **الحضّ على الإيمان**: بعد أن يبين الكاتب وجهة نظر بن لادن في أن الهجوم الصهيوني الصليبي هو علىالإسلام، وأن الإسلام يفرض على أبنائه في هذه الحالة أن يجاهدوا جهاد دفاع إذ هو "فرض عين" كما عبّر □□□□□□□□ وليس فرض كفاية وأن الأمة كلها عاصية حتى يخرج منها من يؤدى المهمة على كمالها، يقرر بن لادن أن مهمة القاعدة ليست في تحقيق الإنتصار النهائي على الأعداء، ولكن في إبقاء الجهاد حيّا كفريضة في نفوس الأمة حتى يتحقق النصر بمشاركة كافة أبنائها.[50] ولا ينسى بن لادن أن يشرك المرأة في حثّها على الجهاد وفرضيته عليها كذلك. كذلك فهو يوجه عناية خاصة للشباب من المسلمين إذ أن الجهاد مفروض عليهم أكثر من فرضيته على الأكبر سنّاً، وهو يكيّف خطابه الإسلامي لهذه الطائفة على أنها يجب أن تكون مرحلة من مراحل النضج والرجولة وأن الأمة لابد أن تعتمد على أبنائها في تحرير أرضها وتطهيرها من الأعداء فهم حريّون بذلك.

من هذا المنطلق، فإن من تراهم العين الأمريكية على أنهم شرّ محض من الإستشهاديين، هم، في عين الإسلام شهداء أبرار مخلصون لنبيهم ولكلمة ربهم[51].

ولانجد في حديث بن لادن أثر الإحباط إلا حين يتحدث عن المساندة المطلوبة من السملمين في غير مجال الجهاد الفعلي. وهو لا يجد مشكلة في إدراج أعداد من الشباب في سلك الجهاد طالما أمريكا وإسرائيل يمدونه بالوقود اللازم لذلك بسياساتهما في الشرق الأوسطن ولكنه غير راضٍ عن المساعدة المعنوية التي ينتظرها من شيوخ الطبقة الوسطى والعليا من أساتذة الجامعات والعلماء والأثرياء وأبناء الصحافة. وهو يمد المحيط الإسلامي بالأشرطة السمعية والبصرية ليس فقط للإعلام، ولكن ليكشف عن خزى وتقاعس الفئات التي لا تتحرك من المسلمين ويخجلهم، وهو بعد عبقري في تكتيكه إذ أن الخزى والعار لا يزالا من أهم العوامل المحفزة على العمل في الوسط الإسلامي.

وتحت عنوان: **الهدف: أمريكا**: يقول الكاتب أن بن لادن بعد أن حدد أمريكا كهدف للعداء – للأسباب السابق ذكرها – فقد واجه صعوبة في توجيه قوى الجهاد إلى خارج حدود البلاد الإسلامية إذ أن الجهاد التقليدي كان دائما موجه لتغيير الأوضاع الداخلية السيئة**!** وأن ذلك مبني على توجيهات النبي (صلى الله عليه وسلم) ذاته**!**[52] وينقل عن عبد الله النفيسي قوله إن تركيز بن لادن على العداء لأمريكا هو سبب مهم في استمرارية القاعدة حيث أن ذلك منع وجود أي خلافات داخل هذا التنظيم خلافا لغيره من التنظيمات الإسلامية.[53]

وتحت عنوان: **أهمية أفغانستان:** يوضح الكاتب عقيدة بن لادن وجماعته أن أفغانستان هي الدولة الإسلامية الوحيدة على ظهر الأرض حاليا. ويقرر أن ما من قتال إسلامي في الوقت الحالي إلا لغرض كسب قطعة من الأرض يمكن أن تجرى عليها أحكام الإسلام. وهذا المعنى – كما يقول المؤلف – قد تجلى بعد قضاء بريطانيا على الدولة العثمانية، ولم يحل محلها أية دولة تكون محورا ومركزا للمسلمين، وهو ما نقله الكاتتب عن سيد قطب في المعالم، من حاجة المسلمين إلى دولة وأرض تقبل شرع الله، وما أكده هانتينجتون في كتابه "صراع الحضارات" من ان السملمين يفتقدون ما أسماه دولة محورية" يراها في تحليله لحضارات العالم ضرورية لحفظ الهوية.[54]

ثم أخيرا تتمثل أهمية أفغانستان لبن لادن في أنها البلد الوحيدة التي تغلبت على الغرب حين هزمت روسيا منذ أن وعى التاريخ صراعا بين المسلمين وبين الغزاة في العصر الحديث، ولا غرو فقد رحب بن لادن بالغزو الأمريكي

[50] ص132
[51] ص136
[52] لم يذكر المؤلف شيئا عن أي حديث ذكره النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الشأن، فالجهاد ضد قوى الكفر قد تكون في الداخل أو الخارج على حد سواء، وربما يشير هنا إلى الصراع التقليدي بين الخوارج و الطالبيين من ناحية والسلطة الأموية والعباسية من ناحيى أخرىعلى مر التاريخ.
[53] ص139
[54] ص142

لأفغانستان إذ أن ذلك يمهد لهزيمتهم على أرض إسلامية يدافع عنها مسلمون. لذلك فإن الصراع الحقيقي بين بن لادن وبين أمريكا على حكم هذه البلاد لابد وأن يبدأ قريبا شكل جديّ.

وتحت عنوان: **فقد السيطرة العسكرية تدريجيا:** ثم يشرح الكاتب لماذا ظهر بن لادن أكثر استرخاءا بعد أحداث سبتمبر 11 إذ أن ذلك أعطى الفرصة لأتباعه في الإنشغال في هجمات تفصيلية في أنحاء العالم، وأتاحت له الفرصة هو وقياداته العليا لتخطيط الهجمة التالية على أمريكا. وقد كان بن لادن حذرا في عدم المصادمة الكلية مع دول أوروبا الغربية كافة لعدم إجبارها على الدخول إلى جانب أمريكا في الحرب ضده، وكان فقط أن أرسل تحذيرا قويا في حادثة أسبانيا ليعلمهم أنه قادر على إيذائهم إن أراد ومتى أراد. وقد قام بالفعل بعمل هجمات بسيطة ولكنها معبرة – كما عددها في الفصل الثالث – علىأهداف أوروبية لدول تساند أمريكا وإسرائيل.

وتحت عنوان: **مهاجمة الأنظمة الكافرة مباشرة**: ويحكي الكاتب عن بن لادن رأيه في "حكام المنطقة" ويقرر أنه قد بنى معارضتهم على أمرين، أنهم لا يطبقون حكم الله في بلادهم، وأنهم غير كفء لعبوديتهم للأمريكان على حدّ تعبيره. وهو يقرر أن الإسرائيليين، بمساعدة أمريكا، قد نفذوا كل مخططاتهم في جنين ورفح وبيت لحم، وأخذوا في بناء الجدار العازل الذي يبتلع أرض أكثر من أراضي فلسطين، والحكام العرب لا يفعلون أكثر من إصدار كلمات تعبر عن غضب غير حقيقي ثم يهيؤون القواعد العسكرية والمساعدات اللوجستية لقوات الإحتلال.[55]

وتحت عنوان: **استهداف أمريكا وتبرير الإصابات الجماعية**: ينقل عن بن لادن قوله "إنني أعلم أن هناك الكثير من الرجال الجيدين في الغرب...إننا لا نحارب الولايات المتحدة، ولكن نحارب سياسات الولايات المتحدة في الدول الإسلامية، والتي تريد أن تسيطر على الإقتصاد الإسلامي وتستعبد شعوبنا وتجعلنا عبيداً لأمريكا"[56]. وينعى على النظام الأمريكي تشدقه بالديموقراطية ويعلن أنها ديموقراطية مزيفة.

وتحت عنوان: **بن لادن يتنبؤ برد الفعل الأمريكي**: يكرر ما سبق ان ذكره سابقا من أنه "صحيح أن بن لادن يكرهنا ويكره أمريكا ويكره الغرب، ولكنه، رغم ما ذكره بول بريمر في حديث له بهذا الشأن، لا يكرهنا لذواتنا، بل لسياساتنا في بلاده، وأن هذه الكراهية والعداء ليست عمياء أو جاهلة كما يزعم قواد الغرب، بل هي دقيقة ومحددة، وأفضل كثيرا من فهمنا لما يقوله هو.[57] ثم ينقل أقوال بن لادن التي يعرب بها عن رأيه في **العجز الأمريكي عن الإستمرار في محاربة الإسلام**، وعن **النفاق الأمريكي في التشدق بالديموقراطية والحرية** في نداءاته بتاريخ 21 سبتمبر 2001 و21 أكتوبر 2001 على الترتيب.

ثم يقرر الكاتب أخيرا، تحت عنوان: **ولا تزال الكلمات غير مسموعة**[58]**!**: ينقل عن بن لادن قوله:

"سأهاجم أولئك الذين يساعدونكم، سأشن حربا عليكم في العراق وأفغانستان وفي كل مكان آخر، سأهيج عليكم المسلمون، سأضربكم مرة أخرى في بلادكم، بأسلحة دمار شامل إن استطعت، وسأحاول تحطيم اقتصادكم، إنكم شرّ خالص، ونحن لا نعبأ بكم، وبمعتقداتكم، وبطرقكم، ولكنني سأجبركم على أن تتخلوا عن كثير من سياساتكم تجاه العالم الإسلامي، ونحن لن نخاف ولن نضعف ولن نتراجع، ولن نفاصل، إنكم، بمشيئة الله، منهزمون"[59]

يقول الكاتب إنها كلمات جادّة، ولكنها قد أُهملت ولم تلفت انتباه أحد من صنّاع القرار في أمريكا**!** وهي تعنى ببساطة "أننا قد دخلنا حربا إلى الموت مع عدوّ قد حذرنا بما فيه الكفاية، هذه كلمات لا تترك لنا عذرا. إن أي كوارث سيتعرض لها إقتصادنا أو بلادنا أو أبناؤنا بسبب هذا لا يمكن أن ندعى أننا لم نتلق تحذيرا بشأنها".

---

[55] ص148

[56] ص 156

[57] ص159

[58] يقصد كلمات بن لادن التي لا يعيرها الغرب التفاتا

[59] ص160

6. الغطرسة المفرطة: الحاق الهزيمة بأنفسنا – اللاحرب، تسريب المعلومات والديموقراطية المصدّرة:

وفي مقدمته لهذا الفصل تحدث الكاتب عن قضية وسائل الإعلام والتشويه التي تشوه الحقائق على أرض الواقع، وقد آثرنا أن نترجم هذه الصفحات حرفيا لأهميتها البالغة:

"تفيض في الغرب بصفة يومية، كلمات صنّاع الأخبار، ثم شارحيها والمعلقين عليها. ومنذ أحداث سبتمبر 11 فإن قارئ الصحف أو المجلات أو الإنترنت أو مشاهد التلفاز والمستمع إلى رأي الخبراء والمتخصصين، يخرج بإيحاء أن الغرب في انتصار متلاحق في الحرب التي استعرت في يومه ذاك. ويمكن تصوير تلك الأخبار في عينة صورية غير حقيقية لما قد تكون عليه هذه الأخبار في يوم من تلك الأيام[60]: النصر في أفغانستان، تدمير طالبان، بن لادن والزرقاوي يلوذان بالكهوف، قرب القبض على فلول القاعدة، أنصار الديموقراطية الغربية يتقلدون زمام الحكم في كابل، إسحق شارون "رجل السلام"، حرب على القاعدة لا حرب على الإسلام، الحرب على الإرهاب لا علاقة لها بالدين، بن لادن يعادي الولايات المتحدة بسبب نظامها الحرّ لا بسبب سياساتها، الإسلاميون يكرهون أمريكا لما تمثله من مبادئ لا لما تمارسه من أفعال، السعودية وباكستان يقدمان المساعدة لأمريكا في حربها على الإرهاب، الغرب يجفف منابع النقد لبن لادن، خريطة السلام بين إسرائيل والفلسطينيين تسير نحو النجاح، النصر في العراق ولا وجود للمتمردين الإسلاميين، العراق يقترب من إرساء حكومة علمانية ديموقراطية حرة[61].

ومع الإحساس المريح بأن أمريكا تنتصر في حربها، ويقترب موعد إرسائها لتلك الديموقراطية العالمية، فإن القارئ أو المستمع أو المشاهد للأخبار في الغرب لا يزال يتحسّس بين آونة لأخرى عدم الترابط بين هذه الأخبار التي تذاع عن الحرب على الإرهاب. وفي وسط أنباء الإنتصارات التي نسمعها دوما، فإننا في عام 2004، نستمع إلى مدير مكتب التحقيق الفيدرالي FBI، يقرر أن القاعدة هي الآن أخطر مما كانت عليه عام 2001! ثم إذا نظرت محققا في الصحف وجدت من يقول أن هذه الإدعاءات عن قوة القاعدة الآن غير صحيحة! ولكن في نفس الوقت، نجد أن إدارة الأمن القومي تغيّر لون الخطر من اللون الأصفر إلى اللون الأصفر الباهت، أم هو العكس من الأصفر الباهت إلى الأصفر – من يدرى – على يافطة ذات ألوان متنافرة تشبه إشارة المرور. وهذا التغيير ينذر بأن إدارة الأمن القومي قد تحسست أن خطرا ما في مكان من العالم قد ارتفعت درجته! ثم تسمع على برنامج من البرامج سواء على شبكة سي إن إن CNN أو على برنامج أوبرا OPRAH[62] أن الهجوم القادم للقاعدة سيكون بأسلحة الدمار الشامل! ثم يتبع هذا التصريح الأمني نصيحة بشراء لوازم الإنقاذ الأولية والتي تشمل أكياس بلاستيكية تقاوم الأسلحة البيولوجية والكيماوية التي يرتفع ثمنها لحظيا في الأسواق! وهو ما يؤكد ما كانت عليه دائما طريقة واشنطن حين تشعر بأنها تواجه خطرا، ترعب الجميع معها!

وباختصار، فإن الأمريكيين أصبحوا متحيرين واختلط الأمر عليهم، أنحن في طريق النصر، أم أننا في الطريق إلى المدافن؟ أهذه التحذيرات من مهاجمة القاعدة حقيقية أم أنها لا تعدو محاولة المسؤولين أن يغطّوا مؤخرتهم حتى لا يقال أنهم لم يحذّروا الناس إن وقعت الواقعة؟ هل هذه التحذيرات من هجوم بن لادن تعكس رغبة السياسيين من الحزبين المتنافسين على الرئاسة في تغطية الإقتصاد الذي يتراوح بين الصعود تارة والهبوط أخرى؟ أهناك استراتيجية أمنية قومية ضد بن لادن أم أن الساسة يتصرفون بما هو من وحي الساعة؟

---

[60] لتأكيد هذا المعنى نشير إلى ما نشرته الصحف في أوتاوا تحت عنوان Reuters upset by CanWest's misuse of 'terrorist' عن رويتر أنها ستطلب فتح تحقيق فيما نسب إلى مجموعة نشر اسمها "كان وست"، التي نسبت اليها رويتر تغييرها كلمات مراسليها الإخبارية عن الشرق الأوسط وتعديلها بكلمات مثل الإرهابيون والتي لم ترد في تقارير مراسليها! طالع الخبر كاملا في العنوان التالي:
http://ottawa.cbc.ca/regional/servlet/View?filename=ot_reuters20040917

[61] **كلها مثال من الدعاية الأمريكية اليومية**

[62] برنامج رخيص لإمرأة من الزنوج يقدسونها في أمريكا على ترخصها وتفاهة برامجها!

في هذا الفصل .... سأحاول أن أثبت أننا نرى الغير ونقرؤهم ونحلل أخبار من هو من خارج القارة الأمريكية بطريقة قد غشت عليها سحب مكثّفة من الغرور والذاتية لدرجة أنها يمكن أن تسمى الغطرسة الإمبريالية. وهذه الصفة في علية الساسة الأمريكيين ليست صفة طارئة عليهم، بل هي من ثوابتهم منذ أيام الحرب العالمية الثانية، حيث أننا أصبحنا نرى العالم بمنظار يجعله ذا مغزى لنا نحن(دون أهمية لما هو عليه حقيقة) ولذلكما نواجه أحداثا لم نجد لها مبررا للفهم حيث أننا "أمركناها" لتتناسب الصورة التي بنيناها للعالم فلم تعد ذات مغزى حقيقي، فنحن إن رأينا أحدا من الناس يفعل شيئا، نفترض تلقائيا أن دوافعه لذلك هي ما نحسب أنها دوافعه طبقا لمقاييسنا الذاتية التي تراكمت على مرّ السنين من تجاربنا الخاصة. لهذا، فإن بن لادن – بالنسبة لنا - هو مجرم مدفوع بالرغبة في الكسب الماديّ، وليس جنديا مسلما مخلصا لعقيدته، لأننا ببساطة نستطيع بل وتعودنا التعامل مع رجال العصابات والقضاء عليهم! ثم إننا نعتبر أن بن لادن والإسلاميين يكرهوننا لما نحضّ عليه من ديموقراطية وحرية، لا بسبب ما يراه الملايين من المسلمين مما نفعله في سياساتنا الخارجية من هجوم على الإسلام أو لأن أمريكا الآن ومنذ عشرة سنوات، تقرع كل الناس وكل الأشياء في العالم الإسلامي بشراسة.

إن ساستنا لا يزالون مقتنعين أن شعبيتنا المتدهورة في العالم الإسلامي، كما تظهرها الإحصائيات، ليست بسبب مساندتنا لإسرائيل[63] . إن بعض المعلقين السذّج الذي اقترح أن تتبنى أمريكا سياسة الإغتيالات الهادفة التي تتبعها إسرائيل في فلسطين، وهو لا يدرى أن ذلك يناقض تماما نصيحته الأخرى بأن تتحرك أمريكا بشدة لإقامة جسور من التفاهم مع الإسلاميين المعتدلين في مصر والسعودية! وهم لا يربطون ذلك بتلك المعايير الثنائية التي نستخدمها والتي تجعل الحظر على الأسلحة النووية أمر يمكن التغاضي عنه بالنسبة لإسرائيل والهند ولكنه أمر لا يغتفر حين يتعلق الأمر بدولة إسلامية مثل باكستان! ثم يدعى ساستنا أن مبادئ بن لادن لا دخل بالدين الإسلامي، فإنه في قارتنا تعيش كل هذه الأديان منسجمة لا عداء بينها! لذلك فإنهم يرسلون المبعوثين والمبشرين والدبلوماسيين إلى الدول الإسلامية لإجبارهم على تغيير مناهجهم وتعديل صورة إسلامهم وتغريب القرآن والسنة حتى يحصروا تدخل الدين في حياتهم في أضيق نطاق ممكن كما هو الحال الذي عليه المسيحيون في الغرب اليوم!

لهذا كله فإن الغطرسة الأمريكية لدى القواد العسكريين والسياسيين والدبلوماسيين والإجتماعيين والأكادميين والصحفيين أقنعتنا أن المسلمين لا يفهمون مقاصدنا الحسنة تجاههم! ثم ما يؤكد ذلك ما جاء في دستورنا من عبارة إنتخاب "رئيس للعالم" لا "رئيس أمريكي"، هذا مع ما سبق من خط للتفكير يجعلنا غير مطالبين بمراجعة سياساتنا، بله تغييرها، بل فقط علينا أن نحاول شرحها بطريقة أفضل للعالم الإسلامي. هي إذن مشكلة "اتصالات" بيننا وبينهم، وأنه يكفى أن نطلب من أحد شركات الدواء والتعبئة أن تصنّع لنا عبوة من "الديموقراطية والعلمانية والرأسمالية الصالحة لعلاج أصدقائنا المسلمين" لتصديرها إلى عالم إسلامي لا يزال حتى لحظتنا هذه رافض لها على الإطلاق.

وأخيرا، فإن ما أقول باختصار، أن علينا إن أردنا تحقيق الأمن واتخاذ قرارات صائبة ورصد مقررات في محلها أن نفهم العالم كما هو، لا كما نوده أن يكون تبعا لفهمنا الخاص"[64]

ثم يمضى الكاتب فيقرر تحت ضوء ما ذكره سابقا، وتحت عنوان: **بن لادن: العدو الذي نريد، لا العدو الذي نواجه[65]:** فيؤكد ما ذكره من قبل أنه ليست هناك أية أسس لإفتراض أن بن لادن ليس هو كما يصفه من قابلوه وعرفوه، مسلم مخلص موهوب كريم صبور بشكل غير عادي، قد حبى بمقدرة فائقة على التخطيط والتنفيذ وبمجموعة من القادة الذين لا يتورعون عن القتل رغم أنه ليس اختيارهم الأول. وهذه هي حصيلة سبع سنوات من

---

63 أعتقد أن الكاتب على نباهته قد فاته أن من هؤلاء من يعرف ذلك تماما ولكن يؤثر أن يقف في صف اليهود حتى ضد مصلحة شعبه مثل بوش.

64 ص 163-167

65 ص 168

التقارير التي لم ترد إلينا بغير ذلك. وحتى يكون الأمر واضحا فإن هذه الصفات أكدتها 90% من التقارير، وتبقى ال10% الباقية والتي تصفه بالدموية والرغبة في القتل قد جاءت عن طريق معادوه من الحكام المسلمين والقادة الغربيين. ثم يقرر أن أحد الوسائل التي يمكن بها تفنيد ال 10% التي تمنع من فهم الرجل بطريق صحيح، هو متابعة أقواله ومطابقتها لأفعاله، وأن ما أعلنه مرارا من أنه سيهاجم أمريكا والدول التي تساندها ليجعلها تعيد تقييم سياساتها في العالم الإسلامي.

ثم تحت عنوان: **تقريرعن الحرب أم تقرير أن لا- حرب**[66]**!**، يقول: أنه من الصعب تصديق أنه خلال العقدين الماضيين من الزمان، ورغم اشتباكنا في كل هذه الحروب، فإن لم يحدث أن حسمنا حربا واحدة منها، وهو ما يعني أننا واجهنا العدو وحصرناه وانتهينا من تدميره للمرة الأخيرة! هذا لم يحدث في أي من حروبنا! ويتساءل: ما هي الإنتصارات التي حققتها الآلة العسكرية الأمريكية منذ 1990، كلها انتصارات من وجه نظرنا، يمكن مناقشة النصر فيها وغير معترف بالنصر فيها من قبل العدو! ثم يضرب مثالا بأفغانستان حيث أن كل ما صنعته الإنتصارات الأمريكية هناك أنها حولت كبل إلى منطقة تعجّ بالسلع والمنتجات الأمريكية، ثم يتندر ببول أونيل، وزير المالية آنذاك، أنه نصح للسلطات الأفغانية أن تبني فندقا "خمسة نجوم" في كابل حيث أن ذلك سينشط السياحة هناك!

ثم يتحدث حديثا مطولا تحت عنوان: **الجنرالات والمحامون – صنّاع اللاحرب**[67]: عن أثر العقلية العسكرية على رسم السياسات الأمريكية، وكذلك عن أثر مجتمع "المحامين" وأصحاب القانون في التعامل مع الحرب ومع أعداء أمريكا مما لايجعل النصر سهلا أو معبد الطريق.

ثم ينتقل بعدها للحديث عن: **تسريب المعلومات، غطرسة أم خيانة عظمى**[68]: وفيه يقرر أن ظاهرة تسريب المعلومات الإستخباراتية إلى الصحف تنشأ جزئيا من الشعور بالعظمة والغطرسة إذ يفترض فاعلها أن أمريكا لا يمكن أن يضرها تسريب معلومة هنا أو هناك لقوتها المفرطة، وأنه حتى لو أدى تسريب المعلومة إلى قطع الإتصال مع مصدرها الأصلي – والذي هو عادة خائن لبلاده – فإنه سنجد من نجنده بديلا عنه لخيانة بلاده كذلك.

ثم ينهى هذا الفصل بعنوان: **الديموقراطية: أقل سلع أمريكا رواجا**: فيقرر أن الشكل الديموقراطي الأمريكي لا يمكن فرضه على دول لا يعلم الأمريكيون عن تاريخها وثقافتها وإجتماعياتها شيئا كما حدث في أفغانستان، وأن الساسة قد زعموا أنه بعد أن نقتل ونبيد المقاومة في أفغانستان، سوف نقيم الحكم الديموقراطي على أطلال ثقافتهم ورفات موتاهم! وهو ما لم يحدث مطلقاً. ويقرر أنه "سواء كان ممكنا أن يكون هناك ديموقراطية إسلامية قابلة للتطبيق أم لا" فإنه يجب أن ندرك أن "تجربتنا الديموقراطية هي ملك لنا وصنيعة ظروفنا الخاصة". وكما قال وزير الخارجية السالف جون كوينسى آدم عام 1821 "أنه يجب أن ننصح بما نراه صحيحا في طريق الحرية ثم لا نتعدى ذلك" ويعلق الكاتب بقوله: "إن تعدي ذلك هو محاولة المستحيل، والغير مرغوب فيه، وهو الشروع في طريق دموي بدأت خطاه أمريكا لتصل إلى ما وصلت اليه اليوم من حرية، وهو تجاهل للصعوبات الذي تلازمه، وأن نجبر أقواما على نظم سياسية لا يرغبونها ولا تناسبهم وغالبا ما سيقاومونها".[69]

7. حين يُعِدُّ العدو مسرح العمليات: كيف يعين غباء أمريكا العنيد أعداءها.

ويُعدّ الكاتب لهذا الفصل بترديد أن بن لادن قد كان حليفه التوفيق منذ نصره الحاسم على أمريكا في سبتمبر 11، وهو ما قاله بن لادن نفسه عدة مرات أن النصر ليس بيده ولكنه بيد الله، وأن لكل مسلم دور فيه، إذ أن مهمته الأولى هي حشد همم المسلمين للجهاد.

---

[66] War Reporting or Reporting No War ص 1670

[67] 177

[68] ص 192

[69] ص 206

ويسرد الكاتب النقاط التي بنيت عليها **سياسة بن لادن "الخارجية"** فيقول أنها تدور على ستة محاور:

1. إنهاء المساعدة الأمريكية لإسرائيل ثم تدميرها وإقامة دولة إسلامية فلسطينية محلها.
2. إنهاء الوجود الأمريكي في الجزيرة العربية، وفيما جاورها من بلاد الخليج، إذ – كما يقول المؤلف – أن نقل القوات من السعودية إلى قطر أو البحرين لا يخدع أحداً.
3. إنهاء الإحتلال الأمريكي للعراق وأفغانستان.
4. إنهاء المساعدة الأمريكية للحكومات المناهضة لأقلياتها المسلمة في روسيا والهند والفلبيين وغيرهم.
5. إنهاء سيطرة أمريكا على بترول الغرب ليكون عائده ملكا للمسلمين وتعديل سعر بيعه ليكون ملائما للمسلمين لا لمساعدة الغرب على الحياة المترفة.
6. إنهاء مساندة أمريكا للأنظمة العلمانية الدكتاتورية – كما يصفها المؤلف – في العالم الإسلامي.

ثم يعقد مقارنة بين الخميني وبين بن لادن، يؤكد فيها أن ثورة الخميني كانت ضوضاء وجعجعة فارغة لم ينشأ عنها حقيقة أي قتال ضد الأمريكيين، ولكن بن لادن قد أنشأ حركة أصبحت خارج السيطرة في العالم الإسلامي كله لا في رقعة محدودة جنوب لبنان أو في إيران حيث يقطن الشيعة. ويقول أنه يقتقد أن سبب ذلك يكمن في أن الخميني قد صوّر أمريكا على أنها "الشيطان الأكبر" الذي يشيع الفواحش، وهو ما لا يحرك ساكنا لمجابهته، ولكن بن لادن صوّر أمريكا على أنها غازية محتلة إمبريالية انتهازية.

وتحت عنوان: **العراق، الهدية التي تلقاها بن لادن دون أن ينتظرها**: يقول الكاتب أن بن لادن قد رأى فيما يراه النائم حلما أنه قد مع الكراهية التي تغلى بها صدور المسلمين لأمريكا نتيجة الحصار الإقتصادي على أبناء العراق مما قتل مليون نفس، فإن غزوا للعراق سيعمق هذه الكراهية أكثر وأكثر، ثم استمر في حلمه أن تمكث أمريكا بقواتها في العراق لمدة طويلة تسمح له فيها بأن يبني على هذا الإحتلال ما يوقظ به عزائم المسلمين ويدفعهم للجهاد الدفاعي، ولكنه استيقظ ولم يجد حوله أمر مما دار بخياله النائم. وفجأة في عام 2003، إذا بالولايات المتحدة تقرر إهداؤه هدية كهدية الكريسماس، فغزت العراق مما جعل الدعوة للجهاد الدفاعي شرعية تمثلت في فتاوى أكثر علماء المسلمين، لا بن لادن وحده.[70]

ثم تحت عنوان آخر: **نقاتل إرهابيين، بينما نحن نواجه ثائرين**: يلفت النظر إلى أمر في غلية الأهمية وهو أن معسكرات القاعدة في أفغانستان لن يكن القصد منها تخريج قتلة وإرهابيين ممن يقتلون "بالقطّاعي"**!** فإن هذا التدريب كان من الممكن أن يتم في أي شقة أو بدروم أو محلّ مستأجر ليكون بعيدا عن أعين التجسس الفضائية. وإنما كانت هذه المعسكرات تدرب أفرادها على قتال المواجهة والإلتحام، بل وعلى استعمال أنواع مختلفة من الصواريخ لا يمكن أن تكون مما يستخدمه الإرهابيون التقليديون.

وتحت عنوان: **عندما يكون بناء التحالف حليفا للدكتاتورية**: يكرر الكاتب ما سبق أن ذكره من أن التأخر في الرد على أحداث سبتمبر كان سببا مباشرا للهزيمة الحالية وهو ما سمح للقاعدة وطالبان أن يعيدا التجمع ويعيدا الهجوم مرة أخرى. ويقول أن سياسة أمريكا في إنشاء التحالفات الدولية لا تصلح إلا في حالة الكوارث الطبيعية أو الإنسانية، أما في حالة تعرض الدولة لكارثة أمن قومي فلا محل للتأخير في الرد لبناء تحالف دولي.

ثم يتحدث عن **تغيير سياسات الهجرة**، والتي أعقبت أحداث سبتمبر 11 ورأى فيها المسلمون أنها تقصد إلى إذلال المسلمين،وحذروا من أنها تعمّق الكراهية ضد الغرب، بل إن محمود عباس قد كتب في جريدة الشعب القاهرية

---

[70] ص 214/212

"لماذا لا تقوم الحكومة المصرية بأخذ بصمات أصابع الأمريكيين المقيمين في القاهرة وتسألهم عن علاقاتهم بإسرائيل والمخابرات الأمريكية CIA". وبالطبع فإن الكاتب يذكر أن هذه السياسات وإن كانت مبررة من وجهة نظر الأمريكيين لحماية بلادهم وأنفسهم من هجوم آخر، إلا أن بن لادن قد اتخذها ذريعة أخرى ليشحذ همم المسلمين على أنها دليل آخر على سياسات أمريكا لإذلال المسلمين.

ثم يتحدث عن: **أهي حرب قنابل دقيقة التصويب أم هي تدمير لمسلمين في براميل؟** فيصف تلك التقارير اليومية التي يقوم بها الجنرالات الأمريكيون فيعرضون فيديو يصور كيف أن الطيار صوّب على هدفه الصناعي أو التجارى أو أيا كان، ثم جعله في ملتقى شعرات سلاحه على التلسكوب، ثم يتبع ذلك فترة صمت لا يقطعها إلا صورة خرساء لإنفجار هائل. ولا يعرض أحد مدى الخسائر التي تبعت هذا الإنفجار. وهذا مما يمكن أن يفهمه الأمريكي إذ أنهم يريدون أن يؤكدوا لدافع الضرائب الأمريكي أنهم يعملون لصالحه وأنهم يحاولون مع ذلك تقليل الخسائر الجانبية. ولكن مثل هذه الفيديوهات تمثل تناقضا لدي المشاعر الإسلامية إذ هي بينما تعرض العنف والقتل الذي يتعرض له المسلمون، تريد أن توصل رسالة بعدم تعرض المسلمون للعنف بتقليل خسائرهم. وهذ نقطة أخرى يعتمد عليها بن لادن لإعداد مسرح الكراهية ضد الأمريكيين.

ثم ينهي الكاتب هذا الفصل بأن يقرر أن الأمريكيون يعانون مما صنعت أيديهم في العالم الإسلامي، وأن مهما تكن أفعالنا موجهة لحماية أنفسنا كقوانين الهجرة أو استخدام قنابل التصويب الدقيق، فإن مثل هذه التصرفات ستظل تعتبر في الحسّ الإسلامي أنها دليل التمييز العنصري والنفاق والجبن الأمريكي الذي يقصف من السماء خوف المواجهة على الأرض. ثم يقول إن العوامل التي تؤدى إلى فشل أمريكا في رؤية الوبال الذي تجرّه عليها سياساتها تجاه العالم الإسلامي هي ذاتها الوقود الذي يستعمله بن لادن ليضاعف قوته أضعافا كثيرة والتي هي غير مرئية لكافة السياسيين في أمريكا لعماهم.[71]

8. <u>طريق المستقبل: بعض أراء ومقترحات للمناقشة</u>

وفي الفصل الأخير من كتابه، يعرض الكاتب آراءاً ويطرح نصائحاً للقيادة الأمريكية يرى أنها جديرة بالمناقشة. وهو يبدأ الفصل بتقرير أن أول ما يتعلمه رجل الإستخبارات أن لا يتدخل في السياسة وأن لا يحاول رسمها، إنما عليه أن يمدّ صانعي القرار بالمعلومات لا غير، إلا أنه في هذه الحالة فإن الأمر قد اتخذ شكل تقديم معلومات "منتقاة" إلى صنّاع القرار بدلا من كل المعلومات وهو بديل للمشاركة في صنع القرار.[72]

وقد قسّم هذه النصائح إلى قسمين:

<u>الأول</u>: خطوط عريضة للإعتبار: وهذه العناوين التي ناقشها تحت هذا القسم:

1. **استرخوا! فإنها حرب لا أكثر ولا أقل**: يقول الكاتب أن التصرفات الأمريكية مخجلة وكأنما هذه هي الحرب الأولى التي تخوضها أمريكا لما تعكس من فزع، مع كل هذه الألوان من مستويات الإنذار كأنها علامات مرور، مع عدم وجود أي وضوح في الرؤية لتلك الإنذارات!
2. **كفي احتفالات بالموت والهزيمة**: وفيه ينعى على الصحافة وأجهزة الإعلام والأجهزة الحكومية التكرار المثبط للهمم بذكرى الهزيمة في سبتمبر 11، وأنه يجب أن توفّر هذه الإحتفالات للإنتصارات الحقيقية حين تتحقق.

---

[71] ص 235
[72] ص 238

3. **اعترفوا بأننا مكروهون، ولسنا مفهمون بطريق خاطئ**: وفيه يقول أن القاعدة ومن ورائها حشد متزايد من المسلمين يكرهون الأمريكيين لا أنهم يفهمون رسالة الأمريكيين "الحضارية" خطأً، وهم على حق في ذلك إذ يكفي أن ننظر إلى ما يعدّده بن لادن من الأفعال الأمريكية لنعرف لماذا يكرهوننا:

   a. مساندة إسرائيل دون قيد أو شرط ضد الفلسطينيين.

   b. الوجود الأمريكي العسكري على أراضي الجزيرة العربية.

   c. الإحتلال الأمريكي لأفغانستان والعراق.

   d. مساندة أمريكا لروسيا والهند والفليبين في حربهم على الجاليات الإسلامية في بلادهم.

   e. الضغط الأمريكي على دول البترول للسيطرة على أسعاره ومصادرته.

   f. مساندة أمريكا للأنظمة الحاكمة الدكتاتورية الخارجة عن الشرعية الإسلامية.

4. **تعودوا على القتل، وبكفاءة!** وفيه يقرر أن هذه النوعية من الحرب التي لا تغنى ولا تسمن من جوع لن يكون فيها النصر على الإسلاميين وعلى الإسلام، إذ أن ذلك يستدعى الهجوم بشكل كاسح على كافة "الطرق، الكبارى، الأراضى الزراعية، مصادر الطاقة، المصانع والمناجم، وأكثر من ذلك حتنقطع على العدو أي سبيل إلى تلقى المساعدة"[73]. ويكمل قائلا "إن هذا يستتبع بلا شك مذابح هائلة للمدنيين، وتشريد الملايين، ومخيمات اللاجئين، وهي مرة أخرى، وإن كانت أمور غير مرغوبة وممقوته، إلا أنها هي الخيار الوحيد طالما أننا نتمسك بتلك السياسات الفاشلة تجاه العالم الإسلامي"[74].

5. **الجنود المحترفون يتلقون رواتب ليلاقوا الموت**: وهو يذكر الأمريكيين أنه لا يجب أن يفزعوا عند سماع نبأ مقتل أحد جنودهم، فهؤلاء الجنود قد انخرطوا في سلك العسكرية حتى يكونون رهنا لإشارة بلادهم في مثل هذه المواقف.

6. **لن يقوم الآخرون بعملنا "القذر" بدلا منّا**: لا يجب أن تعتمد أمريكا على غيرها لمساعدتها في أداء ما يجب عليها وحدها أداؤه حين يكون الأمر أمر أنها القوميّ، لا الأمم المتحدة ولا التحالفات الهزيلة التي لا فائدة منها إلا تخفيف العبء العسكري والمادي عنها.

7. **راجعوا ما يمكن مراجعته واستعينوا بالخبرات المتوفرة:** استفيدوا من الأخطاء السابقة ومن خبرات من سبقكم، فإنه على سبيل المثال لم ننجح في إغلاق الحدود الأفغانية وتركنا للعدو فرصة الدخول والخروج بحرية، ونسينا كذلك أن العراق هي – بعد السعودية – أرضا تحمل ثاني مقدسات للمسلمين (يقصد الشيعة). وهذه الأخطاء سببها أن صانعي القرار لا يحترمون بل يحتقرون أصحاب الخبرات إلا إن كانت تقنية بحتة. وهاكم مثالا مما ذكر بوب وودوارد في كتابه "حرب بوش" عن المناقشات التي دارت قبل غزو أفغانستان، فإنك لا تجد إشارة واحدة لتأثير العقيدة الإسلامية والشعور الديني على هذا الأمر كله عند هذه الجماعات.[75]

8. **لا تتعاملوا مع بن لادن على أنه "إرهابي":** وهي نصيحة – كما عبر – يجب على الأمريكيين قبولها وإن غصّت بها حلوقهم ولم يهضموها. الحرب مع بن لادن – كما يقول – هي حرب بمعناها التقليدي مع عدو قادر على الرد في بلادنا، فلا يصلح في التعامل معها الحرب الإستخباراتية وحدها ولكن يجب أن تحشد

---

[73] ص 241
[74] ص 242
[75] ص 245

لها كل القوى إذ أنه رغم أن بن لادن ليس عدوا ممثلا في دولة لها عنوان محدد، إلا أنه يستمد المساندة من □□□□ بليون مسلما ليس لهم مكان محدد لمقاتلتهم فيه وهم أكثر من ذلك يعتبرون أن الموت في هذه المهمة هو طريقهم للجنة.

9. **اعملوا على تطوير مصادر الطاقة لتأمين احتياجاتنا:** فإن كما يقول أهم أسباب هذه الحرب هي السيطرة على مصادر الطاقة في بلاد المسلمين.

10. **الإسلام في حرب ضد أمريكا**: بينما أن قادة أمريكا لا يصرحون بأن حربهم هي مع الإسلام، فإن بن لادن يصرح بها في كل مناسبة "هذه حرب دينية" ويقول "لا يجب أن ننسى أن عداؤنا لهم هو عداء عقائدي". ويقرر أن عدم الإعتراف بأن هذه حرب مع دين له مصادر بشرية واقتصادية هائلة لن يتسبب إلا في عدم الإحتراز من العواقب وعدم الإعداد للحرب بشكل كفء. ثم يتساءل: ماذا يعنى أن نكون في حرب مع الإسلام؟ ويجيب أن ذلك يعنى أن نكون أكثر جدية في النظر لهذا الأمر مما نحن عليه، يقول:

"إن الحرب قد شنت علينا بسبب ما نفعله كأمة في بلاد المسلمين، وهو ما حدا بن لادن أن يعلن الحرب علينا بسبب هذه الأفعال والسياسات، وهو إعلان مبني على حقائق ورؤيا حيادية لدورنا في تلك البلاد... ونحن كأمة مستقلة، لنا أن نتبنى السياسات التي نرى أنها تخدم مصالحنا القومية في تلك البقاع من الدنيا، ولهذا قد انتخب قادتنا لتنفيذ ما فيه مصالحنا. فيجب إذن أن نقبل أننا في حرب مع الإسلام أولا، ثم أن نعلم أن ذلك يستدعى التفاقم المتصاعد لهذه الحرب تدريجيا مما سيكلفنا أكثر مما يمكن أن نتخيله حاليا، وثالثا، أن نبدأ في فتح باب الحوار في موضوعات حساسة مثل علاقتنا بإسرائيل، ومصادر الطاقة، الديموقراطية "على الطريقة الأمريكية" التي نريد تصديرها للخارج، ذلك قبل أن يفوت الأوان ويندثر أسلوب الحياة الأمريكية.[76]

__**الثاني**__: **ضرورة مناقشة الخطوط العريضة الآن**: وتحت هذا القسم، يقرر الكاتب أن هذه الحرب الحالية أصبحت لا مفر منها، وأن الخيار الآن ليس بين الحرب والسلام، ولكن بين أن تخوض الولايات المتحدة الحرب بتكاليف بشرية أقل، وأن "العالم الإسلامي لأكثر من ثلاثين عاما يستمع لوعودنا الكاذبة في تغيير سياساتنا بلا جدوى، ... وهو ما صدمنى كضابط استخباراتي قديم وكدارس للتاريخ أننا نعمل بسياسات مناقضة لمصالحنا"[77].

وتحت عنوان: **ببساطة ويسر: بن لادن هو على ظاهره**: يقول المؤلف "دعونا لا نتحدث عن بن لادن القاتل المحترف مصاص الدماء المعقد جنسيا ونفسيا الذي هو ألعوبة في أيدى غيره.. وسائر تلك الصفات التي يحلو لنا أن نرددها عنه. فإلى أن يثبت لنا عكس ما نراه بأعيينا وما ذكره عنه من رأوه وتحدثوا إليه، فسوف نتحدث عن بن لادن الموهوب القيادي الهادئ ذي الرؤية البعيدة الذي سبب عداؤه لنا تهديداً متنامياً من كافة أنحاء بلاد المسلمين لا من جماعته "المضطربة عقليا".[78]

ثم يقرر أخيرا، تحت عنوان: **ليست هناك مشكلة لا يمكن الحديث عنها:** أنه يجب أن يرى الأمريكيين المشكلة على أنها ليست "مشكلة بن لادن" بل على أنها "مشكلة الإسلام" أو "المشكلة الإسلامية". ثم يحكى عن العديد من علماء المسلمين، عدا بن لادن، فتاواهم التي أعقبت غزو العراق من الدعوة إلى الجهاد الدفاعي وشرعيته، وتحث المسلمين على مقاومة "الكفار" ومشروعية قتالهم وقتلهم، كما في كلمات الشيخ سلمان العودة الذي هي مرآة لكلمات بن

[76] ص 249
[77] ص 253
[78] ص 254

لادن[79]. ثم يقول إن الواقع يقرر أنه اليوم يوجد عشرات الملايين من المسلمين ممن يرون أن الإسلام عرضة للهجوم من الولايات المتحدة.[80] ويضع بعض الأسئلة التي يجب الإجابة عنها:

1. هل من صالح الولايات المتحدة أن تستمر في الدفاع عن إسرائيل مهما كانت التكلفة البشرية والمادية؟ وهل هذا الدفاع ناشئ عن مراعاة المصلحة القومية أم إنه مجرد عقدة الذنب بسبب "الهولو كوست" مذابح اليهود (المزعومة) في الحرب العالمية الثانية؟ وهل تخشى أمريكا أن تفقد السيطرة على دولة سمحت لها بأن تكون نووية؟ ومتى يفهم القادة الأمريكيون أن عبارة "المصلحة القومية الأمريكية" ليست مرادفا لعبارة "المصلحة القومية الإسرائيلية".

2. ويقود هذا السؤال إلى التساؤل الأهم، وهو هل يجب على الولايات المتحدة أن تترك هواجس العالمية وأن تغلق عليها حدودها ما استطاعت ذلك؟

3. هل هناك سبب لمساندة أمريكا لتلك الأنظمة الدكتاتورية الحاكمة في البلاد الإسلامية، عدا السيطرة على منابع النفط؟

4. هل نحتاج إلى قوات تحتل دولا إسلامية وتتواجد على أرض الجزيرة العربية؟ هل هناك مبرر لذلك، خاصة وهذه الأمور هي التي تقوى موقف بن لادن ودعوته؟

5. هل من حقنا، أو من واجبنا الأخلاقي كذلك أن نحاول إقامة نظم ديموقراطية علمانية في بلاد لا تبدو منها حتى رائحة قبول تلك النظم؟ هل ستهلك أمتنا إن لم تكن بقية دول العالم تعيش أسلوب حياتنا تماما؟ أم أن هذه المحاولات هي ذاتها السبب في عدم الإستقرار العالمي؟[81]

وبعد أن سردنا نصائح المؤلف وتوجيهاته كما وضعها، نود أن نلخص نتيجته للقارئ لأهميتها الفائقة في فهم ما خلص اليه. فقد دارت نصائحه على نقاطتين محددتين:

1. أن تقر أمريكا أن حربها هي حرب ضد الإسلام والمسلمين وأن تتوقف عن المراوغة بترديد أنها حرب ضد الإرهاب.

2. أن هناك اختياران لا ثالث لهما أمام القيادة الأمريكية:

   a. أن تقرر المضي قدما في خطتها في هذه الحرب، وفي هذه الحالة يجب أن لا تتردد في قصف كل ممتلكات المنطقة الإسلامية وثرواتها وأرضها ومبانيها التحتية ومصادر مياهها حتى تقطع كل أمل في تقديم أي مساعدة للقاعدة، وبالطبع فإن النتيجة الحتمية لهذا الخيار هي مقتل عدة ملايين وتشريد عشرات الملايين وتخريب المنطقة بكاملها، ولكن، كما يقول المؤلف، هذه هي الخطوة الشجاعة التي يجب أن تقدم عليها أمريكا إن أرادت أن تسير في طريق هذا الخيار.

   b. أن تغير، بكل بساطة، سياستها تجاه الشرق الأوسط وتجاه الإسلام والمسلمين، وأن تراجع سياساتها تجاه إسرائيل، وبهذا يمكن أن نتتفادى هذا الدمار الشامل، إن أرادت أن تسير في هذا الخيار.

<u>تعليق المحلل</u>

---

79 لا أعتقد أن المؤلف يدرك أن التوافق بين بن لادن وبين سلمان العودة وغيره من علماء المسلمين هو من قبيل الصدفة، إنما لأن الكلّ يستقي من نبع واحد.

80 ص 256

81 ص 258/257

ثم، أخيرا، ولا أريد أن أطيل على القارئ بعد هذه الجولة التفصيلية في الكتاب، أود أن أشير إلى أن صدور مثل هذا الكتاب الذي يحمل وجهة نظر أقرب ما تكون إلى الصحة والإنصاف لا يدلّ على أن السياسة الأمريكية وشيكة على التغيير! بالعكس، فإن كل الشواهد التي نعيشها في مرحلة الإنتخابات الأمريكية إنما تدل على ثابت من ثوابت التاريخ الحديث، أنه، لسبب من الأسباب، فإن شرار الناس هم الذين يتقلدون سدّة الحكم في كل مكان، لا عقلائهم وأولى الفضل منهم. ووجود مثل هذا الرجل العاقل لا يدل إلا على ذلك المبدأ، فهو كما نرى ليس مرشحا للرئاسة.

دفاع عن الشريعة

د. محمد عمارة وأحاديث الآحاد

اطلعت على مقال الدكتور محمد عمارة المنشور في المصريون بعنوان "الإسلام عقيدة وشريعة" بتاريخ السابع من أكتوبر 2008، فاشتممت منه العجلة وكأنه كتب للرد السريع على القول الذي "*يهرف به الذين لا يعلمون*". ولكن ما شدّني إلى هذا المقال هو الباعث على كتابته في هذا الوقت بالذات، فإن هذا الأمر قديم قِدم المعتزلة الذين تولوا كبره أول الأمر ثم تبعهم من تبعهم من المتكلمين من الأشاعرة كابن الباقلاني والغزالي والجوينيّ وبن عقيل وغيرهم، وتابعهم عليه من المُحْدَثين من إعتمد أسلوب المتكلمين في فهم الحجج القرآنية سبيلاً.

وما أريد أنّ أبينه للقارئ الكريم أنّ دعوى الإجماع العريضة التي نقلها الدكتور عمارة عن الشيخ شلتوت رحمه الله تعالى هي دعوى غير صحيحة وكان من الأوفق – مع علمه وفقهه - أن يتريث في نقلها ونصرتها، فقد خالفها من العلماء الأجلاء من أهل السنة والجماعة، الذين وقفوا بالمرصاد لما حاولته المعتزلة من أتباع العقلانية الفارغة، من لا يحصى، وقد نقل بن القيم إجماع السلف – خلافاً للمتكلمين والمعتزلة – على أن خبر الواحد الصحيح الثابت يفيد العلم اليقينيّ، كما نقله عن شيخ الإسلام بن تيمية، قال في مختصر الصواعق المرسلة (372/2) نقلا عنه: " وأما القسم الثاني من الأخبار فهو ما لا يرويه إلا الواحد العدل ونحوه ، ولم يتواتر لفظه ولا معناه ، لكن تلقته الأمة بالقبول عملا به وتصديقا له ....**فهذا يفيد العلم اليقيني عند جماهير أمة محمد من الأولين والآخرين ، أما السلف فلم يكن بينهم في ذلك نزاع**" وذكر بن القيم في نصر هذا القول 21 دليلا فليرجع إليها الدكتور عمارة.

وليس أجلّ في المُحَدثين من إمام المحّدثين الشيخ أحمد شاكر في الذي قال في ص30 من الباعث الحثيث: "والحق الذي ترجحه الأدلة الصحيحة ما ذهب إليه ابن حزم ومن قال بقوله من **أن الحديث الصحيح يفيد العلم القطعي سواء أكان في أحد الصحيحين أم في غيرهما، وهذا العلم اليقيني علم نظري برهاني لا يحصل إلا للعالم المتبحر في الحديث، العارف بأحوال الرواة والعلل**، وأكاد أوقن أنه هو مذهب من نقل عنهم البلقيني".

ولا أريد أن تكون هذه الكلمة محلّ نقولات عن من صحح القول الأصليّ الأصيل بأن الحديث إن صحّ أوجب العلم اليقينيّ ولكن يكفي بيان خطأ دعوى الإجماع التي استند عليها الدكتور عمارة للرد على من ظنه يهرف بما لا يعرف!

وأمر حجية حديث الأحاد في العقائد هو أمر مبتدع أصلاً أدى اليه منهج الفلاسفة وأصحاب المنطق – المزعوم – وإلا فلا فرق عقلا فيما يوجبه القول إن صحّ ثبوتا ودلالة من طريق قطعيّ وما صحّ من أكثر من طريق، وسؤالي إلى الدكتور عمارة: وماذا إذا إعتمد من كفر من أهل قريش ومن بعدهم إلى يومنا هذا على هذه الحجة ووقف بين يديّ الله سبحانه فقال: "ولكن يا ربّ قد وصلنا خبر الإسلام والتوحيد والعقيدة كلها من محمد – صلى الله عليه وسلم

– وهو خبر واحد لا جدال في ذلك" فهل يا تري كانوا بهذا قد أقاموا الحجة على الله سبحانه وهو القائل "فلله الحجة البالغة"؟ ويا ترى حين أرسل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مبعوثيه إلى اليمن والعراق والشام وغيرها من البلدان فرادى يبلغون أهلها رسالات الله، ترى هل نبّه عليهم – فيما يرى الدكتور عمارة – أن لا يتحدثوا اليهم في شأن العقائد؟ واين ثبت مثل هذا التنبيه؟

ثم أليس فارق كبير بين أن تكون العقيدة صحيحة يجب على المسلم المسلّم بحديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يؤمن بها وبين أن يقف على جرف هار ينجو به من الكفر إن أنكرها؟ فمما ذكره الدكتور عمارة من أنّ منكر حديث الآحاد لا يكفر، أنريد للمسلم أن يقف بين يديّ الله سبحانه هكذا على حرفٍ "بالكاد" سَلِمَ من الكفر! ألا نريد للمسلم منزلة عند الله سبحانه أفضل وأرفع من ذلك؟

إن هذا القول يضرب بعمق فيما استقرت عليه عقائد الكافة، عامة وعلماء، الذين توارثوها جيلا بعد جيل كعقيدة عذاب القبر والصراط والميزان والورود على الحوض وغير ذلك، فلعلّ الله أن يحمى هذه الأمة من الفتن والمكائد.

القرضاوى .. وتصويف السنة!

مرة أخرى، بل ثالثة وسابعة، يختلط الحقّ بالباطل تحت مظلّة "الوَسَطيّة" في ثوبها الجديد ومَعانيها المُحْدَثة التي كتبنا عنها وأوضحنا بلاياها، وذلك فيما صَرّحَ به الشيخ القَرضاوى مُؤخّراً في "الشرق الأوسط"، عن ضَرورة "تصْويف السّلَفِية وتَسْليف الصوفية".

يحتاج كلام الشيخ القرضاوى إلى تحقيق وتدقيق في كلّ كلمة قالها، إذ كلها حمّالة وجوه، بل كلّها غير مُنضَبطة بشَرع أو سُنّة، إلا ما انتظَم له منها تحت ما أسماه "الوسطية"، التي هي، كما قررنا من قبل، في ثوبها الجديد ومعانيها المُحْدَثة، وسطٌ بين حقٍ وباطل، لا حقٌ بين باطلين. فما فيها من حقٍ هو قدرٌ مُشترك بينها وبين السُّنة، وما فيها من باطل أو مُتشابه، فهو من قبيل ما اشترك مع البَاطل الوسَطِيّ.

ونود أن نوجه النظر إلى أننا نَستَخدِم هنا لَفظ "السُّنة" بديلاً عن "السلَفِيّة"، إذ إن التفريق بينهما هو من عَمل من أراد التفلّتَ من السُّنّة، فترك لفظ السُنّية إلى السلَفية حتى لا يُهاجم السُّنة عَلناً.

كما نود أن نبين أنّه ليس معنى أنّ مذهباً من المذاهب المبتدعة، أو ديناً من الأديان المحرّفة، يَحمِل بعض الحق، أن ندعو الناس إلى الدخول تحت مسماه تَبَنّيا لما فيه من حقٍ، فالنَصرانية المُحَرّفة تدعو إلى التسَامح والحُب، بزعمهم!، بل إن الإسلام يخبرنا أنّ كتبهم لا يزال فيها قدر من الحقّ، فهل يَصِحّ أن ندعو النَاس إلى "تَنصير" الإسلام بما في المَسيحية من تَسامُحٍ ورَأفة؟ كذلك، السُنّة تدعو وتُوجّه إلى أفضل تَوازن روحيّ وخُشوع قلبيّ، أفضلُ كثيراً كثيراً من الطرق البِدْعِية والأوراد المُحدّثة التي يَدّعى أربابُ الصوفِية أنها تُكمِل ما نقَصَ من السُّنّة (أو السلَفِية بزَعْمِهم)، فما معنى "تصويف السنية السلَفِية" إذن؟

ولا يَصحُ إن يقال أنّ هناك من "السَلَفيين" من لا يتّبِع السُنّة كلها، بل مِنهم من يَتجَاوزُ مَعاني الخُشُوع ويَميلُ إلى قَسْوة القلب، لأن ذلك هو من قبيل التعدد الذي يدعو أهل الوسطية إلى قبوله، والذي يمكن أن ندعو أهله إلى الرجوع إلى السُّنّة، بدلا من اللجوء إلى التصوف، الذي هو مظلة تحمل بعض الحقّ وكثير من الباطل المنحرف، بل والكفريات الشركيات، عقيدة وعملاً. وما علينا ألا ندعو هؤلاء السلفيين، من غِلاظ القلب، إلى الرُجوع إلى السُّنّة؟ المشكلة لدى الصوفية في هذا أنهم يريدون ألّا يلتزموا بما في السُّنّة من مُرقّقات للقلوبِ ومُروّحاتٌ للنفوس، بل يريدون أن يروّجوا لطرقهم وأورادهم البدعية. فهلا نظر الشيخ القرضاوى إلى هذه البعد، حين يُصْدر ما يُصْدر من فتاوى وآراء، أذ إنّ التعميمات الكلامية لا خير فيها في هذا الواقع المَلئ بالبلايا والإنْحرافات.

ومن الباطل ايضا أن يُطلق الشيخُ القَرضاوى على بن تيمية وبن القيّم أنهما من "كِبار الصُوفية"، فهذا أمر مُضحِك من ناحية، لمن عرف فِكرَ الشَيخين، إذ قد عرف الشيخان ما في الصوفية من مُشتركات مع السُّنة، وهي، في حقيقة

الأمر، دَعوة عدد من كبارهم ممن لم ينحرف به الإبتداع إلى الهاوية، إلى الإلتزام بالسُّنة، كما نُقل عن الجنيد وغيره من الأوائل. لكن الشيخان لم ينتميا إلى التصوف طرفة عين من حياتهما، بل ناقضاها وفضحا عوارها، إذ علما أنه قد غلبت عليها البدعة، وما غلب على الشيئ عومل بمقتضاه، كما عرفنا في أَول الفقه، أنّ ما غلبت عليه المصلحة كان مطلوباً، وما غلبت عليه المفسدة كان مَمنوعاً، والصُوفية قد غلبت عليها المَفسدة حى النخاع، فما بال الشَيخ القرضَاوى يتَجَاوز هذا المَبدأ الشرعيّ الذي يعلمه أي طَالبُ عِلمٍ ليوجّه الناس إلى مَفسَدة عَريضة لكَسْب منفعة ضئيلة يمكن كَسبها بدعوتهم إلى الرجوع إلى السُّنّة لا غير؟!

أما ما ذكره الشيخ القرضاوى من أنّ السَلَفيّين السُنيّين يرجِعون عن آرائهم حين يَخرجون إلى الدنيا ويرتَحلون إلى أرجاء الأرض ويَختَلِطون بالنَاس، فهذا أمر لا يُمكن تَعميمه بأي حَال من الأحوال، بل هو أمر فرديّ يرجع إلى تغيّر الإجتهاد، وكثير من السُنيّيين لم يبدّلوا آراءهم الفقهية في التَصوير الفوتوغرافيّ أو غيره. وقد ابتلاني الله سُبحانه بالسَفَر إلى كَافة بقاعِ الأرضِ في الخَمسة والثلاثين عَاماً الماضية، عَاشَرت فيها من عَاشَرت من مسلمين ونصارى، دون أن يتغير ما أثبتّه من أقوال وترجيحات فيما دوّنت منذ نهاية السبعينيات.

ثم إن السَلَفيّين السُنيّين لم يشاركوا في أية إنتخابات على الإطلاق، فهذا من ترويج الباطل، بل قد استمرّوا، والكاتب مِنهم، في الحَضّ على مقاطعة العَمليات الإنتخابية بِرمتها لحرمة ذلك عَقدياً، من حيث أنّ الدولة تَحكُم بغير ما أنزل الله، أو ببعضه لكي لا نختلف مع سليم العوا، وواقعياً من حيث أنه لا جدوى من الدخول في مُعترك خاسرٍ إبتداءاً، إذ لن تسمح قوى الباطل بالإنقلاب عليها عن طريق بِضعة صَناديقٍ مليئة بأوراق، وهي صَاحِبة القوى والنُفوذ والمّال، والمُتحَصّنة بإنعدامِ الضَمير والمروءة.

أما ما ذكره الشيخ القرضاوى من أنّ الإخوان يتميّزون بالتحول من نظر إلى نظر، ومن رؤية إلى رؤية، فتراهم في بعض الأحيان ينزعون إلى التصوف، ثم إذ هم يَلتَزمون بالسَلَفية أو السُّنية، فلا أدرى والله أهذا مدحُ لهم أم ذمٌّ؟ إذ إنّ هذا التردد بين الأنظار المُختلفة لا يعكس إلا تردداً وحيرةً وقِلّة في العِلم وضَعفاً في الإلتزام. وفرق بين مجتمعٌ يحمل في جنباته آراءاً وأفكاراً منها البدعيّ ومنها السنيّ وبين جماعة تلتزم منهجاً تدعو اليه في مثل هذا المجتمع! وهو الأمر الذي فشلت حركة الإخوان في أن تُدرِكَه، فصارت كمنتدى عَام يدخله كل من يحمل جرثومة دون أن يجد لها عند أهله دواءاً، فالحَركةُ موئلاً للصَحيحِ والمَريضِ على السّواء. والإلتزام بالأمور العَقدية كصفاتِ الله ونبذِ التأويل ليس تشَدداً، بل هو تمسّكٌ بالسنة والقبض عليها، والتراوح بين هذه التأويلات وقبول هذه المتشابهات ليس توسّطاً، بل هو تسيّبٌ وحيرةٌ واضطرابٌ، وكفانا تبديلاً للأسماء وتحريفاً للمفاهيم. بل إن الشيخ القرضاوى نفسه قد حذر في مقال قديمٍ له عن *كذبة إبريل* من تبديل المفاهيم وتَسْمية الأشياء بغير أسمائها، فقال " كذب الناس على أنفسهم وزيفوا لهم مصطلحات جديدة ، الانحراف يسمونه تطوراً والفساد يسمونه تمدناً والعري يُسمونه تَحرراً وهكذا ، هذا في حياتنا الاجتماعية ، وفي حَياتنا التجارية والاقتصادية ساد الزيف والكذب في حياة الناس"، فما باله لا يَنضبط بها التوجّه في المَجَال العقديّ، والذي هو أولى من غيره من المَجالات بالإنضِباط؟

هدانا الله، وعلماؤنا، لسديد القول وصحيح العمل.